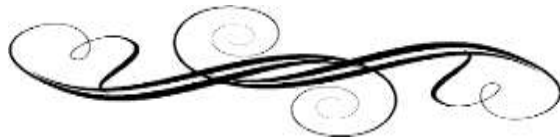


حرب الكلام



الدكتور

عبد البر الصياد

الطبعة الأولى ٢٠٢٣

ديوان العرب للنشر والتوزيع

عنوان الكتاب: حرب الكلام

اسم المؤلف: عبد البر الصياد

رقم الإيداع: 2023 / 11924

الترقيم الدولي: 9 - 420 - 998 - 977 - 978



التدقيق اللغوي: يوسف صقر

تصميم الغلاف: شيماء منير

التنسيق الداخلي: محمد وجيه

رقم الطبعة: الطبعة الأولى

المدير العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

تليفون: 00201211132879 - 00201030502390

بريد الدار: mohamedhamdy217217@gmail.com

حرب اللام

الدكتور

عبد البر الصبياد

ديوان العرب للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ
مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهْمُ سُوٌّ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ
عَظِيمٍ﴾

صدق الله العظيم
(آل عمران: ١٧٤، ١٧٣)

إهداء

أهدي هذا العمل الذي أتعبني وأرهقني كثيرا:

لفريق عملي في المركز العالمي الذي تحمل الكثير في سبيل خروج مثل هذا العمل الصعب.

وأبنائي الأعزاء، وأسرتي الكريمة، وكل من ساهم ولو حتى بالنزر اليسير ليخرج هذا العمل للنور، وكل شباب وشابات مصر المقبلين على خوض الحياة العملية، وكل المحبين للعلم والمعرفة، فبالعلم والمعرفة نتغلب على كل الصعاب ونصنع المستحيلات.

الدكتور عبد البر الصياد

مقدمة

القسم الأول

الحكيم هو من يفصل اعتقاده على قد البينة

ديفيد هيوم

دفعني إلى كتابة هذا الكتاب ما أشاهده كل يوم في الفضائيات التليفزيونية ومواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام الأخرى من أغلاط أساسية في منطق الحوار والجدل، تجعل المناقشات غير مجدية من الأصل، وتجعلها عقيمة مجدبة أو مجهضة منذ البداية، فلم أجد بدءًا من العودة للقارئ إلى أصول الحوار المثمر وقواعد الجدل الصحيح، التي أصبحت الآن مبحثًا قائمًا بذاته وهو المنطق غير الصوري أو المنطق العملي.

وإذا أخذت على نفسي دائمًا بأن أحاول جهد ما أستطيع أن أعلم القارئ كيف يصطاد بدلا من أقدم إليه سمكا، فقد رأيت أن أعود إلى هذا المبحث الحديث نسبياً. وأسلط عليه الضوء، وأقدمه إلى القارئ بطريقة سائغة قريبة المأخذ: مرتكزا في ذلك على الجانب السلبي من المبحث، وهو المغالطات المنطقية: تعريفها وتشريحها، وكيف تكشفها وتجنبها، والحالات التي تصح فيها ولا تعود مغالطة.

ما المنطق غير الصوري

المنطق غير الصوري: هو استخدام المنطق في تعرف الحجج، وتحليلها وتقييمها. كما ترد في سياقات الحديث العادي ومداولات الحياة اليومية في المحادثات الشخصية، والإعلانات، والجدل السياسي والقضائي، وفي شتى ألوان التعليقات التي نصادفها في

الصحف والإذاعة المرئية والمسموعة وشبكة الإنترنت وغير ذلك من وسائل الإعلام.

كان الدافع من وراء نشأة هذا المبحث الجديد هو الرغبة في إيجاد سبل لتحليل الاستدلال العادي وتقييمه، سبل يمكن أن تندرج باعتبارها جزءاً من التعليم العام، ويمكن أن ترشد تفكير الناس، وترتقي بالمناقشات والمساجلات اليومية، من هذه الوجهة تلتقي هموم المنطق الصوري بهوم حركة التفكير النقدي **Critical Thinking Movement** التي تهدف إلى تطوير نموذج للتعليم يولي اهتماماً أكبر بالتساؤل النقدي، ويفضي إلى فهم علاقة اللغة بالمنطق، فيمكن الطالب من تحليل الأفكار ونقدها والدفاع عنها، ومن التفكير الاستقرائي والاستنباطي ومن استخلاص نتائج وقائعية صحيفة قائمة على استدلالات سليمة مستقاة من قضايا معرفية أو اعتقادية، واضحة لا لبس فيها.

ترتبط نشأة المنطق غير الصوري بالحركات الاجتماعية والسياسية في ستينات القرن العشرين وما صاحبها من دعوة إلى تعليم عال أوثق اتصالاً بالحياة والتصاقاً بالواقع المعيش. هنالك ألحت الحاجة إلى تطبيق التحليل المنطقي على أمثلة حية ملموسة من تفكير الحياة اليومية، والتخلي عن الأمثلة المصطنعة والحجج التي تعج بها كتب المنطق القديمة، على أن المنطق غير الصوري لم يتأسس فرعاً بحثياً مستقلاً إلا في أواخر السبعينات مع أعمال رالف جونسون وأنتوني بلير الفردية والمشاركة، وإصدارهما صحيفة المنطق غير الصوري.¹

¹ The Cambridge Dictionary of Philosophy. Cambridge University Press, 1995, p. 376

وعلى الرغم من مرور أكثر من ربع قرن على نشأة المنطق غير الصوري، فإنه ما زال في طور التكوين تتصارع فيه تيارات متباينة وتتناوله اتجاهات مختلفة، وما زال يتلمس طريقه، ويفتش عن هويته، وما زال يتساءل عن جدوى نظرية المغالطات ومبادئ المنطق الصوري بالنسبة إليه، وعن أهمية استخدام الرسوم البيانية، وعن دور نظريات التواصل والاعتبارات الديالكتيكية والحوارية في تقييم الحجج، وما زال في كل ذلك يلتمس العون من فروع بحثية قريبة ويتداخل معها: علم البلاغة (الخطابة)، علم اللغة. الذكاء الصناعي، علم النفس المعرفي والتواصل الكلامي... إلخ. كان اهتمام المنطق غير الصوري في بداياته منصباً على المغالطات المنطقية **logical fallacies** غير أنه وتجاوز مبحث المغالطات، وجعل يوسع من حقله كلما تبين له أن دراسة الحجج المصوغة باللغة العادية تتطلب ارتياد أصقاع جديدة من البحث. وتتضمن هذه الدراسة المكونات الآتية:

- التمييز بين الأصناف المختلفة من الحوار التي يمكن للحجة أن ترد فيه (النقاش العلمي مثلاً غير التفاوض أو عقد الصفقات) - تحديد المعايير العامة للحجة الصائبة (الاستنباطية والاستقرائية)، دراسة مفهوم اللزوم، أو الترتب المنطقي الذي يفسر لنا متى يصح أن تقول أن هذه الجملة تترتب منطقياً عن تلك.

- دراسة المغالطات المنطقية وأهميتها في تقييم الحجج

- دراسة المواضع التي يصح فيها ما نأخذه عادة مأخذ المغالطة

(الاحتكام الصائب إلى السلطة، الهجوم المبرر على شخص الخصم، التفكير الدائري)

- تفهم الدور الذي تضطلع به المشاعر (الباثوس) والشخصية (الإيثوس) وغيرها من المفاهيم البلاغية في تحليل الحجة وتقييمها.
تبيان الواجبات الجدلية المنوطة بالحجج أنواع معينة من السياقات.

أهمية الإلمام بالمنطق غير الصوري

يقول أفلاطون في محاوره جورجياس في جدال حول الغذاء يدور أمام جمهور من الأطفال، فإن الحلواني كفيل بأن يهزم الطبيب.

وفي جدال أمام جمهور من الكبار فإن سياسياً تسليح بالقدرة الخطابية وحيل الإقناع كفيل بأن يهزم مهندساً أو عسكرياً حتى لو كان موضوع الجدال هو من تخصص هذين الأخيرين، وليكن تشييد الحصون أو الثغور إلى دغدغة عواطف الجمهور ورغباته الأشد إقناعاً من أي احتكام إلى العقل.

حقاً، ليس بالحق وحده تكسب جدلاً، أو تقهر خصماً، أو تقنع الناس، من هنا تتبين لنا أهمية دراسة الحجة كما ترد في الحياة الحقيقية، وتتجسد في اللغة العادية، ذلك أن الحجة حين ترد في الواقع الحي لا تأتي مجردة مصفاة، ولا تكشف صيغتها المنطقية للمتلقى بسهولة وطواعية، إذاً ليكن تمحيصها أيسر عليه بما لا يُجد، إنما تأتي الحجة دائماً ممتزجة بلحم اللغة ودمها، متلفة بانفعالات الناس وأعرافهم ممزوجة بتضاريس الواقع، وبشؤون الناس وشجونهم.

وما تُشكل الصيغة المجردة للحجة (المقدمات المؤدية إلى نتائج إلا نزراً ضئيلاً أو هيكلًا نحلياً متوارياً وراء طبقة كثيفة من الاعتبارات الدلالية **semantic**

والتداولية pragmatic (اللغة)²، ومن طبيعة الخصم وأيديولوجيته وسيكولوجيته، ومن مقام الحديث وسياق الجدل، ومن عواطف جمهور الحاضرين وانتماءاتهم وتميزاتهم.

ونحن في مجال المنطق غير الصوري إنما ينصب جهدنا على هذه الطبقة الكثيفة التي تُغلف اللَّبَّ الصوري للحجة نتلمسها ونتناولها بالتحليل والتفتيت. وتنفذ منها إلى ذلك اللَّبَّ الصوري المفترض في مجال المغالطات، على سبيل المثال، يكون عملنا أشبه بأخذ صورة أشعة x-raying للحجة المطروحة عسانا نطلع على هيكلها الصوري المظمور، ونُقَدِّرُ نصيبه من الصواب والخطأ، ويكون معيارنا في ذلك هو المعيار المنطقي الصوري العتيد: صدق المقدمات وصواب الاستدلال وكثيراً ما تجبهنا صورة الأشعة بغياب أي لب صوري وانعدام أي هيكل منطقي في الحجة!

....

² السيمانطيقا semantics علم دلالة الألفاظ، أو المعاني: الدراسة التي تتناول علاقة العلامات اللغوية بالعالم أو الواقع الخارج من اللغة atre-linguistic reality. أما الديراجماتيقا pragmatics (التداولية) فهي المبحث الخاص بدراسة العلاقة بين العلامات القلوية ومستخدميها من بني البشر

أمثلة لعملية التجريد في المنطق غير الصوري

مثال 1:

نقنّبس هذا المثال من بين تلك الحجج المندمجة coalescent arguments

التي أشار إليها ميشيل جلبرت، والتي تعبر في زعمه عن جملة من المواقف والاعتقادات والمشاعر والحديث التي تميز صاحب الحجة فهذه طالبة جامعية تبكي في مكتب الأستاذ كي تبثه قلقها للأهمية التي يوليها الأستاذ لحصول الطالب على درجة A في مادة معينة.

بوسعنا أن نقول هذا على أنه قياس مضمّر (enthymeme) تقديره أنه لمن أشد دواعي البؤس والجزع ألا أحصل على درجة..... (مقدمة)
(1) أن عليك إلا ترمي بي في حضيض البؤس والجزع.³

هو قياس منطقي حذفت مقدمته الكبرى أو الصغرى إما لظهورها والاستغناء عنها، وإما لإخفاء كذبها، ومن البين أن القياس الوارد هنا قد طورت مقدمته معاً، وناب التعبير الانفعالي عنهما.

عليك إذاً أن تمنحني درجة (النتيجة) A

ورغم أننا نسلم بأن هذه الحجة تندرج ضمن فئة الحجج الانفعالية التي تحدث عنها جلبرت، فليس ما يمنع أن نعاملها كغيرها من الحجج فنفحص مقدماتها ونقيمها من حيث القبول والرفض، وننظر فيما إذا كانت النتيجة فيها تلزم عن المقدمات.

³ (-) Gilbert, Michael, 1997. Coalescent Argumentation. Mahwah; Lawrence Erlbaum

ولا يخفى على القارئ الآن أن المقدمة (٢) فيها نظر، فالأستاذ بعد كل شيء يعمل بمرفق التعليم العالي وليس بمرفق الشؤون الاجتماعية، أن عليه أن يعين الطالب ويدعمه بأن يقرب إليه مادته العلمية ويُدلل قطفها، وليس بأي طريق آخر. والحجة من ثم تندرج في مغالطة الاحتكام إلى الشفقة **ad misericordiam**.

مثال 2:

هذا إعلان مصور عبارة عن رأس أسد يزأر مكتوب عليه كينا بسليري الحديدية. إذا تأملنا إعلاناً كهذا وجدنا أنه لا يعدو أن يكون استعارة بصرية **visual meta phor** مفادها أن تناول كينا بسليري الحديدية بانتظام تجعل المرء قوياً مفعماً بالنشاط.

وبالنظر إلى أنه إعلان تجاري، فإن بوسعنا تأويله إلى قياس مضمراً أيضاً لتقديره إذا تناولت كينا بسليري صرت قوياً مفعماً بالنشاط.

مقدمة:

النشاط والقوة أمران مرغوبان

مقدمة:

إذاً من المرغوب فيه أن تتناول كينا بسليري (تشتريها) فإذا ما أمعنا في التجريد خلصنا إلى الصورة التالية:

النتيجة:

ق تلزم عنها ك

ك مرغوبة

إذاً ق مرغوبة

وهو قياس مغلوط صورياً، لأنه يقع في خطأ إثبات التالي affirming the con

serpent بوسعنا تبين خطأ هذا القياس بأمثلة كثيرة مثل:

منع مباريات الكرة كفيل بمنع حوادث الشغب في الملاعب.

منع الشغب في الملاعب أمر مرغوب.

إذاً علينا منع مباريات الكرة.

- إلغاء خطوط السكك الحديدية يفضي إلى انتفاء تصادم القطارات.

. انتفاء تصادم القطارات أمر مرغوب.

إذاً ينبغي إلغاء خطوط السكك الحديدية.

أهمية دراسة المغالطات المنطقية:

قلنا أن اهتمام المنطق غير الصوري كان متركزاً في البداية على مبحث المغالطات.

وكان التعريف التقليدي للمغالطات هو تلك الأنماط من الحجج الباطلة التي تتخذ

مظهر الحجج الصحيحة. ولعل من الأصوب أن نقول إنها أنماط شائعة من الحجج

الباطلة التي يمكن كشفها في عملية تقييم الاستدلال غير الصوري⁴.

لمنطق المغالطات آباء قدامى، يأتي في مقدمتهم أفلاطون في محاوره يوثيديموس

Euthydemus وأرسطو في كتابه on sophistical refutations، ويلحق

بهما في القرون التالية فلاسفة كثيرون من أبرزهم: جون لوك، وواتلي، وشوبنهاور،

وجون ستيوارت مل، وجريمي بنتام ولا يزال مبحث المغالطات يثير اهتمام كثير من

المناطق حتى اليوم. غير أن هذا الاهتمام بدأ ينحسر بعض الشيء مع تطور المنطق

غير الصوري وارتياحه أفقاً جديدة من البحث، وقد ذهب بعض المناطق، وبخاصة

⁴ إذا شئت مثلاً عياناً شديد الوضوح، فإن وجودي في العتبة يعني. القاهرة، إذاً أنا الآن في العتبة

منهم من نظر بنظرية التواصل، إلى أن دراسة المغالطات ليست بديلاً لدراسة مبادئ الاستدلال الصحيح فما دامت المغالطات هي انحراف عن القواعد الضمنية التي تحكم شتى أصناف التداول الحوارية، فإن الأجدر بنا أن نركز على دراسة هذه القواعد. وألا نقنع بدراسة الانحرافات. يرى هؤلاء أن دراسة المغالطات لا تكفي لإجادة التفكير الاستدلالي مثلما أن معرفة الأخطاء في لعبة كرة القدم مثلاً لا تكفي لإجادة اللعب. إنما ينبغي أن نتجه مباشرة إلى دراسة قواعد الجدل الصحيح ومعايير الاستدلال الصائب.

ورغم وجهة هذا الرأي، فإن تفشي المغالطات المنطقية في واقعنا اليومي. وطغيانها على تفكيرنا كله حقيق بأن يرد إلى نظرية المغالطات أهميتها الأولى ويعيدها إلى الصدارة من جديد. يقول ما لبرانش لا يكفي أن يقال أن العقل قاصر بل لا بد من إشعاره بما هو عليه من قصور ولا يكفي أن يقال أنه عرضة للخطأ، بل يجب أن نكشف له عن حقيقة هذا الخطأ. وهذا قول صادق: إذ لا يكفي من أجل تعمير الحق أن نحدد شروطه فحسب، بل لا بد أيضاً لكي يكون التمييز واضحاً كل الوضوح أن نبين أين يكون الغلط حتى يظهر الحقُّ أجلى وأوضح، كالنور يكون أجلى بجوار الظلمة منه لو أخذ وسط فيض آخر من النور، ثم أن الأضداد إن لم تكن واحدة كما يقول هيجل، فهي على الأقل مرتبطة تمام الارتباط سواء من الناحية العقلية أو من الناحية الوجودية، ولهذا كان العلم بالأضداد - كما يقول أرسطو - علماً واحداً فإذا كان تمييز اليقين في التفكير الإنساني موضوع المنطق، فكذلك تمييز الخطأ فيه يدخل في باب (م).

يؤثر عن الإمام الشافعي قوله: مثل من يطلب العلم جزافاً كمثل حاطب ليل يقطع حزمة حطب فيحملها، ولعل فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري.

ويقول شوبنهاور: يتوجب على من يدخل في مناظرة أن يعرف ما هي حيل الخداع ذلك أن من المحتم عليه أن يصادفها ويتعامل معها، عليك إذاً أن تلم إماماً جيداً بالمغالطات المنطقية حتى يتسنى لك أن تتجنب الطرق المسدودة أثناء الحوار. وتتعرف على النقالات الخاطئة في الجدل، وأن تظهر خصمك على الخطأ الاستدلالي الذي ارتكبه، بل أن تقيض لهذا الخطأ اسماً لكي يعلم الخصم أنك تجيد التفكير وتفهم حجته ربما أكثر منها كما أن كشف المغالطة وتسميتها وتحليلها من شأنه أن يقصي الحجة الباطلة من ساحة الجدل إقصاءً نهائياً، ولا يكفي بإضعافها أو تحجيمها. ذلك أن الخصوم المتمرسين بالجدل والمرء لديهم من الخبرة والمهارة ما يمكنهم من إنعاش حجتهم الجريئة وإعادة تجنيدها في حلبة الصراع.

أولاً: فن التعامل مع المغالطات:

كما أن الناس -الخصم الفكري أو السياسي والقضاة وجمهور الحاضرين- ليسوا جميعاً منطقة ملمين بفقهاء المغالطات وسبل كشفها وإقصائها، ومن ثم فإن عليك أن تتقن فن التعامل مع المغالطات وكشفها وإقصائها حتى لا تفشل حملتك وتأتي بعكس المرجو منها وتجعلك عرضة للتهكم والسخرية، عليك باختصار أن تجعل ردك جزءاً من مساق الحديث، غير ناشز أو مستغرب.

عليك أن تسمي المغالطة، ولماذا هي مغالطة، وأن تفعل ذلك بليوننة وخفة وإيجاز، دون أن تعلوك سيماء التعامل والتكلف والتحذلق.

عليك أن تذكر اسم المغالطة وفحواها كما لو كنت تعيد على مسامع القاضي الذي شيئاً بسيطاً يعرفه من الأصل، ثم تثني بمثال بالغ الوضوح يزيد مقصدك جلاءً وسطوعاً، ثم تختم حجتك وكأنك تداوي خصمك، وتفتح له طريقاً آخر للجدل غير مغالطته البائدة قل شيئاً كهذا.

"إن توجهك يا سيدي يتكىء بشدة على التأييد الشعبي وعلى فوزه الساحق في الاستفتاء الأخير لقد صوت أغلب الناس لهذا التوجه، نعم وهذا حقهم في بلد ديموقراطي يتولى فيه الشعب حكم نفسه وعلى مسؤوليته، غير أنه لا يجعل من الرأي السائد حقاً بالضرورة، إنه خطأ الاحتكام إلى عامة الناس كما تعلمون، إن عدد الأصوات المؤيدة ليس معياراً للحق، ولا يجعل الرأي حقاً بالضرورة فالحق والباطل لهما معايير أخرى تعرفونها، لقد قفز هتلر إلى السلطة من صناديق الاقتراع وقاد ألمانيا إلى الهاوية بتأييد شعبي عارم، لقد حظر الرق يوماً ما بتأييد الأغلبية في بعض الولايات الأمريكية، لقد كانت الأرض ذات يوم هي مركز الكون في اعتقاد الجميع عدا جاليليو، دعنا إذاً من هذه الحجة المغالطة، ولننصرف الآن عن التفكير بصندوق الاقتراع إلى التفكير بالعقل، يبقى أن حجتك الأكثر وجاهة وسداداً هي..."

التفكير النقدي مرحلة متقدمة من النمو المعرفي:

يقسم جان بياجيه مراحل النمو المعرفي للإنسان إلى أربع مراحل، يعدها بيولوجية عمومية تشمل أفراد البشر جميعاً:

المرحلة الأولى: هي المرحلة الحسية الحركية (من الولادة إلى سن سنتين)، حيث لا توجد بناءات ذهنية (مخططات) وحيث يسعى الرضيع إلى تكوين هذه البناءات من خلال استكشاف البيئة.

والمرحلة الثانية: هي مرحلة ما قبل العمليات (من سن سنتين إلى سبع) وفيها يكتسب الطفل اللغة، ويكون بناءات ذهنية أكثر تعقيدا وإن كانت قبل منطقية فلا يزال غير قادر على أن يفهم أن جوهر الشيء لا يتغير وإن تغير شكله وهيئته، ولا يزال غير قادر على فض المركزية أي الانفصال عن ذاته ورؤية الأشياء من منظور مختلف.

والمرحلة الثالثة: هي مرحلة تفكير العمليات العيانية (من سن سبع سنوات وحتى المراهقة) وفيها يتفهم ثبات الجوهر ويتخذ منظورات مغايرة، ويبدأ في التساؤل عن الحياة، ويحل المشكلات ولكن بشكل عشوائي. إنها عمليات منطقية، ولكنها لا تزال لصيقة بالعالم المادي العياني والأفعال المادية العيانية.

والمرحلة الرابعة: هي مرحلة العمليات الصورية وفيها تواتيه القدرة على التفكير المنطقي المعقد، والتفكير التجريدي غير المرتبط بالأشياء والأحداث المادية، والتفكير الافتراضي⁵، والحل المنطقي للمشكلات.

يقترح بعض المنظرين إضافة مرحلة خامسة أرقى من هذه المراحل الأربعة، هي مرحلة التفكير الجدلي: وهي مرحلة بعد منطقية إن صح التعبير وفيها يكتسب المرء التفكير النقدي، ويدرك مفارقات الحياة ويتناول الأسس التحتية التي يقوم عليها المنطق ويحللها ويضعها موضع التساؤل والنقد وهي مرحلة غير عمومية بيولوجية ولا يبلغها المرء إلا بالتعلم والتدريب والممارسة.

يتألف التفكير النقدي من ثلاث مراحل:-

1-الوعي بوجود افتراضات أساس.

⁵ الافتراض هو نقطة بداية مسلم بها دون نقاش أو جدل، أن ما بوسعك أن تثبته خلال نقاش أو حجة سيعتمد دائماً على الافتراضات التي تبدأ منها.

2-التصريح بهذه الافتراضات وإخراجها واضحة النهار.

3-تسليط أضواء النقد على هذه الافتراضات: هل هي ذات معنى؟

هل تنسجم مع الواقع كما نفهمه ونعيشه؟

متى تصح هذه الافتراضات ومتى تبطل؟

في غياب التفكير النقدي نكون رهائن للمؤثرات المحيطة، فلا يسعنا إلا أن نكرر، تكراراً أعمى، تلك الاستجابات التي تعلمناها من قبل، ولا يسعنا إلا أن نقبل قبولاً أعمى كل ما يقال لنا في أبواق الدعاية السياسية والتجارية، وفي الصحافة والكتب، وكل رأي يصدر عن سلطة.

إن التفكير النقدي والعلمي ليس شيئاً فطرياً نأتيه بالطبيعة ونعرفه بالسليقة، وإنما هو عمل حرفي يتطلب حذقاً ومهارة. ليس من الصحيح أن لدينا قدرة طبيعية على التفكير الواضح والنقدي بغير تعلم وبغير ممارسة، ولا ينبغي أن توقع من غير المدرب أن يجيد لعب التنس أو الجولف أو العزف على البيانو.

ذلك أننا إذ نمارس التفكير العلمي والنقدي إنما نمضي ضد مقاومة شديدة ونسبح ضد تيار عام من التحيزات المتأصلة والأوهام الجبلية ونتجشم اجتياز العديد من العوائق الطبيعية التي تحول بيننا وبين التفكير الواضح فنحن بطبيعتنا لا نتحمل الغموض ولا نطيق معايشة السر.

وإن بنا نزوعاً طبيعياً إلى طلب اليقين حيث لا يقين، والتماس الإجابات البسيطة عن الأسئلة المعقدة وشغفاً بالدعاوي العريضة ونظريات كل شيء محمولة على ظهر بينة ضامرة هزيلة وميلاً إلى الأخذ بالفرضيات التي ترضي رغائبنا وتدغدغ أمانينا والالتفات إلى أضغاث من الأمثلة التي تؤيد فرضياتنا وغض الطرف عن تلال

الأسئلة المفنّدة وإلى تذكر الرميات الصائبة وتناسي الرميات الخائبة وإلى أخذ الاستعارات التوضيحية والتشبيهات المقربة مأخذ الدليل وإلى الانضواء مع القطيع والتلفع بالرايات والانضمام إلى الزفة وإلى قتل الرسل بدلا من تنفيذ الرسالة وإلى التخلص من عبء البرهان وإلقائه على عاتق الخصم وإلى الاستدلالات الدائرية وتحصيلات الحاصل، وإلى التعويل الزائد على السلطة والانبهار الزائد بالمشاهير، وإلى التعميم الكاسح المتسرع وإلى تحويل التعاقب أو الاقتران إلى علة..... إلى آخر تلك الأغلاط التي نغرق فيها إلى الأذقان والتي يتناولها هذا الكتاب بالتحليل والدرس.

يمضي التفكير النقدي ضد هذه المقاومات الشرسة، فيحتاج إلى طاقة نفسية كبيرة غير مقصورة على الذكاء الذهني المحض، يحتاج إلى شيء من الذكاء الانفعالي، إلى التسامح والتعاطف والمواجهة والقدرة على أن يضع المرء نفسه موضع الآخر، ويرى الأمور من وجهة نظر الآخر، ويتخذ الإطار المرجعي للآخر، القدرة على اكتشاف ماذا يشبه أن يكون.

أن يعتقد المرء تلك الأفكار التي يضعها موضع التساؤل قبل أن يهتم بتقويضها، إنها رحلة طويلة شاقة، ليس فيها خرائط محددة غير أننا لا نعدم بعض المبادئ المرشدة.

- فكر بنفسك لنفسك، ذلك لأن التقدم في التفكير النقدي لا يتم إلا كرحلة فردية وكدح شخصي.

صحيح أن هناك سبلا كثيرة يمكن أن تجعل من الفلسفة جهدا مشتركا ومهمة جماعية، شأنها في ذلك شأن العلم إلا أن على كل شخص في النهاية أن يفكر لنفسه،

وَألا يكل إلى غيره أن يفهم نيابة عنه (افهم لي ذلك من فضلك هو نموذج لطلب مستحيل)

-اكتسب القدرة على الانفصال عن رأيك وموضعتة ووضعه على محك التحليل والنقد، مثلما تفعل مع آراء الغير.

-لا تصدق كل ما تسمع، ونصف ما ترى، ولا تبخل بمجهود من أجل الخروج من مركزية العرق من كهف الآراء الشائعة في عرف جماعتنا والتمييز بين حقائق العالم وأنت مجرد المسائرة لما تصادف أن يكون هو رأي الأسلاف أو اتفق أن يكون هو الرأي السائد في مسقط رأسنا وزمان وجودنا.

-كن على استعداد من حيث المبدأ، للتخلي عن رأيك إذا تبين خطؤه. اسأل سؤالاً حقيقياً، سؤال من يبحث عن الحق لا عن مجرد تبرير لما يعتقده سلفاً.
-تعلم كيف تسأل الافتراضات التي تتبطن الرأي وتضعها تحت أضواء النقد ليس ولعك بالأسس، وانتحائك إلى الأسس.

- لا تسقط رغباتك على الأشياء ولا تجعل أمانيك معياراً للحق. فأكبر الظن أن العالم لم يخلق من أجلها ولم يفصل على مقاسها.

خذ البلاغة، ولا تؤخذ بها وفرق دائماً بين الخطابة والبرهان. ولا يخلبك زخرف القول عن جوهر الحجة ولا تقف عند التشبيه البليغ وتظنه المحطة النهائية وتأخذه مأخذ الدليل.⁶

-لا تجعل من درجة حرارة الاعتقاد معياراً لصوابه، فكثيراً ما تتناسب قوة هذا الانفعال عكسياً مع قوة البينة، بحيث يمكننا تعريف التحيز غير المعقول بأنه: ما

⁶ وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة ترجمة عادل مصطفى. المشروع القومي للترجمة العدد 962 المجلس الأعلى للثقافة 2005 ص25.

يجلب الغضب عند مساءلته، ويمكننا أن نحدد مكنن تحيزاتنا بأن نلاحظ متى أخرجتنا الآراء الأخرى عن طورنا وأثارت غضبنا.

-ومهما بلغ نضجك في التفكير النقدي ستظل بحاجة أبدا إلى تحصيل العلم واكتساب المادة المعرفية التي تعمل فيها فكرك النقدي. ولا يغيب عن بالك قول رسل المنطق والرياضيات هما أجدية كتاب الطبيعة وليس الكتاب نفسه.

وأخيرا تعود صحبة السر وتذوق لذة التساؤل:

الأجوبة تنقلك وتطفئك وتجمدك.

وحدها الأسئلة ما يشوقك ويهزك ويحدوك وربما اقتضى المرء عمره كله كي يعرف أن هذا الشوق وهذا الولع هو الغاية القصوى والثروة النهائية.

السلح الأول المصادرة على المطلوب

وفسر الماء بعد الجهد بالماء

المصادرة على المطلوب هي التسليم بالمسألة المطلوب البرهنة عليها من أجل البرهنة عليها.⁷

وذلك بأن تفترض صحة القضية التي تريد البرهنة عليها وتضعها بشكل صريح أو ضمني في إحدى مقدمات الاستدلال.

وأنت بذلك تجعل النتيجة مقدمة وتجعل المشكلة حلاً وتجعل الدعوى دليلاً. وهو ضرب من الحجة الدائرية والاستدلال الدائري ليس مغالطاً في صميمه، ولكنه يغدو كذلك حيثما استخدم لكي يموه على فشل في حمل عبء البرهنة. وتنجم المشكلة حيثما كانت النتيجة المراد إثباتها مفترضة أصلاً داخل المقدمات التي يتعين على الخصم أن يسلم بها ويبدأ منها، ذلك أن الأصل في البرهان أن يكون أوضح وأوثق حين نختلف حول شيء فإننا نلجأ إلى شيء آخر لا نختلف حوله.

ونحاول أن نستدل منه على ذلك الشيء الخلفي ولكي تكون للحجة قوة أبستمولوجية أو دياكتيكية يتوجب أن تبدأ من مقدمات معروفة ومقبولة أصلاً لدى الحضور، ثم نتقدم منها لكي نستخلص النتيجة غير المعروفة أو غير المقبولة.

⁷ في تعريفات الجرجاني: المصادرة على المطلوب هي التي تجعل من النتيجة جزء القياس، ويلزم النتيجة من جزء القياس، كقولنا الإنسان بشر ضحكك ينتج أن الإنسان ضحكك فالكبرى ههنا والمطلوب شيء واحد إذ أن البشر والإنسان مترادفان. وهو اتحاد المفهوم. فتكون الكبرى والنتيجة شيئاً واحداً

وإما أن نصادر على المطلوب ونستند على ذات النتيجة الخلافية وقد تذكرت باعتبارها مقدمة، وأما أن ندور في حلقة مفرغة ونحاول أن نخلص إلى نتيجة تستند إلى مقدمات ملقمة بها أصلا (أي تستند إلى ذاتها) فهذا فكر عبثي فارغ لا يمكن أن يفضي إلى أي تقدم في المعرفة البشرية.

فتتلون المصادر على المطلوب بألوان كثيرة وتتخذ أشكالا متعددة، وتجيد التخفي أحيانا في هيئة يتعذر كشفها إلا على المنطقي الخبير. ومن أبسط صور المصادر على المطلوب وأكثرها شيوعا أن تجعل المقدمة صيغة أخرى من النتيجة المراد البرهنة عليها مثال ذلك:-

المثال الأول:

تستلزم العدالة أجورا مرتفعة، وذلك لأن الحق والصواب أن يكون الناس أقدر على الكسب الوفير (وهي لا تعدو أن تقول أن العدالة تتطلب زيادة الأجور لأن العدالة تتطلب زيادة الأجور)

المثال الثاني:-

يجب إلغاء المواد غير المفيدة كاللغة الإنجليزية من مقررات الكلية، وذلك لأن إنفاق اعتمادات مادة غير مفيدة للطالب هو شيء لا يقره أحد نحن أيضا لا نوافق على تبديد أموال في تدريس مواد غير مفيدة. غير أن الحجة هنا لم تثبت لنا أن الإنجليزية مادة غير مفيدة، وهو لب المسألة، وكل ما فعلته هو أن صادرت على المطلوب وكررت النتيجة في المقدمات، دون التفات إلى المقدمة المحذوفة في هذا القياس المضمر: وهي اللغة الإنجليزية مادة غير مفيدة

المثال الثالث:

أيما شيء أقل كثافة من الماء سوف يطفو فوقه، وذلك لأن مثل هذه الأشياء لا يمكن أن تغطس في الماء.

المثال الرابع:

ما دمت لا أكذب، فأنا إذا أقول الحقيقة قد يبدو للقارئ المبتدئ أن المصادرة على المطلوب مغالطة واضحة للعيان سهلة الانكشاف وليست بحاجة إلى دراسة وتحليل يختلف صعوبة حيث لا صعوبة.

غير أن الأمر ليس دائماً ببساطة الأمثلة السابقة. ويكفي أن نقول أن عقلاً بحجم عقل المعلم الأول ومؤسس المنطق الصوري قد ارتكب مصادرة على المطلوب بينها جاليليو، حينما أراد أرسطو أن يثبت أن الأرض في وسط العالم فقال:

الأجسام الثقيلة تميل بطبعها إلى مركز العالم والأجسام الخفيفة تبتعد بطبعها عنه. والتجربة تدلنا على أن الأجسام الثقيلة تميل إلى مركز الأرض والخفيفة تبتعد عنه إذاً مركز الأرض هو بعينه مركز العالم: (إن المقدمة الكبرى هنا فيها مصادرة على المطلوب، فإن التجربة تدلنا حقا على أن الأجسام الثقيلة تميل إلى مركز الأرض والخفيفة تبتعد عنه، ولكن من أين يقول لنا أرسطو أنها تميل إلى مركز العالم، إذا لم يكن يفترض أن مركز الأرض هو بعينه مركز العالم؟

وهذا هو المطلوب البرهنة عليه.

بديهي أن أرسطو كان ممتلئاً بمركزية الأرض وهو يصوغ هذه الحجة وأنه لمن العسير حقا أن تصوغ حججا منتجة لميول أيديولوجية أو التزامات انفعالية ولعل هذا هو السبب الذي يجعل السياسيين يخدعون الناس عن قصد ويخدعون أنفسهم عن غير

قصد، ويمطروننا بوابل من المصادرات على المطلوب التي تبدو دائماً كفرض عام يقدمونه لكي يدعم حالة جزئية.

بينما الحالة الجزئية لا تعدو أن تكون شطرا من ذلك الفرض العام، انظر إلى المثال التالي:-

يجب ألا نسمح ببيع هذه القطع من مقتنيات توت عنخ آمون إلى أي بلد أجنبي مهما كان الثمن وذلك لأن آثار مصر العظيمة ليست للتصدير نحن أيضا نأبى أن يباع أي شيء من الآثار المصرية مهما غلا الثمن غير أن الحجة لم تقل لنا لماذا. وكل ما فعلته هو أن أعادت صياغة النتيجة (لا بيع لبلد أجنبي) في المقدمة (لا للتصدير)⁸

ليس من المستغرب أن تكون أحفل الحجج بالمصادرة على المطلوب هي الحجج الأيدولوجية والأخلاقية. وذلك أن هذه الحجج تكون موجهة غالبا إلى الشكاك. وأنها تتفادى مجالات تفتقر بطبعها إلى قضايا وقائعية يلمسها الجميع، ومن ثم تكون المصادرة على المطلوب خطراً محدقا بها ومنزلقا سهلا وكثيرا ما تكون الألفاظ المستخدمة في هذه الحجج هي ألفاظ ملقمة (مشحونة) أي ألفاظ تختزن داخلها افتراضات خفية ونظريات بتمامها.

مثال ذلك:

(رجعي، انتحاري، استشهادي، ضحية، اضطهاد، إرهاب) وكأنها مصادرات جاهزة للاستعمال الفوري، يخوض المفكرون معاركهم وفي جعبتهم مخزون ضخم من هذه الألفاظ وبخاصة حين يريدون أن يخبرونا ماذا نفعل وكيف نسلك.

⁸ عبدالرحمن بدوي: المنطق السوري والرياضي الطبعة الخامسة وكالة المطبوعات الكويت 1981. ص244. لاحظ أن التصدير ما هو إلا البيع للبلد الأجنبي وقد صيغ بعبارة أخرى. وكان الحجة تقول ببساطة لا بيع لأنه لا بيع وهذا التبديل في الصياغة هو الذي يوهم بأن المقدمات تحمل شيئا مختلفا؟

أن الواجبات التي يريدون أن يفرضوها علينا إنما هي مخبوءة سلفاً في هذه الألفاظ المفخخة، تبدو هذه الألفاظ لأنها تصف وقائع خالصة لا شبهة فيها غير أنها تنطوي على ينبغية مطمورة في ثناياها وإلزام مضمر. ولكي تتم الخدعة يجب أن تبدو المصادرة على المطلوب في هيئة حجة أي تتلي بمفاصل منطقية من قبيل: لأن، حيث أن، بما أن، وبناء عليه، ومن ثم،... إلخ حتى لو كانت المسألة مجرد تكرار بسيط للألفاظ.

أمثلة:

المثال الأول:

ينبغي ألا نصدر أسلحة لماليزيا لأن من الخطأ أن نزود الأمم الأخرى بأدوات القتل. قد يبدو هذا كأنه حجة أو برهان، غير أنه مجرد إعادة صياغة لنفس العبارة بألفاظ أخرى.

من الخطأ أن = ينبغي أن

نزود = نصدر

الأمم الأخرى = الهند والصين وغانا وماليزيا إلى آخر قائمة الأمم

أدوات القتل = الأسلحة.

في ضوء هذا التحليل البسيط ينكشف أن الحجة لم تقل أكثر من : ق صادقة لا ق صادقة

المثال الثاني:

النجارة الحرة سوف نكون خيرا لهذا البلد

والسبب في ذلك واضح للغاية، أليس من الواضح أن العلاقات التجارية غير المقيدة سوف تغدق على هذا البلد كل ألوان المنافع والتي تنجم عندما لا تكون ثمة عوائق تعترض تدفق البضائع فيما بين بلدان العالم؟

لا يعدو الأمر هنا أيضا أن يكون إعادة صياغة أو تكرار للعبارة نفسها بألفاظ أخرى.

(لاحظ أن العلاقات التجارية غير المقيدة: هو تعبير مطول بعض الشيء عن التجارة الحرة، وأن بقية العبارة هي تعبير مطول أكثر من قولك خير لهذا البلد)

المثال الثالث:

السرقعة فعل غير مشروع، لأنها لو لم تكن كذلك لما كان جرمها القانون. تتظاهر هذه الحجة بأنها تبين السبب الذي من أجله تعد السرقعة خطأ أو عملا غير مشروع، غير أنها ليست أكثر من تكرار للقول نفسه بصيغة أخرى لا تعدو في نهاية التحليل أن تقول: السرقعة ضد القانون لأن السرقعة ضد القانون لا السرقعة ضد القانون أو السرقعة غير مشروعة لا السرقعة غير مشروعة.

المثال الرابع:

التلبثاتي (التخاطر) خرافة لا وجود لها لأن الانتقال المباشر للأفكار بين الأشخاص هو أمر مستحيل.

(التلبثاتي = الانتقال المباشر للأفكار بين الأشخاص، خرافة = مستحيل)

المثال الخامس:

إن السماح لكل إنسان بحرية مطلقة في الحديث ينبغي أن نعهده أمرا في مصلحة الدولة وذلك لأن من الأمور التي تصب دائما في مصلحة المجتمع أن يتمتع كل فرد بحرية كاملة غير منقوصة في التعبير عن عواطفه.

المثال السادس:

القتل الرحيم مقبول أخلاقيا: إن من اللطف والرحمة وحسن الخلق أن تعين كائنا إنسانيا آخر على أن ينجو من المعاناة والألم من خلال الموت.
لنضع ذلك في صورة مقدمة ونتيجة
من اللطف وحسن الخلق... إلخ أن تعين إنسانا من خلال الموت
إذاً القتل الرحيم مقبول أخلاقيا

والآن إذا نحن ترجمنا المقدمة سنجد أن القائل لم يعد في حقيقة الأمر أن كرر الشيء نفسه مرتين: من اللطف وحسن الخلق تعني شيئا قريبا جدا من مقبول أخلاقيا، تعين إنسانا آخر من خلال الموت تعني القتل الرحيم هكذا نجد أن الحجة لم تقدم لنا أسبابا عقلية تجعل القتل الرحيم مبررا أخلاقيا وتترك السؤال لدى المتلقي مفتوحا:

حسن، لماذا إذاً نعتقد أن القتل الرحيم جائزاً؟

المثال السابع:

الإجهاض هو القتل غير المبرر لكائن إنساني وهو من ثم قتل وما دام القتل جريمة نكراء فالإجهاض جريمة في كل الأحوال (نحن أيضا لا نريد إباحة الإجهاض دون قيد أو شرط، غير أن الحجة السابقة تجعل النتيجة متضمنة سلفا في المقدمات وتصادر منذ البداية بأن الإجهاض قتل غير مبرر دون أن تبين لنا لماذا كان ذلك).

الاستدلال الدائري

هناك أحوال أخرى فيها لا يفترض مباشرة صحة المطلوب معبرا عنه في المقدمات بطريقة أخرى، وأما الذي يفترض فهو شيء تتوقف صحته على صحة النتيجة، أي لا تمكن البرهنة عليه إلا بالنتيجة فيكون حينئذ دوراً، يمكن تجريد الصورة المنطقية لهذا الدور كالتالي:

أ صادقة لأن ب صادقة

ب صادقة لأن أ صادقة

نحن إذاً بإزاء شكل من أشكال المصادرة على المطلوب يعتمد فيه صدق الدعوى المقدمة على دليل يعتمد بدوره على الدعوى ذاتها التي تفترض أن يبرهن عليها. وبذلك يدور البرهان في دائرة مغلقة وتعتمد كل قضية فيه على الأخرى.

وقد تطول سلسلة الدائرة أكثر من ذلك بحيث تعتمد على تاليتها، وتعتمد القضية الأخيرة بدورها على الأولى فتغلق الدائرة ولا يتوافر خارج السلسلة دليل مستقل عنها:-

أ صادقة لأن ب صادقة.

ب صادقة لأن ج صادقة.

ج صادقة لأن أ صادقة.

ويعد الاستدلال الدائري مغالطة لنفس السبب الذي يجعل المصادرة على المطلوب مغالطة: وهو أنه لا يقدم لنا دليلاً مستقلاً عن الدعوى ذاتها وأنه يفشل في أن يربط لنا ما هو غير معروف أو غير معروف بما هو معروف ومقبول. وفقاً لقاعدة الأصل في البرهان أن يكون أوضح وأوثق معرفة مما يراد البرهنة عليه وكل ما يفعله الاستدلال الدائري هو أنه يقدم لنا مجهولين (أو أكثر) كل منهما مشغول بتعقب ذيل الآخر بحيث لا يتسنى له أبداً أن يصل نفسه بالواقع.

أمثلة:

المثال الأول:

الروح جوهر بسيط لأنها خالدة لا تتجزأ ولا تتحلل ولا تفسد
والروح لا بد لها من أن تكون خالدة لأنها جوهر بسيط

المثال الثاني:

أنا لم أفعلها أيها المعلم وزميلي علي يضمن لك صدقي
ولماذا يتعين علي أن أثق بكلام علي؟
علي؟! إني الضامن لك أنه صادق أيها المعلم

المثال الثالث:

نحن نعرف عن طبيعة الله وصفاته من القرآن ونحن نعرف أن ثقتنا في القرآن
مطلقة لأنه موحى به من الله.

المثال الرابع:

إنني أطلب أن تضطلع بهذه المهمة لأنني أقدر كفاءتك
وكيف أعرف أنك تقدر كفاءتي؟
هل كنت أطلب منك أن تضطلع بمثل هذه المهمة لو لم أكن أقدر كفاءتك؟

المثال الخامس:

هذه اللآلئ السبع التي سرقناها سوف نقسمها على ثلاثتنا: خذ أنت اثنين وأنت
اثنين: وأنا ثلاثا
ولم تستأثر لنفسك بثلاث؟
لأنني الرئيس
وما الذي نصبك ريسا علينا؟!

لأن لدى كل منكما لؤلؤتين ولدي ثلاث لآلىء أيها الغبي!
هل كل استدلال دائري هو مغالطة بالضرورة؟
إذا نظرنا إلى المنطق الاستنباطي للقضايا فإن المصادرة على المطلوب (ق إذاً ق)
صائبة استنباطياً. أين يكمن الخطأ إذاً؟
وكيف تكون المصادرة على المطلوب أو الحجة الدائرية مغالطة؟
إذا عدنا تاريخياً إلى المعلم الأول حينما تناول المصادرة على المطلوب تناولاً
مزدوجاً:-

في التحليلات (الأنالوطيقا) الأولى يتناول المصادرة على المطلوب في ضوء قوله
المأثور بأن البرهان يمضي مما هو أكثر يقيناً أو أوثق معرفة: فإذا حاول المرء أن يثبت
ما هو غير واضح ذاته عن طريق افتراضه والتسليم به بادية ذي بدء، فإنه بذلك
يصادر على المطلوب الأول، أو يسلم بالمسألة الأصلية. إنه يفترض ما ينبغي عليه
إثباته.

يعد هذا توصيفاً أبستيميا للمغالطة: فإن تصادر على المطلوب هو أن تنتهك المبدأ
الأبستيمي القائل بالأولوية المعرفية للمقدمات فوق النتيجة في أي برهان من
البراهين.

غير أن المصادرة من حيث هي واردة في نزاع جدلي بين طرفين عندما يطلب
صاحب دعوى ما ق إلى خصمه المعارض أن يسلم بـ ق كمقدمة عليه قبولها، ويعد
هذا توصيفاً جدلياً للمغالطة.

فهناك خمس طرق يمكن للحجة بها أن تصادر على المطلوب ويتفاوت تناوله
للمغالطة بعض الشيء بحسب السياق الذي يتناول فيه المغالطة: السياق الأبستيمي

(في تناوله للبرهان على سبيل المثال) أو السياق الجدلي ربما يكون ذلك هو الخيط الذي يمكن أن يوصلنا إلى فهم اللغة: متى تكون الحجة الدائرية خطأ منطقيًا؟ يبدو أن هناك عاملاً إضافياً يحسم أمر الحجة الدائرية ويحدد نصيبها من الصواب المنطقي ذلك هو السياق الجدلي الذي تسلك فيه الحجة. أو السياق ونعني به السياق الجدلي الذي تسلك فيه الحجة أو سياق الجدل القائم بين متحاورين لكل منهم التزاماته الاعتقادية الخاصة.

من هنا يجب أن نميز بين الدلالة والتداولية في المنطق مثلما التمييز بين السياق الأبستيمي (المعرفي) والسياق (الجدلي) أو علم دلالة الألفاظ، والمعاني، بأنها الدراسة التي تتناول علاقة العلامات اللغوية بالعالم الواقع خارج اللغة أما (التداولية) فتعرف بأنها العلاقة بين العلامات اللغوية ومستخدامها من بني البشر. فليست اللغة بأية حال شيئاً مخزناً بالمعاجم وكتب النحو، بل هي شيء في استخدام متصل بين بني الإنسان وللبشر طرائقهم في تداول اللغة فيما بينهم بما يتجاوز الدلالة المباشرة للعلامات، ويتجاوز النحو وتركيب الجملة مجد ذاته. من أهم الموضوعات التي تدرج في مبحث التداولية الأفعال الكلامية والإضمار الحواري.

والتفرقة بين المعجم والموسوعة وبين الاستعمال والذكر. وفي ضوء هذه التفرقة الأساس بين الدلالة والتداولية يمكننا أن نمضي فنقول أن الحجج الدائرية ليست مغالطة بالضرورة.

وإنما يتوقف الأمر على السياق الحواري للحجة وعلى الالتزامات الاعتقادية لدى المتحاورين يمكننا بتعبير تقني أن نقول أن المصادرة على المطلوب أو الحجة الدائرية

هي مغالطة تداولية أي قصور يتعين تقييمه بالنظر إلى الطريقة التي استخدمت بها الحجة في سياق حوارى معين لا تكون المصادرة على المطلوب

مغالطة إلا فشلت في تحقيق وظيفة مهمة من وظائف الحجة هي الوظيفة البرهانية أي إذا لم يتغير شيء في درجة الثقة التي يكتبها الخصم في النتيجة المعنية (المسألة المطلوب إثباتها) الأمر هنا يتوقف على ما يعتقده متلقي الحجة وعلى درجة الثقة التي كان يوليها للمسألة التي يبرهن عليها. الأمر هنا يتفاوت بحسب الالتزامات الاعتقادية الأصلية للطرف المتلقي. فإذا كانت الحجة تكرر النتيجة في المقدمات (أي تثبت المسألة بذاتها أو تفترض ما يطلب الخصم إثباته)

متوجهة بذلك إلى خصم لا يعتقد أصلاً في هذه النتيجة ولا يلتزم بها.

فإنها عندئذ لا تؤدي وظيفتها البرهانية المنوطة بها.

وهي بهذا المعنى وفي السياق تعتبر مغالطة.

ولمزيد من التبيان نقول أن من أهم وظائف الحجة الوظيفة البرهانية أي وظيفة إزالة الشك (أو خفضه) والتي تفترض الإطار التالي للحوار.

ثمة طرف (المتلقي) لديه شكوك أو تساؤلات تتصل بنتيجة معينة وثمة طرف آخر (صاحب الحجة أو الداعي) مهمته في الحوار هي إثبات هذه النتيجة إثباتاً يقنع المتلقي ويرضيه وفقاً لمقتضيات عبء البرهان المناسبة وللحالة المعنية. فالآن إذا طرح الداعي حجة دائرية من الصنف الذي لا يتسنى فيه خفض شكوك المتلقي أو تدعيم المقدمات إلا بإثباتها من النتيجة. عندئذ تكون الحجة مصادرة على المطلوب.

مثال ذلك:

هذا الحوار بين مؤمن وشاك.

سيظل القرآن الكريم إلى يوم القيامة محفوظا من كل التصحيف والتحريف.

ما الدليل على ذلك؟

الدليل أن الله يقول في كتابه العزيز "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"

من البين أن هذه الحجة تنطوي على مصادرة على المطلوب لأن المتلقي ليس لديه

التزام عقائدي بالقرآن ومن ثم فإن الدليل المطروح لا يضمن عنده أن يبقى القرآن

محموظا بما فيه إنا نحن.

أما عندما ترد هذه الحجة بحذافيرها في سياق تداولي آخر يجري بين داع مؤمن

ومتلق مؤمن أيضا ولديه التزام عقائدي بالقرآن، هناك تضطلع الحجة بوظيفتها

البرهانية وتكون حجة صائبة مائة بالمائة وبريئة من أية مصادرة على المطلوب،

هكذا تتجلى أهمية أن يتضمن الداعية منطق الجدل وألا يغفل لحظة هوية

المخاطب والتزاماته الاعتقادية المبدئية، وأن يتجنب تأييد المذهب من داخله

(المصادرة على المطلوب) ويلتزم دائما بالحجج التي تؤيد المذهب من داخله.

ها نحن بإزاء حجة واحدة (من حيث الصورة السيمانية) تصدر في حالة ولا تصدر

في أخرى، وذلك لاختلاف السياق التداولي.

إنها ترد في سياق تداولي تتكون مغالطة ومصادرة على المطلوب، وترد في سياق

تداولي آخر فتكون صحيحة لا شبهة فيها؟

نخلص من ذلك إلى أن المصادرة على المطلوب هي مغالطة تداولية بالدرجة الأساس.

ففي كتاب نسق في المنطق ذهب جون ستيوارت مل إلى أن جميع صور الاستدلال الاستنباطي ترتكب مغالطة المصادرة على المطلوب فالقياس يتضمن دوراً أو مصادرة على المطلوب.

لأن المقدمة الكبرى⁹ فيه تفترض صحة النتيجة. يذكر مل هذا القياس الشهير:

كل إنسان فانٍ

أحمد إنسان

إذاً أحمد فانٍ

هنا أيضاً يسعفنا تصور السياق التداولي محكاً لهذه المغالطة.

هل ثمة دور منطقي في القياس السابق؟

ذلك أمر يتوقف على ما إذا كان سياق الحجة يتضمن (ربما استقرائياً) بيئة على المقدمة الكبرى كل إنسان فانٍ مستقلة عن النتيجة، بيئة بيولوجية مثلاً على فناء الحيوانات. غير أن هذا يطرح سؤالاً مربكاً عن دور البيئة الخلفية في سياق الحجة ويعود بنا من ثم إلى مشكلة ما الذي يمكن أن يعد مقدمة لحجة معينة؟

أمثلة أخرى

للجنة الدائرية الخطة القومية

يذكر البريطانيون تلك الخطة الخطة القومية 1964-1970 وهي ممارسة للتخطيط الاقتصادي القومي الذي كان صيحة رائجة في ذلك الوقت فقد طلب من

⁹ الداعية بحكم التعريف هو من يدعو غير المؤمنين إلى الإيمان وعليه من ثم أن يراعي السياق التداولي لخطابه فلا يلجأ إلى تفسير المذهب بنفسه أو اثبات الماء بالماء وهو شرط لا يريد أن يفهمه كثير من الدعاة المخلصين ويقول أن المقدمة الكبرى كل إنسان فانٍ تفترض النتيجة مسبقاً يعني أننا لا يمكن أن نوقن بصحتها ما لم نكن موقنين بصحة النتيجة أحمد فانٍ فإذا كان من المشكوك فيه أن بنفس الدرجة على أقل تقدير أن جميع البشر فانون.

الشركات أن تتخذ معدل نمو قدره 3.8% وأن تقدر على هذا الأساس ما ستكونه خططها الخاصة للتوسع ثم أضافت الحكومة هذه التقديرات المختلفة. واستنتجت أن الخطط المشتركة للصناعة البريطانية توميء إلى معدل نمو قدره 3.8% لا غير كانت الخطة القومية لا قيمة لها وما تزال، اللهم إلا خبراء المغالطة المنطقية ممن يسعدهم الحظ بالحصول على نسخ منها لدى باعة الكتب المستعملة!

التحليل النفسي

تعج كتابات رائد التحليل النفسي وأتباعه بمصادرة على المطلوب تؤدي لدرس المنطق أضعاف ما تؤديه لدرس السيكلوجيا من خدمات ففي كتاب تفسير الأحلام يقول فرويد بالنص الحرفي أرادت مريضة أخرى (هي أمهر حالماتي) أن تنقض نظريتي في الأحلام. فأمكن أن يحل محلها حلا أقل تعقيدا وإن ظل متفقا مع ذات القاعدة أو عدم تحقق إحدى الرغبات معناه تحقق أخرى. وذلك أنني شرحت لها يوما أن الحلم يحقق رغبة فأتتني في اليوم التالي بحلم رأت فيه أنها تسافر مع زوجة أبيها لتقضي فصل الصيف في الريف وكنت أعلم أنها قد ثارت ثورة عارمة على فكرة المصيف قريبا من زوجة أبيها وأنها قبل ذلك بأيام قد أفلحت لحسن حظها في الإفلات من هذه الصحبة المخوفة فاستأجرت منزلا في الريف يبعدها عن حيث كانت امرأة أبيها كل البعد.

وها هو ذا الحلم قد أتى فإذا هو يقلب هذا الوضع رأسا على عقب. ألا ينقض ذلك نظريتي في تحقق الرغبة بوساطة الحلم.¹⁰

¹⁰ انظر على سبيل المثال تاريخ الفلسفة الحديثة للأستاذ يوسف كرم الطبعة الخامسة. دار المعارف القاهرة 1969 ص70.

أقطع نقضي؟ يقينا، ولا يحتاج المرء إلى أن يستخرج النتيجة التي تخلص من هذا الحلم لكي يحصل على تفسيره: أن الذي يخلص من هذا الحلم هو أنني كنت على خطأ وهكذا فقد كانت رغبتها هي أن أكون على خطأ والحلم يريها تحقق هذه الرغبة. يذهب أنصار التحليل النفسي إلى أن المشاهدات الإكلينيكية تؤوي نظرياتهم من حيث هي وقائع تجريبية تربط النظرية بالعالم ربطا اختياريا فتمنحها الصفة العلمية غير أن هذه الملاحظات الإكلينيكية. شأنها شأن كل الملاحظات الأخرى، هي تأويلات في ضوء النظرية ولهذا السبب وحده تكتسب مظهر المدعم لتلك النظريات التي في ضوءها فُسرت هذه الملاحظات أنها أشبه بثوب خلع من النظريات ثم خلع عليها فهاهم أنه انطبق على النظرية وأيدها تأييدا. وهو منطق معكوس يقع فيه كل من يقرأ فكرته ويتأولها في كل شيء ويراهها في كل شيء لأنه لا يرى إلا بها وهو منطق معكوس تجد له أمثلة لا تحصى في النظريات الميتافيزيقية التي تبدو الوقائع مؤيدة لها.

ولو دققنا النظر في هذه الوقائع لتبين لنا أنها اختيرت في ضوء النظريات عينها التي نريد اختيارها.

قلما يخضع التحليل النفسي للاختبار في الممارسة الحقيقية وحتى حين يعرض للاختيار فإن الاستدلال كثيرا ما يكون دائريا. بمعنى أن تفسير المعطيات نفسها يتطلب افتراض صدق النظرية مثال ذلك:-

ما ورد عن نتائج دراسة حول عقدة أوديب حيث كانت نسبة الفتيات أكبر من نسبة الأولاد بدرجة عالية الدلالة فيما يتصل بتخييل الصورة الذكرية ترتقي الدرج وتدخل الغرفة وهو بالطبع أقوى دليل على صدق نظرية فرويد.

حيث أن ارتقاء السلم في نظرية فرويد هو رمز للجماع مثل هذا مشكوك فيه إلى حد كبير لأن هذا الفرق المذكور بين الذكور والإناث لا ينهض دليلاً على صدق نظرية فرويد إلا إذا تبني التفسير الرمزي الذي يتضمن أن الفتيات يفكرن في الاتصال الجنسي بأبيهن أي ب مصادرة على المطلوب وما من نتيجة إلا ويمكن أن تكون مؤيدة إذا نحن أفرغنا عليها التفسير المطلوب تأييده.¹¹

وبعد، فمن شأن الحجة السديدة لإثبات دعوى معينة أن تقدم دليلاً مستقلاً لتبرير الاعتقاد بهذه الدعوى وأن تتجنب الاعتماد على الدعوى أو شطر من الدعوى لإثبات ذاتها. وما يكون لعاقل أن يفترض كدليل أو بيئة ذات الشيء الذي يحاول أن يثبته.

غير أننا كثيراً ما يجرفنا الانفعال الأيدلوجي والالتزام بصدق مذهبنا السياسي أو الأخلاقي ويعصب أعيننا عن رؤية أننا في حقيقة الأمر، نفترض مقدماً صدق ما نريد أن نبرهن عليه. ولذلك تجد المصادرة على المطلوب مرتعا خصباً لها في مثل هذه المجالات وحيثما فرغت ساحة من البراهين الصلبة والحجج الوقائعية المستقيمة استدعت الحجج الدائرية لتولي الأزمة واتخاذ اللازم ولو أن هناك براهين مقنعة على الأيدولوجيات المتكثرة تكثر الأهواء والمصالح، لكان عسيراً على ذوي العقول أن يختلفوا حولها ومن البين المتواتر أنه كلما توافرت للناس حجج أكثر قبولاً وصلابة زاد انصرافهم عن الحجج الدائرية لتبرير دعواهم، ربما تخدع المصادرة على المطلوب قائلها أكثر مما تخدع متلقيها. لأن المرء حين يكون مشرباً منذ البداية

¹¹ سيجموند فرويد تفسير الأحلام: ترجمة مصطفى صفوان المؤلفات الأساسية في التحليل النفسي بإشراف الدكتور | مصطفى زيور دار المعارف 1994 ص 17

بموقف ما فإن من السهل أن يتراءى له كل مكافئ أو صنوف لهذا الموقف كأنه برهانا عليه.

ثمة فرق بين أن تعتنق رأيا وبين أن تكون قادرا على تبرير هذا الرأي وعلى محبي الحكمة أن يتعلموا من درس الفلسفة أن هناك فرقا بين الموقف نفسه وبين الحجج التي يستند عليها الموقف ومن لم يتعلم هذا التمييز سيكون عرضة دائما للانخداع بمغالطة المصادرة على المطلوب.

السلاح الثاني

مغالطة المنشأ

الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فإنه أحق بها
خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت
وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها
فإن في الخمر معنى ليس في العنب

المتنبي

تولد الفكرة
تنهض على أرجلها الخاصة
تتوكأ على ذاتها
وتغادر بيت أبيها
ولا تعود نسقط بسقوطه
أو تنجرح بانجراحه
قوة الفكرة لا تكمن في الأصل الذي ينميها بل في المنطق الذي يزكيها وصواب
الفكرة لا يحدد مصدرها الذي منه أتت بل الدليل الذي إليه تستند.
ثمة فرق بين السبب الذي يجعل الناس تعتقد في شيء ما وبين السبب الذي يجعل
هذا الشيء حقاً أو صواباً.

في أمثل الأحوال يكون الحق مبررا للاعتقاد غير أنه لا ينذر أن تنعكس الآية ويستخدم المرء مصدر اعتقاده (مرده وأصله ومنشأه) كما لو كان دليلا على صدق هذا الاعتقاد فيقبل الشيء أو يرفضه بحسب أصل هذا الشيء ومصدره وموقع ذلك من نفسه بين القبول والرفض هناك يكون قد خرج عن الموضوع وتنكب الصلة ووقع في خطأ منطقي عتيد يطلق عليه المغالطة المنشئية

قد تعد المغالطة المنشئية ضربا من البخل لمعرفي أو الذهني.

فالبحت والتقصي لمعرفة التبرير المنطقي لاعتقاده قد يكون مرهقا ويتطلب وقتا وجهدا سخيا.

ونحن قلما نسخو بالطاقة الذهنية عندما تتوافر لدينا خيارات أقل كلفة. من ذلك أن ننظر في أصل الاعتقاد ونتخذه معيارا لتقدير الطبيعة من الصدق.

لعلنا قد تبينا هذا اللون من الاقتصاد الذهني عبر تطورنا النوعي لأنه يسعفنا في أحيان كثيرة وبخاصة عندما يكون الاستقصاء الدقيق بطيئا بدرجة خطيرة.

غير أن علينا أن نعترف أن هذه الآلية وأن تكون معينة على البقاء فهي ليست أوثق الطرق لاكتشاف الحقيقة.

بالإنسان إذاً ولع متأصل بمعرفة مصدر الحجة وقلما يولي الناس ثقتهم بآراء جاءت من مصدر يمقتونه بغض النظر عن المزايا الفعلية لهذه الآراء نفسها وكأنهم يقولون فلتذهب هذه الآراء إلى الجحيم مع أصحابها ربما لذلك تسمى هذه المغالطة أحيانا (لعن المصدر أو الأصل) يتناسى هؤلاء أن الحجة إنما تنهض على أرجلها الخاصة.

وتستند إلى معايير صدقها وتقف بمعزل عن أصلها ولا تستقي منه قوة ولا ضعفا.

تجد هذه الآلية الفكرية مرتعا خصيبا في عالم الأفكار الرائجة والصيحات الفكرية السائدة، فيكفي أن تجلس في جمع من أدعياء الثقافة وتقول هكذا قال رولان بارت أو جاك دريدا أو هكذا يذهب تيار ما بعد الحداثة لكي يحظى قولك بالإكبار والإعجاب.

كذلك حين تأتي التزكية للفكرة، أو للعمل، من مصدر ذي مكانة واعتبار فلا تدرك وجاهتها إلا منعكسة من وجهة المصدر، كأنما تستعير منه الهيبة والجدارة يذكر أن طاغور عندما أسندت إليه جائزة نوبل تنادى قومه لتكريمه والاحتفال به فقال في شيء من الاستهانة والازدراء إنهم يكرمون التكريم، أي أنهم لم يفتنوا إلى قيمته من قبل، وإنما جاءوا لتكريمه بعد أن جاءته جائزة نوبل.

وفي محاوره فايدروس لأفلاطون يبين سقراط حجة معينة باختراع أسطورة صغيرة عند المصريين القدماء، فيرد عليه فايدروس بقوله إن بوسع سقراط بطبيعة الحال أن يخترع قصصا عن المصريين القدماء أو عن مكان يشاء عندئذ يرد سقراط على هذا النقد باختراع أسطورة إضافية.

يروى أن أولى النبوءات قد صدرت عن شجرة بلوط في محراب زيوس في دودونا ولم يكن الناس قديما في بساطتهم على شاكلتكم معاشر الشباب في فلسفتكم بل كانوا يستنكفون أن يسمعوا الحقيقة أما أنت فلا تقتنع فيما يبدو بما إذا كان شيء ما حقا أم لا، بل يعنك من القائل ومن أي بلاد تأتي الرواية وفي هذه الفقرة يذكرنا سقراط بأن ما تعيننا معرفته عن عبارة معينة هو ما إذا كانت حقا أم باطلا، أما المصدر الذي جاءت منه العبارة، سواء كان شجرة أو صخرة أو أسطورة مصطنعة خصيصا، فأمر خارج عن الموضوع.

وفي كتابه النقد الفني يصوغ جيروم ستولنيتز المغالطة المنشئية (مغالطة الأصل) صياغة محكمة فيقول:

وبالاختصار فإن منشأ س شيء، وس ذاتها شيء آخر وما إن تبدأ س في الوجود حتى تصبح لها حياة خاصة بها، إن جاز التعبير وسوف يصبح لها _شأنها النظرية أو الكائن البشري_ تركيب وقيمة، وتدخل في علاقات مع الأشياء الأخرى، لا يمكن فهمها تماما من خلال أصلها الأول فلا بد لنا من دراسة هذه السمات لكي نعرف
كنهها¹²

أمثلة:

إن مستشار ألمانيا الحالي كان طفلا في الثالثة عندما كان هتلر في السلطة وبالنظر إلى هذه الخلفية فإن خطة الإصلاح التي يقدمها ستكون برنامجا نازيا بالضرورة. كيف تسمح لنفسك أن تتخذ خاتم زواج (دبلة) وأنت تعلم أن هذا الرمز يعود إلى أصول بدائية همجية عندما كانت المرأة تسلسل من أعقابها بعقال، كالدواب المملوكة له، حتى لا تفر من زوجها؟

إن هذا الدواء مستمد من نبات سام، فهو إذاً سيضر بي أشد الضرر إذا استعملته حتى لو كان طبيبي ينصحي بذلك (الخطأ هنا هو في الانتقال غير المشروع من أصل الدواء (النبات السام) إلى استنتاج أنه سام بالضرورة في أي شكل وأي موقف) اليوجينا (تحسين النسل) ضار على نحو مطلق، والعبث بالجينات عمل فاشي نازي، هكذا كان هتلر يحاول من قبل، فكيف نمضي في شيء بدأه شخص مثل هتلر؟!

¹² هكذا غني طاغور، ترجمة خليفة محمد التليمي- الدار العربية للكتاب - تونس - ليبيا، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1989، ص 10

مصدر النظرية العلمية

مصدر النظرية العلمية هو أمر لا صلة له البتة بوضعها العلمي، أي بتحديد ما إذا كانت النظرية العلمية أم لا، فالنظرية لا تكون علمية ما لم تكن قابلة للتكذيب يستوي في ذلك أن تكون النظرية قد جاءت من المختبر أو من نفحة إلهام بالطبع قد تكون إحدى الطرق أكثر خصوبة من غيرها كوسيلة لإنتاج نظريات أصلية، ولكن هذا لا علاقة له بالسؤال عما إذا كانت عبارة ما هي عبارة علمية أو غير علمية ولا علاقة لها بالسؤال عن مدى أصالتها العلمية إن كانت عبارة علمية ليست هناك بطريقة آلية يمكن بها للعلم أن يحقق تقدما وبوبر في ذلك يرخي العنان للتأمل الخيالي الجريء فالعلم ليس أقل احتياجا للخيال من أي فن آخر من الفنون وفي معرض النقد لفرويد لم نأخذ الطريقة في الكشف ولم يعرض لهذا الأمر قط فهو لا يعنيه مصدر النظرية بل يعنيه منطق الاختبار، وهو لا يسأل العالم من أين جاء بنظريته بل يسأله عما أعد لها من اختبارات قاسية وقد لاحظ أينشتاين من قبل أنه بينما يمكن للنظرية أن تختبر بالبيئة فليس هناك طريق من البيئة إلى النظرية ويظهر لنا تاريخ الممارسة العلمية على أن الاقتحامات الكبرى للعلم تأتي عن طريق الحدس. ثمة دائما قفزة إبداعية تتجاوز المعلومات المتاحة وتضيف إليها شيئا ما مستجدا، وأحيانا ما تأتي الاستفادة من الأحلام بالمعنى الحرفي... أحيانا ما يحلم العلماء بنظرياتهم حلما!

وفي كتابهما الإبداعية العالية: تحرير اللاوعي من أجل انطلاق الاستبصارات يعرض وليز هارمن وهوارد راينجولد عددا هائلا من الأحلام العلمية، مثل حلم كيكولين بينينة حلقة البنزين، إذ رأى في منامه أفعى تعض ذيلها (وقيل عدة أفاعي تعض كل

واحدة ذيل تاليتها)، وحلم نيلز بور بالنظام الشمسي كنموذج للذرات، وحلم ديمتري مندليف بالجدول الدوري للعناصر.

لا يمكن مصدر النظرية مما يعني بوبر من قريب أو بعيد فلتأت النظرية من حيث تأتي، المهم أن تكون علما، أي قول يحمل بناء عن العالم المحدد الذي وجدنا فيه، ويحمل في تضاعفيه تنبؤات قابلة للاختيار¹³

ويذكر أن نظرية التطور خطرت لألفريد والاس بينما كان في حالة هذيان ومن الأحاديث الشهيرة ما يؤثر عن أرشيميدس من أنه توصل إلى مبدأ الثقل النوعي وقانون الطفو (الإزاحة) بينما كان يغتسل، فقفز من الحمام صائحا وجدتها!

منشأ الدولة

أصل منشأ الدولة يرجع إلى العداوة والمنازعات المستمرة بين أشخاص أنانيين، يعيشون خارج نطاق أي نظام اجتماعي، وأن الدولة تنشأ من محاولة من الحد من هذه العداوات. ولكن حتى لو صح هذا، لما كان تفسيراً بالضرورة لطبيعته في الوقت الراهن.

فمن الممكن أن تتجاوز الدولة نطاق وظيفتها الأصلية، وتضع لنفسها أهدافا مختلفة كل الاختلاف وتركيبا من نوع آخر.

وعندئذ لا يمكننا القول أن من طبيعة الدولة ذاتها أن تقوم بالقمع والتنظيم فمن الممكن أن يكون تبرير سلطتها مختلفا كل الاختلاف عما تصوره هوبر الذي انتهى إلى موقفه هذا استدلالا من وصفه المنشأ.

¹³ جيروم ستولينتز: النقد الفني -دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة: د. فؤاد زكريا، الطبعة الثانية الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1911، ص 24 كارل بوبر، مصدر سابق ص 75-76

منشأ العمل الفني

في مجال تذوق الأعمال الفنية وتفسيرها وتقييمها، تكون عرضة بصفة خاصة لارتكاب المغالطة المنشئية.

وذلك حين باهتمامنا كله إلى حياة الفنان وشخصيته وسيرته الذاتية ونظن أننا بذلك نقارب العمل مقارنة فنية جمالية، بينما نحن نبتعد عن عالم الفن بقدر ما نلج في عالم الفنان الشخصي ومفردات حياته ليس يهمننا من وجهة النظر الجمالية، هو تاريخ العمل وظروف نشأته، وإنما العمل ذاته، واقفا على قدميه قد يتمكن الباحث الفرويدي، على سبيل المثال من أن يبين كيف دخل التخيل في العمل ذاته غير أن هذا لا يؤدي في ذاته إلى تفسير قيمة العمل، فالعمل ليس مجرد تخيل وإنما هو تخيل صيغ وشكل في بناء فني وباستخدام وسائل فنية.¹⁴

وهو قد أصبح جزءا لا يتجزأ من نموذج من الألوان أو الأصوات أو الكلمات. فعلينا ألا ننسى أبدا عناصر العمل التي تجعله على ما هو عليه في طبيعته الباطنة كذلك يمكن أن يؤثر نوع متشابه من الإحباط (على مذهب فرويد) في فنانين مختلفين وقد يتحيلان إشباعا بديلا من نوع مماثل إلى حد بعيد ومع ذلك فإن الأعمال التي يبدعها قد تكون مختلفة تماما من حيث القيمة. فيكون أحدهما ضئيل القيمة والآخر عظيما.

وعندئذ يكون ذلك راجعا إلى عوامل مثل الجاذبية لا يمكن أن تأتي في العمل الفني لا في منشئه.

¹⁴ النقد الفني، ص124

وما إن نفهم المغالطة المنشئية حتى يصبح كلامنا وتفكيرنا أشد حذرا ودقة: إذ أن هذا الفهم يجعلنا نحذر الاستدلالات المتسعة، غير النقدية، من حياة الفنان وطبيعة عمله، فليس في وسعنا أن نفترض بسهولة أن كون الفنان في حال نفسية معينة في وقت الخلق الفني يؤدي بالضرورة إلى انعكاس هذه الحالة النفسية على العمل، ذلك أن للعمل طابعا خاصا به.

بل إن هناك في الواقع فارقا هائلا بين الحالة النفسية التي تشيع في العمل، وبين حالة الفنان في وقت خلقه لهذا العمل.

من ذلك أن السيمفونية الثانية البهيجة لبيتهوفن كتبت في وقت كان يعاني فيه ألما شخصيا مبرحا ومن ذلك أيضا شهادة نشايكوفيسكي الشخصية إذ يقول إن العمل الذي يؤلف في أسعد الظروف قد يصطبغ بألوان قاتمة كثيبة وهناك شهادة أخرى لكاتبة أمريكية كبيرة

هي كاترين أن بورتير، تفرق بدورها بين الحالة النفسية للخلق وبين العمل الفني فتقول:-

ليس في وسعي أن أقول لك ما الذي يضيف على العمل حرارة حقيقية، إنها ليست متعلقة بما تشعر به في أية لحظة بعينها، وليست قطعا متعلقة بما تشعر به لحظة الكتابة وربما كان البرود هو أنسب الحالات لذلك في معظم الأحيان.¹⁵ كذلك ينبغي تجنب مغالطة الأصل عندما يكون العامل المنشئ اجتماعيا لا شخصا.

مثال ذلك:

أن كثيرا من موضوعات الفن البدائي التي نضعها في المتاحف كانت في الأصل تستخدم في الحياة اليومية ومع ذلك لا يمكننا القول أن النظر إليها بطريقة جمالية، بدلاً من الطريقة العملية، ينطوي على تشويه لطبيعتها الحقة، ففي هذا القول خلط بين الموضوع، الذي يمكن النظر إليه على أنحاء شتى وبين منشئه.

المنشأ السيكولوجي (والاجتماعي) للأفكار

ليس هناك أدنى شك في أن العوامل الاجتماعية والنفسية ضالعة في نشأة الأفكار والمذاهب، وأن فهم هذه العوامل هو شرط لا بد منه لفهم هذه المذاهب وتقييمها. وقد ديج (فيلسوف القرن) برتراندسل سفرا ضخما في تاريخ الفلسفة أسماه: تاريخ الفلسفة الغربية: وصلته بالظروف السياسية والاجتماعية منذ أقدم العصور إلى اليوم (نعني أنه عرف صلة هذه الظروف بفكر الفلاسفة، ولا نعني أنه اقتصر عليها)

غير أن الاقتصار على تقييم الأفكار وفقا للظروف الاجتماعية التي اكتنفتها والدوافع السيكولوجية التي أوقدتها، والاكتفاء بتحليل هذه الدوافع كبديل عن تناول الحجج ذاتها يعد سقوطا مزريرا في المغالطة المنشئية فإذا أمكن لعلم النفس أن يكشف شيئا عن الآليات السيكولوجية التي كانت تعمل بنفس المفكر وهو يبدع مذهبه، فإنه يقف أعزلاً أمام البناء الاستنباطي للمذهب والنسيج المنطقي للأفكار فإذا ما بزغ له مبحثه السيكولوجي أن يعمل أدواته ومقولاته في تلك الأقاليم المنطقية فإنه يهزل ويهترئ، ويغرب ويغترب ويقع في خطأ مقولي فاضح فيصف الشيء بما لا يوصف به.

هذا ما يمكن أن يحدث في أمثل الأحوال ومع أعتى علماء النفس وأفقههم، أما ما يحدث في الواقع الفعلي ويغيثنا كل يوم في الجرائد والكتب والدوريات ووسائل الإعلام فهو ضرب من السيכולوجيا الشعبية الركيكة التي ترتجل الديناميات النفسية ارتجالاً وتكتفي لتنفيذ الفكرة بإلصاق دوافع سلبية لا دليل عليها بدلاً أن تكون دليلاً على خطأ الفكرة.

هذا معارض للحكومة لأنه عانى في طفولته من علاقات متعسرة مع والديه أدت به إلى صعوبة في تقبل كل صورة والديه.

وهذا نشأ في أسرة معدمة، أو أسرة ثرية بورجوازية، وهذا تعرض للإيذاء في طفولته الباكرة، وهذا أفرط أبواه في تدليله (أو تعكيره).

وهذا كان أبوه قاسياً أو (لينا) ... إلخ

ومهما تكن أوضاع الخصم فلن تعدم أو تقيض له دوافع سيכולوجية توظف لتقويض فكرته.¹⁶

¹⁶ المقولة في المتافيزيقيا تعني فئة جنسي، عائلة، نوع،... إلخ وهو مصطلح يستخدم ليبدل على شريحة أساس في تصنيف الواقع. وأن ترتكب خطأ متوالياً هو أن تقتنر بأشياء من تصنيفات مختلفة لا يجوز عقلاً أن تجتمع. مثال ذلك أن تقول: أعداد حمراء. فضائل بديئة قضايا غير قابلة للأكل (وليم إيريل مدخل إلى الفلسفة)

السلح الثالث

التعميم المتسرع

ولا تشيد صرحا من الأوهام المزعجة على أساس غير متين من
ملاحظاته الناقصة

شكسبير – عطيل

ما نكاد نتلقي حبه من الوقائع حتى نشيد منها قبة من التعميمات
جوردور أولبورت

تقول الديكة الرومية:

الفلاح قدم الذرة لنا اليوم

الفلاح قدم الذرة لنا أمس

الفلاح يقدم لنا الذرة منذ أشهر عديدة

الفلاح سيظل يقدم لنا الذرة إلى الأبد

الفلاح يحبنا ويحرص على حياتنا وراحتنا

افترض أنك كنت في مكتبة فلاحظت أن الكتب المرصوفة في قسم معين تتضمن

عناوين مثل ميرامار، وبين القصرين، المعذبون في الأرض، عودة الروح، وإسلاماه

شيء من الخوف، سارة، بين الأطلال، قد تستنتج من ذلك أن كل، أو أغلب الكتب

في هذا القسم هي في الرواية، وأن مقدمتك تقوم على ملاحظتك لمجموعة بعينها من

الكتب وأن نتيجتك معممة لتشمل المجموعة الأكبر من الكتب التي يشتمل عليها هذا القسم من المكتبة.

هذه هي عملية التعميم الاستقرائي التي من خلالها نستمد خصائص فئة كلية من خصائص عينة من هذه الفئة، أو نستخلص نتيجة حول جميع الأعضاء في مجموعة ما من خلال ملاحظات عن بعض أعضاء هذه المجموعة:

ملاحظة 1: س 1 يتسم بالخاصة ص

ملاحظة 2: س 2 يتسم بالخاصة ص

وهكذا

إذاً كل س يتسم بالخاصة ص

يستخدم التعميم الاستقرائي في مجالات كثيرة مثل البحث العلمي والمسح الاجتماعي واستطلاعات الرأي السياسية... إلخ

غني عن القول أن ملاحظة جميع الأفراد (المجتمع الأصلي)

في المجموعات الهائلة العدد هو أمر صعب ومكلف وكثيرا ما يكون مستحيلا عمليا.

الأمر الذي يلجئنا إلى إجراء أخذ عينة وفحص هذه العينة لتبين خصائصها، ثم تعميم هذه الخصائص على جميع أعضاء المجموعة الأصلية (المجتمع الأصلي) ولكي يكون هذا التعميم صائبا أو قريبا من الصواب ينبغي أن تكون العينة ممثلة للمجموعة بكاملها غير متحيزة لجانب دون جانب أو مأخوذة من ركن دون ركن. هناك طرق كثيرة لاختيار العينة بحيث تقترب من النموذج المثالي لما ينبغي أن تكونه العينة مثل طريقة الاختيار العشوائي ولكي توصف العينة بالعشوائية لا بد

من أن تخضع للقرعة وأن تكون أمام جميع أفراد المجتمع الأصلي المدروس فرص متساوية للوقوع في العينة.

والطريقة الثانية

هي أخذ عينة طبقية بحيث تكون ممثلة للمجتمع الأصلي أو المجموعة الأصلية ومستلة من جميع أطرافها وتضاعيفها وزواياها: فتشتمل على فئاتها كافة وعلى خصائصها الأساسية وبنفس نسب تواجدتها في المجموعة الأصلية.

فاذا كانت المجموعة الأصلية تتكون من ثلثين من الذكور وثلث من الإناث وكان نصفها من القاهرة وربعها من شمالها وربعها الباقي من جنوبها لتوجب أن تكون هذه النسب جميعا منطبقة أيضا في العينة.

والطريقة الثالثة

هي أخذ عينة (عشوائية أو طبقية) ثم العودة لأخذ عينة أخرى على أقل تقدير بعد انقضاء مدة دالة من الزمن، ومقارنة العينتين لتبين أي تغييرات طرأت بذلك تكون العينة أكثر إحاطة بالمجتمع المدروس لأنها تمثل أفرادها في أكثر من مدة زمنية واحدة.

يميل الناس كثيرا إلى التحيز في أخذ العينة، إما بسبب ميلهم (عمدا أو غير عمد) إلى التماس العينات التي توافق نظريتهم، وإما بسبب الرعونة والكسل والاستسهال الذي يدفعهم إلى انتقاء ما هو مواتٍ قريب المأخذ ويصرفهم عن بذل العناء والوقت من أجل استخلاص عينة صحيحة.

هب أن لديك دلوًا به كريات من البلي حمراء وخضراء وصفراء وبيضاء.
إن عينة مكونة من ثلاث كريات من المحال أن تمثل المجموعة الكلية أيا كان عددها.

وفي المقابل، هب أن لديك قدرا ضخما من الحساء أو من المعكرونة قيد الطبخ إن بإمكانك الحكم عن ملوحة الحساء بتذوق ملعقة واحدة وبإمكانك الحكم على درجة نضج المعكرونة بتذوق واحدة منها.

ذلك أن التجانس تام في هاتين المجموعتين بحيث تكفي عينة مكونة من فرد واحد للحكم على الكل كذلك الحال بإزاء مجموعة كبيرة من الفئران المستنسخة التي يكاد كل فرد منها يطابق الآخر مطابقة تامة. ولعلك الآن قد تبينت الصعوبة الكامنة في تحديد كم العينة التي تعد كافية لتمثيل مجتمع من المجتمعات أو مجموعة من المجموعات.

والذي قد يتطلب تقنيات إحصائية ورياضية معقدة، ويبقى رغم ذلك أمرا غير يقيني ويهيب بملكة الحكم لدينا وربما باعتقاداتنا المسبقة عن أفراد المجموعة المعنية.

ويزداد الأمر تعقيدا عندما نكون بإزاء مجموعة ضخمة مترامية الأطراف متعددة الأطياف غير متجانسة هناك يتطلب الأمر شرطا آخر بالإضافة إلى حجم العينة: أن تكون ممثلة كيفيا أي عشوائية وطبقية تتوزع بالقسطاس على المجموعة المفحوصة بحيث تمثلها بكل نواحيها وأرجائها.

إن ثمانية شبان متحلقين على طاولة في مقهى أرستقراطي لا يمكن أن يكونوا عينة كافية لتحديد الميول السياسية داخل بلد بأكمله تلك عينة كافية من جهة وغير عشوائية ولا طبقية من جهة أخرى.

من الأمثلة التاريخية الصارخة لعينة غير موفقة لا بسبب صغرها بل بسبب تحيزها وعدم تمثيلها للمجتمع الأصلي، وذلك الاستطلاع الذي قامت به مجلة

لايتراردايجست قبل الانتخابات الأمريكية عام 1936 لمحاولة التنبؤ بمن يفوز
بالرئاسة فرانكلين روزفلت أم الفريد لاندرون
حيث جمع مليونان وثلاثمائة ألف رأي كانت نتيجتها تشير إلى فوز لاندرون
بأغلبية كبيرة وقد جاءت نتيجة الانتخابات الفعلية مخيبة لهذا الاستطلاع إذ فاز
روزفلت بأغلبية 60٪، فأين كان يكمن الخطأ.

كانت المجلة ترسل بطاقات الاستطلاع إلى أسماء اختارتها عشوائيا من واقع دليل
التليفونات ومن قوائم المشتركين في المجلة نفسها ومن قوائم مالكي السيارات
المشكلة أن مالكي الهواتف والسيارات ومشتركي المجلة كانوا في الأغلب من الطبقة
الأعلى دخلا من المجتمع الأمريكي في زمن كان فيه مستوى الدخل ذا صلة قوية
بالميول السياسية والحزبية ومن ثم فعلى الرغم من ضخامة العينة المختارة فإنها
كانت عينة متحيزة غير ممثلة للمجتمع الأمريكي بجميع شرائحه وطبقاته.
يفضي هذا أن الخطأ نفى عملية اختيار العينة (الصغر والتحيز) إلى ما يسمى
مغالطة التعميم المتسرع.

أمثلة للعينة غير المثلة كميا (الصغيرة | غير الكافية)

المثال الأول

كلما شاهدت الأخبار في هذه القناة الفضائية وجدت زنوجا يجري القبض عليهم
لجرائم سرقة إذاً جميع الزوج، أو معظمهم، لصوص.

المثال الثاني

جلست إلى هذه الصديقة ثلاث مرات، وتبين لي في كل مرة أن مزاجنا مؤتلف
وذوقنا متفق في كل شيء، إذاً هذه أصلح امرأة في العالم لأن تكون زوجة لي.

المثال الثالث

تزوجت مرتين وفي كل مرة كان زوجي يطمع في ثروتي ولا يخلص لشخصي ولذا قررت ألا أتزوج إلى الأبد لأن الرجال كلهم يفتقرون إلى النزاهة والإخلاص.

المثال الرابع

ما كدت أخطو خطوتين في مطار لندن حتى وجدت موظف الجمارك دمثا ودودا، وعندما خرجت وجدت سائق الأجرة مبتسما كريما: فعرفت أن الإنجليز شعب طيب مفرط في الود والسماحة (يقول المثل المصري: لا تدم ولا تشكر إلا بعد سنة وستة أشهر)

المثال الخامس

لماذا كل هذه الجلبة التي تثيرها لي كلما انعطفت بالسيارة على طريق رئيس؟!
إنني أقود سيارتي منذ عشر سنوات ولا أتوقف عند منعطفات الطرق الرئيسة ولم أصب بحادث واحد؟

المثال السادس

كان صديقا مثاليا لي طيلة عقدين من الزمان ولكن منذ عبس في وجهي في ذلك الاجتماع الكبير أيقنت أنه ليس بالصديق الوفي، وقررت أن أتركه:
يقول المتنبي:

فإن يكن القتل الذي ساء واحدا

فأفعاله اللائي سررن ألوف

المثال السابع

كانت جدتي تعاني من هذا الألم اللعين نفسه وقد وصف لها خل التفاح ممزوجا بصفراء العجل، فلما تناولته شفيت على الفور، ولم يعد ينتابها هذا الألم. فلماذا

تذهب إلى الأطباء وتبدد نقودك وتدخل نفسك في دوامة موبقة من الفحوص والعمليات لن تخرج منها إلا إلى القبر.

المثال الثامن

فشلت هذه المرأة في أول طلعة لها وهذا دليل على أن النساء لا يصلحن لقيادة الطائرات المقاتلة.

أمثلة للعينة غير الممثلة كيفيا (المتحيزة)

المثال الأول

استطلعنا رأي مئتي طالب بمدرسة المساعي المشكورة فأجمعوا على أن امتحان الرياضيات كان عسيرا جدا هذا العام، ولذا قدمنا مذكرة عاجلة بذلك للوزارة للنظر في تعديل النتيجة

المثال الثاني

التفاحات على وجه الصندوق تتألق نضرة وبهاء. إذاً جميع التفاحات في الصندوق من الصنف الممتاز.¹⁷

المثال الثالث

يقينا أن دخل المحامين في مصر مرتفع جدا هناك 15 فيلا فاخرة في مارينا يمتلكها محامون مصريين

المثال الرابع

في استطلاع ضخم في الإسكندرية وبورسعيد تبين أن اثنين وثلاثين بالمائة ممن شملهم الاستطلاع يقضون شهرا على الأقل كل عام على شاطئ البحر إذاً يمكننا أن نستنتج أن حوالي ثلث سكان مصر يقضون شهرا على الأقل في البحر.

¹⁷ وقريب منه قول ابن الرومي أذكر النفس مئتي من محاسنهم إذا ذكرت ذنوب القوم أهدانا.

السلاح الرابع

النصوع المضلل

يلحق بالتعميم المتسرع ما يعرف ب(النصوع المضلل) حيث يؤخذ مثال واحد (أو حفنة من الأمثلة) بأكثر من دلالة الإحصائية بسبب وهجه ودراميته.

يعود ذلك إلى الأثر النفسي الذي يتركه الحدث الدرامي في الزهن، وكأنه يقوم في حساب الذاكرة مقام عشرة أحداث عادية خاملة.

يعزو السيكولوجيون هذا الأثر النفسي إلى فرضية كشفية معرفية من ذلك أن شخصا نجا من حادث تحطم طائرة قد يميل حقا إلى الاعتقاد بأن معدلات كوارث الطيران أكبر من معدلات غيرها من الكوارث، وأن السفر بالطائرة أخطر من السفر بأي وسيلة أخرى وإن كانت الإحصائيات تقطع بخطأ في الاعتقاد.

وبعد، فحين يسمح المرء لعقله أن يشيد تعميمات عريضة على أساس معلومات شحيحة أو أدلة هزيلة أو أمثلة قليلة أو عينة غير ممثلة فلن يعيبه أن يقبض أدلة لكل شيء ويجد بينة لأي دعوى مهما بلغت من البطلان والسخف ولن يعجزه أن يؤيد أي شيء يميل إلى الاعتقاد به ما دام يعنيه الاعتقاد ولا تعنيه الحقيقة لعل التعميم المتسرع من أكثر المغالطات شيوعا فهو يتبطن كثيرا من التحيزات العرقية والعنصرية والنعرات الشوفينية والطائفية والطبقية والتعصب الديني والأيدولوجي

كذلك يتبطن التعميم المتسرع كثيرا من الأوصاف النمطية عن الشعوب المختلفة (الإنجليزي، الهندي، الإيطالي...)

وعن أهل الأقاليم المحلية (المنوفي، الشرقاوي، الدمياطي، الطنطاوي، البحيري، الصعيدي)

وربما يتبطن كثيرا من اعتقاداتنا حول أصناف المنتجات وماركات الأجهزة التي تقوم في الغالب على بضعة أمثلة من واقع خبرتنا الحياتية القصيرة المحدودة.

والحق أننا مضطرون إلى التعميم في حياتنا العملية ولا يسعنا إلا التعميم إذا شئنا أن نفكر في أي شيء أو نتخذ أي قرار.

ويبقى أن نتبع الأسلوب العلمي في استخلاص التعميمات وأن نتجنب التعميم المتسرع جهد استطاعتنا، وأن نملك تعميمات ولا تملكنا: أي أن نجعل منها مجرد فروض عمل قابلة للمراجعة والتنقيح لاعتقاد أدوجماويا صلبا يأخذ علينا سبل التأمل ويسد علينا منافذ التفكير.

هناك ملا حظتان

الملاحظة الأولى

أحيانا ما نضطر إضطرارا إلى اتخاذ عينة صغيرة جدا وذلك عندما لا يكون في حوزتنا غيرها.

ومن الغبن أن يتهم المرء بالتعميم المتسرع إذا كانت العينة المتاحة للدراسة محدودة جدا ولم يتسن له أي مصدر آخر للمعلومات كثيرا ما يضطر علماء الكتابات القديمة مثلا إلى استخلاص أصولها من عينات شحيحة للغاية مثل حجر رشيد وكثيرا ما يضطر علماء البيولوجيا مثلا وبخاصة علماء الحفريات، إلى دراسة عينة وحيدة عن حيوان ما.

الملاحظة الثانية

قد يفضي التعميم المتسرع، شأنه شأن أي مغالطة أخرى، إلى نتيجة صادقة ولا يندر أن تأتي نتيجة صادقة عن استدلال مغلوط ولكن ما دام الاستدلال مغلوطاً فليس ثمة مبرر لقبول نتيجة قائمة على مثل هذا الاستدلال.

السلح الخامس

تجاهل المطلوب (الحيد عن المسألة)

قال أحمد شوقي:
إذا كان الرماة رماة سوء
أحلوا غير مرماها السهاما
المقدمات أخطأت هدفها
وحادت عن مرماها
عمدا أو فرط انفعال
غير أنها تستقبل بالتهليل
لأنها تحمل صيدا على أية حال

في هذه المغالطة يتجاهل المرء الشيء الذي يتوجب أن يبرهن عليه، ويبرهن على شيء آخر. وقد يبدو استدلاله معقولاً بحذ ذاته، ولكن المغالطة هنا في أن يبرهن على نتيجة أخرى غير النتيجة المطلوبة التي يتعين عليه أن ينصرف إليها دون غيرها. وبذلك تتسم الحجة بسمتين:-

أنها قد خرجت عن الهدف المحدد لها
وأنها قد اتجهت مباشرة إلى نتيجة أخرى
يقف محامي الادعاء في جريمة قتل، وبدلاً من أن يبرهن بالحجة على أن المتهم هو مرتكبها يشرع في إثبات بشاعة القتل وبشاعة الجريمة: وقد ينجح الادعاء في

تقديم مرافعة عصماء ويثبت هول جريمة القتل بألف حجة، غير أنه إذا جعل من ذلك دليلاً على أن المتهم مذنب بها يكون قد ارتكب مغالطة تجاهل المطلوب تتمتع هذه الحجة المغالطة بمجاذبية خفية وتكمن قوتها في أن هناك نتيجة تثبت على نحو صائب. وهذا الصواب هو الذي يصرف انتباه المستمعين بعيداً عن المغالطة. وتلقى هذه المغالطة رواجاً خاصاً في مجال التشريع الاجتماعي: فكثيراً ما يقترح برنامج بعينه لبلوغ غاية كبرى متفق عليها من الجميع، ثم يدعم البرنامج بحجج تثبت بالفعل أهمية هذه الغاية الكبرى غير أنها تقول شيئاً ذا صلة بالبرنامج المعني، ولا تثبت أن هذه الغاية الكبرى، غير أنها لا تقول شيئاً ذا صلة بالبرنامج المعني، ولا تثبت أن هذه الغاية الكبرى تبلغ بهذا البرنامج المحدد دون غيره! قد يتم ذلك عن عمد وقد ينجم عن فرط الحماس لهذه الغاية الكبرى، والذي قد يغشى على أنصار البرنامج المحدد، وعلى مستمعيهم فلا يرون خروج حجتهم عن الموضوع.

من ذلك أنه في برنامج محدد لمكافحة الفقر، قد يفيض دعاة البرنامج في ترديد حجج تثبت أن الفقر تنبغي مكافحته والفقراء ينبغي إنصافهم، دون أن يثبتوا لنا أن ذلك حري أن يتم منه خلال برنامجهم دون غيره!

وعندما نناقش تطوير نظام دفاعي معين باهظ التكلفة فإن حاجتنا تخطىء هدفها إذا جعلت تبرهن على أهمية تطوير دفاعاتنا دون أن تعرض لهذا النظام المحدد وتثبت حاجتنا الحقيقية إليه وتبرهن على أنه أجدى لنا من غيره على ثقل تكلفته. كذلك الحال بالنسبة لكل الأهداف الكبرى التي تطرح على نحو شديد العمومية:

الأمن القومي، السكن الصحي، مكافحة الفقر، مكافحة الجريمة، علاج عجز الميزانية... إلخ

من أيسر الأمور أن نصدق على هذه الأهداف العامة ونصبو إلى تحقيقها: أما الأسئلة الصعبة حقاً فهي: هل البرنامج المحدد حقيق ببلوغ هذا الهدف المنشود؟ وهل هو أجدى في بلوغ هذا الهدف من غيره من البرامج الأخرى الممكنة؟ إن التغافل عن هذه الأسئلة، والتعقيم عليها بتعميمات براقة عن هدف مأمول أكبر يجعلنا نحيد عن القصد ونطيش عن المرمى ونقع في مغالطة تجاهل المطلوب

أمثلة أخرى

المثال الأول

محامي الدفاع

كيف يكون موكلي قد أمر بارتكاب جريمة القتل وقد برهنت لكم بما لا يدع مجالاً للشك أنه لم يكن بالبلد كلها وقت وقوعها؟ (حسن ولكن هل هذا دليل على أنه لم يأمر بها قبل سفره؟ أو أنه لم ترتبها بالهاتف مثلاً؟

المثال الثاني

ألم يحدث يا سيادة الوزير أن مستويات معيشة الفقراء قد تدنت في زمن توليك بدرجة كبيرة قدرتها إحصائيات علمية بحوالي 28 %؟
هذه وثائق رسمية تثبت أننا رفعنا معاش الأمل بنسبة 5 % ورفعنا أجور قطاع النفط بنسبة 10 % وزدنا دعم الخبز بنسبة 12 % وهذا ما لم يفعله خصومنا منذ مدة توليهم (وهكذا كلما قدم منتقد للسياسة سؤالاً محدداً فجاء الرد وإبلا من الدعاية الصاخبة عن مزايا الحكومة فثم مغالطة المطلوب).

المثال الثالث

إن إساءة استخدام الدعم وعدم وصوله إلى مستحقه لظاهرة تفشت هذه الأيام بدرجة مخيفة، والبديل الوحيد الذي أراه هو إلغاء الدعم برمته.

المثال الرابع

لدي دراسات تثبت أن رياضة العدو في الطريق العام قد تضر بالصحة أكثر مما تفيدها ولذلك أنادي بأن تحظر رياضة الجري في الشوارع.
حتى لو كان ذلك صحيحا فهل هو حجة تؤيد حظر الجري في الطريق.

السلّاح السادس

الرنجة الحمراء

الكلاب تجد في طلب الطريدة
الرائحة ترسم طريق الطراد
تعبر الرنجة الحمراء، فيتحول المسار
ينسى الطريق طريقه
الرنجة الحمراء، بشميمها الأنف
بركة آلهة الفرار
وملاذ كل من أتخنه الجدل

هي حيلة كان يستخدمها المجرمون الفارون لتضليل كلاب الحراسة التي تتعقبهم وذلك بسحب سمكة رنجة حمراء عبر مسار المطاردة فتجذب الكلاب رأتحتها الشديدة عن رائحة الطريدة الأصلية، وقد استعيرت للتعبير عن كل محاولة لتحويل الانتباه عن المسألة الرئيسة في الجدل، وذلك بإدخال تفاصيل غير مهمة، أو بإلقاء موضوع ملفت أو مثير للانفعالات وإن كان غير ذي صلة بالموضوع المعني ولا يشبهه إلا شباها سطحيا، فيقذف بالخصم خارج مضمار الحديث.

من دأب محترفي هذه المغالطة أن يستهلكوا الخصم في ترهات خارجة عن الجادة، وأن يثيروا مشاعر المستمعين وانتباههم بطرق مسألة براقة أخاذة وإن كانت بعيدة عن موضوع الحديث فتهوي إليها أفئدة الحضور ولا يعود أحد يذكر الموضوع الأصلي، إنهم بذلك لا يحتاجون بل يصخبون ويتلاعبون

ويتداهون وينفثون سحابات التمويه والتعمية، ويتحدثون في أي شيء إلا الشيء، المعني، وكثيرا ما ينجحون في صرف الانتباه، وتحويل مسار الحديث وتبديد النقاش، فينفردون بالساحة حقا ويبدون منتصرين في الجدل، وكأنهم يفوزون لتغيب الخصم!

تجتمع لجنة على سبيل المثال لمناقشة إجراء جديد للحد من تلوث الهواء، فينبري أحد الأعضاء ويتحدث عن الأعباء الضريبية التي تثقل كاهل المواطن، ويتصدى عضو آخر بحديث مطول عن سطوة الشركات متعددة الجنسية التي تملك زمام العالم وينبغي أن نضع حدا لهيمنتها وتسلطها ويفيض ثالث في الحديث عن نوعية المناخ قديما وكيف كان الهواء أكثر (أو أقل) نقاء عندما كان طفلا يمشي كل يوم 3 كم ليصل إلى مدرسته البسيطة التي كانت تقدر التعليم وتجعل منه رسالة لا وسيلة للابتزاز والربح... إلخ

انظر هل ترى في هذه الاستطرادات أي صلة بالوضع الرئيس الذي اجتمعت من أجله اللجنة، وهو بالتحديد: هل من شأن هذا الإجراء الجديد أن يحد من تلوث الهواء؟

هل ستكون إيجابياته أكثر من سلبياته؟

وهل ثمة إجراء أفضل من ذلك للحد من تلوث الهواء؟

منك يكون النحول عن الموضوع مشروعا

كثيرا ما تتخذ المسائل المعقدة تراتبا هرميا بحيث يتعذر حسم مسألة معينة قبل أن يتم حسم مسألة أخرى، مثال ذلك ما يجري في كثير من محاورات أفلاطون في محاوره الجمهورية على سبيل المثال، يتحول مسار الحديث إلى مسائل ميتافيزيقية

وأبستمولوجية مجردة وذلك لأننا لا نتسنى لنا الإجابة عن أسئلة عملية عن معاقبة المجرمين أو تربية الأطفال حتى نعرف أولاً ما هي العدالة، ولن نعرف ما هي العدالة حتى نعرف المقصود بمفهوم الخير وهذه بدورها تتطلب تحليلاً كاملاً لعلاقة الأفكار بالعالم الفيزيقي.

هكذا نتبين أن الوصول إلى اتفاق عقلائي قد يتطلب العودة بالحوار إلى أسئلة أكثر أساساً ثمة إذاً تحول مشروع عن موضوع الحوار في بعض الأحيان: ذلك هو التحول إلى مسألة جذرية تمهد المسرح لمناقشة الموضوع المعني وتفضي إليه لا تغشى عليه بل تزيده وضوحاً ولا تذهب به طي النسيان بل تؤدي إليه وتضعه في نصابه. أما مغالطة الرنجة الحمراء فليست من ذلك في شيء لأن الموضوع الجديد الذي يلقي به في مسار الجدل ليس أكثر أساساً بل أكثر بريقاً وشحناً انفعالياً فحسب ولأن الموضوع الجديد لا يفضي بطبيعته إلى الموضوع الأصل بل يقصي عنه وينسيه ويصرف دونه الانتباه والذاكرة.

الفرق بين مغالطة الرنجة الحمراء ومغالطة نجاهل المطلوب

في مغالطة تجاهل المطلوب ثمة صيد ظفر به ولكنه غير المطلوب، وثمة نتيجة محددة تصل إليها الحجة ولكنها غير النتيجة المطلوبة، إنه خطأ في الاستدلال، أما في مغالطة الرنجة الحمراء فإن الحجة تنحرف في اتجاه مختلف ولا تصل إلى شيء، فهي إما حيود خارج الموضوع إلى موضوع آخر مثير انفعالياً فحسب، وإما تمويه وسحابة تعمية لا تفضي إلى شيء ذي بال.

ليس هنا استدلال أخطأ هدفه، بل خداع للمستمع واستهلاك له وانحراف عن الموضوع برمته إلى مسألة أخرى.

أمثلة

المثال الأول

كيف توافق على حظر الماريجوانا؟

الماريجوانا لا ضرر منها البتة، إنني لأحس بأمان حين يكون السائق يدخن الماريجوانا أكثر مما أحسّه حين يكون السائق تحت تأثير الخمر.

إن الخمر حقا هي أم المشاكل

أتعرف أن إباحة الخمر تكلف العالم سنويا بين ثمن صناعتها وتعاطيها و ثمن الكوارث التي تلحقها أكثر من تريليون دولار؟!

(لاحظ أن الموضوع الأصلي ليس كوارث الخمر)، بل كوارث الماريجوانا (ومبررات حظرها).

المثال الثاني

مواقف السياران؟

أعرف أن الأستاذ الدكتور سليم السيد كان يشكو في الاجتماع الأخير من ضيق أماكن الانتظار بالكلية ولكن هل تدري أنه ضُبط في علاقة مشبوهة مع إحدى طالباته؟

إلى متى يجيد التعليم العالي عن هدفه ويتحول إلى كمين للتحرش والابتزاز؟
بالله لا تحدثني عن هذا الرجل مرة أخرى.

(المسألة الأصلية هي ضيق أماكن الانتظار وليست قصة مثيرة عن علاقة أستاذ بطالبة أو عن فساد التعليم العالي)

المثال الثالث

يقول صديقك أن قهوة تستر تشويس أفضل مذاقا من قهوة فولجرز؟ يبدو أنه يتجاهل حقيقة أن تستر تشويس تنتجها شركة نسلة التي أنتجت ذلك الحليب الذي أحدث ضجة كبيرة، لقد صدرته لدول العالم الثالث، فراح ضحيته آلاف الأطفال عندما كان الحليب الجاف يمزج بماء ملوث: (إن مسألة وفيات الأطفال لمثيرة حقا)

ومن ثم كانت جديرة بصرف الانتباه عن الموضوع الأصلي: (أي المذاقين أفضل)

المثال الرابع

تقول صحيفة كونسوموم ويجست أن لمبات جي أي أطول عمرا من لمبات سيلفانيا ولكن هل تعلم أن جي أي هي أكبر منتج للأسلحة النووية؟ إن الأضرار الناجمة عن سلوكها غير المسؤول تفوق التصور، وليس أقلها أنها تخلف آلاف الأطنان من النفايات النووية التي لا تعرف أين تواربها: (لاحظ أن الموضوع الأصلي أي اللمبات أطول عمرا؟ قد اختفى تماما تحت سحابة الأسلحة الفتاكة والنفايات النووية)

المثال الخامس

إن أنصار البيئة ليقيمون الدنيا ويقعدونها في حديثهم عن مخاطر جمة بغض النظر عن مصدرها هناك صواعق طبيعية، وهناك كهرباء المصانع والمصاعد والبيوت إن آلاف البشر كل عام يصعقون بسبب الإهمال والجهل. ومن الممكن تجنب هذه الأخطاء المحيقة بمزيد من إجراءات الاحتياط والتوعية.

المثال السادس

ثمة كثير من اللغظ هذه الأيام عن الحاجة إلى حظر استخدام المبيدات في حقول الخضروات وبساتين الفواكه غير أن كثيرا من هذه الأطعمة ضروري لصحتنا فالجزر مصدر ممتاز لفيتامين أ والقرنبيط غني بالحديد والبرتقال وغيره من الموالح تحتوي على نسب عالية من فيتامين ج... إلخ

السلح السبع

الحجة الشخصية

خذي رأيي وحسبك ذاك متى
على ما في عوج وامت

المعري

الحجة حجة

وأنت لا يسعك إلا أن تأخذ حججهم بعين الاعتبار ما دامت صائبة أما الشهادة
فيجوز لك أن ترفضها

الحياة، 1784

صموئيل جونسون

تعني مغالطة الحجة الشخصية أن يعمد المغالط إلى الطعن في شخص القائل بدلا
من تنفيذ قوله أو قتل الرسول بدلا من تنفيذ الرسالة إن ما يحدد قيمة صدق عبارة،
وما يحدد صواب حجة هو في عامة الأحوال أمر لا علاقة له بقائل العبارة أو الحجة
من حيث شخصيته ودوافعه السيكولوجية فعبارة $4=3+2$ هي عبارة صحيحة سواء
كان قائلها عدوا أو مغرضا أو معتوها أو كافرا، وإن ما يحدد قيمة الصدق في عبارة
السماء تمطر هو ببساطة الطقس المحلي وهو شيء قائم هناك ومستقل تماما عن
شخص القائل.

وأنت في هذه المغالطة حين تقوم في معرض الجدل بمهاجمة شخص الخصم بدلا من
مهاجمة حجة فيبدو بالتداعي كأن حجة قد دمغت، مثله وأصيب.

والحق أنك قد تسدد سهام النقد إلى شخص خصمك (بواعثه، ودوافعه، وصدقه، وإخلاصه، وأهوائه وأغراضه، وذكائه، وفهمه)

فتدميه وتصيبه - وحجته بعد حيه ترزق فهي من حيث هي حجة تبقى سالمة لم يمسسها سوء، وإن حامت حولها شكوك لحظة واكتنفها الريب.

انظر إلى المثال التالي:-

أنتم تعرفون جميعاً أن النائب س كذاب غشاش غير موثوق بذمته المالية ومستفيد أول بخفض الضرائب، فكيف توافقون على مشروعه الضريبي المطروح؟
قد يكون النائب س كذاباً حقاً ومغرضاً ولديه مصلحة مكتسبة في المشروع الضريبي المطروح للمناقشة، غير أن هذا لا يمس المشروع من حيث هو مشروع. وما هكذا ينبغي أن تناقش المشروعات.

إنما يجمل أن تتجه إلى المشروع مباشرة ونبين ما له وما عليه، لا أن ننصرف إلى شخص القائل بالطعن والتجريح، ونحول مناقشة المشروع من تحليل اقتصادي إلى تحليل سيكولوجي، ونحول منصة المجلس من منبر للرأي إلى مسلخ للبشر.

فهناك أربعة أنواع من مغالطة الحجة الشخصية:-

- 1- القدح الشخصي السب
- 2- التعريض بالظروف الشخصية
- 3- مغالطة أنت أيضاً تفعل هذا
- 4- تسميم البئر.¹⁸

¹⁸ من الطريف أن هذه المغالطة تنطبق أيضاً في الحالة العكسية. وإن كان ذلك أقل وروداً: أي حين تريد أن توازر حجة الشخص وتدعمها عن طريق مدحه وإطرانه.

السلح الثامن

القذح الشخصي السب

في هذا الصنف من المغالطة يقوم القذح الشخصي بتشتيت الانتباه عن الحجة الأصلية إلى شخص قائلها وعيوبه ومثالبه، فيبدو من خلال التذاعي السيكلوجي كأن حجته أيضا معيبة مثله!

أمثلة

المثال الأول

إن سياسات لنكولن كلها حمقاء مفسدة، فهو سكير
وقرد وبليد ومأفون ومضلل (صحافة الجنوب في ستينيات القرن التاسع عشر).

المثال الثاني

لا أثق في فلسفة فرنسيس بيكون، لقد كان رجلا غير أمين، وقد جرد من منصب
قاضي القضاة لتقاضيه رشاي.

المثال الثالث

لماذا أبالي بآراء هؤلاء الصحفيين؟
إنهم حفنة من المرتزقة.

المثال الرابع

كان ألبرت أينشتين موظفا حقيرا يوم كتب نظرياته، إذا الطاقة لا تساوي الكتلة
مضروبة في مربع سرعة الضوء.

المثال الخامس

الآن نأتي إلى اقتراح السيد سليم النقيب بضم الشركتين معا.
لم أكن أود أن أنكأ جروحا قديمة ولكني مضطر إلى أن أطلعكم على محاضر تفيد
بأنه كان متورطا منذ عشر سنوات في قضية تحرش وفي قضية سكر
ففي الأمثلة السابقة نجد الصورة المنطقية التالية:-

س يقدم الدعوى ق

س يتصف بالعيب ك

إذاً الدعوى ق باطلة

إن القدح الشخصي ليس مغالطة بحد ذاتة إنما تأتي المغالطة حين نجعل العيب
الشخصي أساسا لرفض الدعوى غير ذات صلة بهذا العيب فالحجج إنما ينبغي أن
تقوم على أرجلها الخاصة أو تسقط بعيبها الخاص.

منك يكون القدح الشخصي غير مغالط

على أن هناك مواطن وسياقات يكون فيها شخص القائل ذا صلة بالدعوى
المطروحة، في الحملات الانتخابية مثلا وفي مقابلات التوظيف وفي الشهادة
القضائية تكون السمات الخلقية، وربما الجسدية، هي المسألة المعنية على وجه
التحديد فنحن لا نتصور مصرفا على استعداد لتعيين موظف غير أمين، ولا ناخبين
يسرهم التصويت لمرشح غير ذكي أو سياسي غير مخلص. وفي سياق استجواب الشهود
في المحاكمات القضائية وفي كل سياق يتضمن شهادة لا حجة في واقع الأمر، يكون
الطعن في شخص الشاهد من حيث السمات الأخلاقية والسلوكية والكفاية العقلية
والإدراكية واتساق عباراته، غير خارج عن موضوع الشهادة وبالتالي غير مغالط
من الوجهة المنطقية.

ربما يستند ذلك إلى استدلال استقرائي مفاده أن الشخص الذي سبق له أن أدلى بمعلومات غير صحيحة أو اعتاد سلوكاً غير قويم في الماضي هو شخص قمين بأن يفعل مثل ذلك في المستقبل صحيح أن الاستدلال الاستقرائي هو استدلال ظني في أفضل الأحوال غير أنه كفيلاً في مواضع كثيرة أن يجرح الشهادة أو الجدارة وأن ينقل عبء البينة.

في ضوء هذه الحالات التي يكون فيها القدر الشخصي غير مغالط يليق بنا أن نعدل الصورة المنطقية للمغالطة الشخصية لتغدو أكثر تحوطاً إلى الصورة التالية:-

س يقدم الدعوى ق

س يتصف بالعيب ك

ك غير ذي صلة بالدعوى ق إذاً الدعوى ق باطلة.

السلح التاسع

التعريض بالظروف الشخصية (الحجة الشخصية الظرفية)

في هذه المغالطة يكتفي المغالط بأن يشير إلى ظروف خصمه الخاصة وهي التي ألجأته إلى تبني الرأي الذي يتبناه وأن له مصلحة مكتسبة في أن يمرر هذا الرأي ويسود، ونحن لا نريد أن نهون من سطوة الظروف والمصالح بشتى أنواعها على سيكولوجية الفرد وطريقة تفكيره، غير أننا إذا شئنا أن يمرر هذا الرأي ويسود، ونحن لا نريد أن نهون من سطوة الظروف والمصالح بشتى أنواعها على سيكولوجية الفرد وطريقة تفكيره، غير أننا إذا شئنا أن نتناول حجة الخصم تناولاً منطقياً فإن ظروفه الخاصة لا يعود لها ثقل منطقي ولا تعود لها صلة بالحجة بما هي حجة.

أمثلة

المثال الأول

أنت تقول بأن خطط المحافظين الضريبية كفيلة بتقليص ميزانية الخدمات الصحية، ولكنك ليبرالي وتود لو تتخلص من الخدمة الصحية برمتها

المثال الثاني

بالطبع نحن لا نتوقع منك إلا أن تؤيد قرار رفع ميزانية التسليح فقد عرفنا أنك تعمل في مؤسسة كبرى لتجارة الأسلحة.

المثال الثالث

نفهم أنك لا بد أن تبغض نظرية التطور فأنت كاهن تعظ بنظرية الخلق ليلاً ونهاراً وتكسب قوتك من تلاوة سفر التكوين.

المثال الرابع

إن لك عذرا في أن ترى هذا الرأي الخاطئ فأنت من عتاة الديموقراطيين (الجمهوريين والشيوعيين، الإسلاميين... إلخ)

المثال الخامس

أنت بورجوازي مرتهن لوضعك الطبقي، ومعصوب العين عن رؤية أي شيء يتجاوز مصالحك الطبقية، ومن ثم فإن كتاباتك لا قيمة لها مهما بلغت مزاياها الشكلية والأسلوبية.

إننا نولي انتباها شديدا لصراع المصالح في سياقات كثيرة وبخاصة السياق القضائي والصحفي والسياسي والتجاري.

ولدينا في ذلك كل الحق. فنحن نطالب قضاتنا على سبيل المثال بإعفاء أنفسهم من القضايا التي يمكن لمصالحهم الشخصية أن تؤثر فيها على قرارهم النزيه، ونحن نجزع كثيرا.

إذا اكتشفنا أن قادتنا السياسيين إنما تسهم في تمويل حملاتهم الانتخابية شركات لديها مصلحة في منحاهم السياسي الخاص ومنهجهم في إقرار المشروعات.

لقد علمتنا التجارب أن القرارات تتأثر بالمصالح المكتسبة لصانعها، وإن لدينا ما يدفعنا إلى الاحتياط والتوقي بإزاء صراعات المصالح.

وإنما تفعل مغالطة الظروف الشخصية فعلها لأنها تحاكي حذرنا المشروع من صراع المصالح أو تلعب على وتره، غير أن الحجج شيء والقرارات شيء آخر، فقد يؤدي صراع المصالح بشخص ما إلى التفكير الخطأ وبالتالي إلى القرار الخطأ، غير أن صراعه الخاص ينبغي ألا يؤثر على تقييمنا لحجته.

وعلينا أن نقرر أنقبل حجته أم لا نقبلها فالقرار الآن هو قرارنا نحن لا قراره وعليه
فمن الحصافة الآن أن نتوقى صراع مصالحنا نحن أما صراع مصالحه فهو تشتيت
خارج عن الموضوع.

السلّاح العاشر

أنت أيضا تفعل ذلك

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
يحرم فيكم الصهباء صباحا
ويشربها عن عمد مساء
إذا فعل الفتى ما عنه ينهى
فمن جهتين لا جهة أساء

المعري

تعني عبارة أنت أيضا، أي أنت أيضا تفعل ذلك هنا يقلب المغالط الطاولة على خصمه باعتباره لا يفعل ما يعظ به، أولا لا يجتنب ما ينهى عنه ويظن المغالط أنه قد تم له بذلك تفنيد الخصم ورد سهمه إلى نحره، كأن الخطأ يشرع الخطأ أو كأن خطأ يصنعان صوابا.

أمثلة المثال الأول

اقلع عن التدخين يا بني فهو ضار بالصحة متلف للمال.
لست أقبل حجتك يا أبي فقد اعتدت أنت نفسك التدخين حين كنت في مثل
سني.

مثال 2

كيف أستمع إلى نصيحة هذا الطبيب بخفض وزني إذا كان نفسه بدينا كالدب؟
تعمد هذه المغالطة إلى صرف الانتباه عن حجة الخصم إلى سلوكه أو إلى أفكاره
الأخرى، الراهن منها أو الماضي. فالحق أو تورط الخصم في ذات الخطأ لن يحول
الخطأ إلى صواب، وأن الدفع بتورط الغير في الفعل نفسه إنما هو تشتيت لا صلة له
بصدق التهمة الأصلية.

على أنه تكتيك يضلل الخصم عن صلب الموضوع ويؤثر تأثيرا بالغيا في مسار
الجدل.

إذ أنه يضع الخصم في موضع دفاع وكثيرا ما يستنفذ جهده في الدفاع عن نفسه، إن
المغالط هنا لم يتناول التهمة المطروحة ولم يجب عن السؤال الموجه بل حول التهمة
ببساطة إلى الخصم أو السؤال السائل، لقد خرج عن الموضوع وغالط لأن اتهامه
للخصم حتى لو صح فهو لا يمس التهمة الأولى ولا يتصل بالسؤال الأصلي، وأقصى
ما يمكنه تحقيقه هو أن يثبت أن الخصم منافق لا أن حجته باطلة.

ولعل أفضل تصرف تأتية إذا واجهك خصمك بهذه المغالطة هو أن تبتسم معترفا ثم ترده في الحال إلى حجته الأصلية التي لم يرد عليها بعد ذلك تحبطه عن تشتيتك وإخراجك عن الموضوع.

وبوسعك إن شئت، أن ترجى انتصافك لنفسك إلى مقام آخر.

دفع الظلم بالظلم

ادفع بالتي هي أحسن السيئة

أجدر بمن ذاق مرارة الظلم أن يعفي منه ضحايا جدداً

يبدوا أن العدالة تقتضي أن يكون الطرف المتضرر هو نفسه بريء الساحة، يتجلى ذلك فيما نأخذ به عادة من مبادئ تحملنا على كف الملام عن الطرف المتهم إذا كان المجني عليه يرتكب الفعل ذاته:

من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر

إلى بيته من إزاز

وكثيرا ما يستغل هذا الميل الفطري لدى البشر لخلق تعاطف مع المتهم وصرف الانتباه عن جريمته النكراء بتبيان أن المتضرر نفسه يرتكبها ذلك منطق الاستحلال والاستباحة، وهو منطق مغلوط لأن قصارى ما يمكن أن يبرهن عليه هو أن الطرفين كليهما على خطأ.

لا شك أن العدالة تقتضي المعاملة بالمثل، غير أن هذا المبدأ نفسه يجعل من الخطأ صوابا: وإلا اختلطت الأمور واغتفرت الجرائم ويرى المجرمون حقهم نفس الظلم. تتغذى العداوات والضغائن، بين الأفراد وبين الشعوب على هذه المغالطة العتيدة وعليها تقوم جريمة الثأر وتجد تبريرا وجيها. فمظالم الماضي تظل حين تفسد على

الناس حاضرم وتهدد مستقبلهم إنما الدولة هي من يتولى تصويب أخطاء الأفراد، والمجتمع الدولي هو من ينبغي عليه أن يتولى تقويم زيغ الشعوب حتى لا تقنع بدفع الظلم بالظلم وتصويب الخطأ بالخطأ.

خطآن يضمن صوابا

تعد مغالطة أنت أيضا فرع من مغالطة أعني هي الإشارة إلى خطأ آخر أو خطآن يصنعان صوابا، حيث يستبدل بضمير المخاطب، ضمير الغائب في هذه المغالطة الأعم، يتذرع المغالط بأن هناك من يصنع الشيء نفسه أو ينوب بأن الخطأ الذي يرتكبه إنما حقيقة قائمة في طرف آخر من أطراف الأرض وأمر واقع في بقعة أخرى من بقاع العالم ليشدد التعذيب في سجوننا: فإن التعذيب لشديد في سجون أخرى من العالم.

لماذا

كل هذا الجزع من الفساد في بلادنا، إن الفساد لينخر في أرقى بلاد العالم. لقد وقع الظلم من قبل على البولنديين في وارسو : ينبغي إذاً أن يقع ظلم مماثل على الألمان في برسلو. وقد تتماذى المغالطة في الشطط والغلو حتى نأخذ المفترض المقدّر مأخذ الواقع الحاصل، وتتخذ صيغة أخرى هو أيضا كان جديراً أن يفعل ذلك لو استطاع. أو هم أيضا كانوا سيفعلون نفس فعلتنا لو وضعوا موضعنا... إلخ لتسرق هؤلاء اللصوص فإنهم لو تمكنوا منا لجردونا من ثيابنا. لتخرب ديارهم وتيتم أطفالهم، فوالله إنهم لو حكموا فينا لما فعلوا أقل من ذلك. يجسد المتنبي هذا المنطق تجسيدا بديعا يستبد بالذاكرة ويجري مجرى الأمثال:- ومن عرف الأيام معرفتي بها

وبالناس روى رحمه غير راحم

فليس بمرحوم إذا ظفروا به

ولا في الردى الجاري عليهم بآثم.

يريد أن من عرف الناس حق المعرفة. كمعرفته هو بهم. قتلهم غير راحم لهم.

لأنهم إذا ظفروا بغريمهم لم يرحموه فإذا قتلهم، إذاً فلا إثم عليه، على أنه إذا لم يبادر بقتلهم فإنهم ميتون حتف أنفسهم على كل حال!

كان عمانوئيل كانط الفيلسوف الإنجليزي الكبير، يتولى منصب قاضي القضاة في عهد جيمس الأول وفي عام 1820 عزل وأدين بتقاضي رشاي (في صورة هدايا) من كلا الطرفين المتنازعين في القضايا التي تولّاها وقد تعلل جميع كتاب سيرته الذاتية بأن تقاضي هدايا من كلا الطرفين المتنازعين كان عرفاً شائعاً على نطاق واسع في ذلك العصر ومن الدال حقاً في هذا الصدد أن كانط نفسه لم يستند إلى هذه الحجة حين تحدث في المحاكمة بالأصالة عن نفسه بل قال ببساطة لا أبرئ نفسي، إنني لأعترف بصراحة ووضوح بأنني مذنب بالفساد، وإنني لأرفض كل الدفوع وإنما أناشد سيادتكم فحسب أن تأخذكم الرأفة ببوصة منكسرة

السلاح الحادي عشر

تسميم البئر

تلك المحاولة الدنيئة من جانبه لكي يشق الأرض من تحت قدمي -
يسمى مقدما عقول الناس ضدي، وأنا جون هنري نيو مان ويغرس
تلك المحاولة الدنيئة من جانبه لكي يشق الأرض من تحت قدمي.
يسمى مقدما عقول الناس ضدي، أنا جون هنري نيومان، ويغرس في
مخيلة قرائي الشك والارتياح في كل شيء عساني قائلة في الرد
عليه.

ذلك أسميه تسميم الآبار

الكاردينال جون هنري نيو مان

إن تسميم بئر هو أن تبادر بضربة وقائية ضد خصمك، وتصمه بأنه لا يولي الحقيقة
أي اعتبار فيتضمن ذلك أنه مهما يقل فيما بعد فلن يثق به أحد.
قد يكون التسميم، شأنه في ذلك شأن الحجة الشخصية الاعتيادية، إما بالسب
وإما بالتعريض بالظروف الشخصية.

أمثلة

المثال الأول

لا تصدق ما سيقول، إنه وغد (تسميم بالسب)

المثال الثاني

ليس سوى مأفون من يعارض إضافة الفلورين إلى الماء (تسميم بالسب)

المثال الثالث

إن خصمي طبيب أسنان وبالطبع سوف يعارض إضافة الفلورين إلى الماء، فذاك سوف يفقده كثيرا من الزبائن (تسميم بالتعريض بالظروف الشخصية)

المثال الرابع

لكم كنت أود لو أن بإمكان الرجال أن يتفهموا هذه المسألة (الإجهاض) غير أنهم بحكم موقعهم الذكوري لا يملكون رؤية هذا الأمر من منظور المرأة. وكم كنت أتمنى لو أن هناك عددا أكبر من النساء في هذا المجلس لكي يتحدثن في هذا الشأن من زاوية نسوية، فالرجال لا ناقة لهم فيه ولا جمل ولا ينبغي أن يصدروا فيه حكما وإن أصدروا فليحفظوه لأنفسهم (تسميم بالتعريض بالظروف الشخصية)

المثال الخامس

هذا رجل فاشي معروف وأي رأي يبدو منه سيكون محل ارتياب ويصب في مصلحة العدو في نهاية المطاف (تسميم بالسب)

الفرق

كما ترى، بين تسميم البئر وبقية ضروب الحجة الشخصية، هو أن التسميم يتم مقدما، أي قبل أن يأخذ الخصم فرصة لعرض قضيته، وقد يكون له تأثير عظيم على مسار الجدل وقد يحبط المعارضة ويعيقها بدرجة كبيرة، وعلى كل من يدخل نقاشا كهذا أن يخطو بحساسة فوق الإهانة وأن يلجأ إلى صميم الموضوع. والحق أن تسميم البئر ليس مغالطة بالمعنى الدقيق. لأنه ليس حجة، إنه أشبه بالأحرى، بشرك غفلة منصوب لكي يغري الجمهور الغافل بارتكاب مغالطة الحجة الشخصية وعلينا في هذا المقام كما في غيره أن نتذكر أن الحجة الشخصية ينبغي أن تقف على أرجلها الخاصة أو تسقط بعيها الخاص، بغض النظر عن شخص قائلها أو عيوبه.

السلاح الثاني عشر

الاحتكام إلى السلطة

إياك واحذر أن تكون
من الثقات على ثقة

ابن فارس

كذب الظن لا إمام سوى العقل
مشيرا في صبحته والمساء

المعري

يعني مذهب السلطة (في الأخلاق وغيرها) أن المصدر النهائي للمعرفة هو سلطة من نوع ما سلطة قيمة على أمر بعينه. قد تكون هذه السلطة نظاما كالكنيسة، أو نصا كالكتاب المقدس أو قانونا أخلاقيا أو مدنيا أو شخصا أو سلطة أهل العلم والاختصاص كل في مجال في العصور الوسطى المتأخرة على سبيل المثال صارت فلسفة أرسطو عقيدة راسخة لا تناقش وكانت أقواله تستحضر لحسم الجدل لا لإثرائه، وقد بلغ شخص أرسطو من الجلال والهيبة بحيث صار يعرف (الفيلسوف بألف لام التعريف)

وصار الاستشهاد بقوله يعرف ب (هو نفسه قال)

يقع المرء في مغالطة الاحتكام للسلطة عندما يعتقد بصدق قضية أو فكرة لا سند لها إلا سلطة قائلها، قد تكون الفكرة صائبة بطبيعة الحال وإنما تكمن المغالطة في اعتبار السلطة بديلاً عن البينة، أو اتخاذها بينة من دون بينة

لابأس على الإطلاق في الاحتكام إلى سلطة وإنما لنحتكم بالفعل إلى سلطة الخبراء في كل مجال كلما أعوزتنا الخبرة أو المعرفة الكافية في ذلك المجال فالمعرفة تخصص، والخبراء هم الأشخاص الذين نذروا عمرهم في دراسة مجال بعينه والتمرس به حتى حصلوا فيه معرفة تجعلهم أبصر بأصوله وفروعه وأقرب صلة بالحقيقة في شؤونه وشجونه، ومن ثم فإن لنا كل الحق في أن نستفتهم ونسألهم الرأي والمشورة في مجالهم لأن لدينا ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن رأيهم في ذلك أقوم من رأينا وخبرتهم أصدق من خبرتنا فإذا ألم بالمرء مرض لا خبرة له به فإنه يلجأ إلى الطبيب المختص ويأخذ بمشورته ويتبع إرشاداته وإذا استعصى عليه خلل بجهاز الحاسوب فإنه يلجأ إلى خبير بالحواسيب ليصلح له الخلل، وهكذا الحياة وبخاصة في العصر الحديث تخصصات وأفرع موكل بها خبراء متخصصون نثق برأيهم ونأتمر بأمرهم ونحتكم إلى سلطتهم.

ليس في الأمر هنا حجب للدليل أو استهانة بالبينة، بل توجه إليهما والتماس لهما! فما جعل الخبر في نظرنا إلا ثقتنا بأن عنده الدليل ولديه البينة على أن الأمور على صعيد الواقع لا تسير دائماً هذا السير الهين ولا تسلك دائماً هذا الجدد الآمن، يبدأ التعثر والوقوع في الاحتكام المغالط إلى السلطة في الأحوال.

النالية:

إذا كان الإحنكام إلى السلطة غير ضروري:-

ذلك أن كثيرا من الأمور تخضع للملاحظة المباشرة أو الحساب المحض، هناك يلتقي المرء التقاء مباشرًا بالبيئة ويكون الالتجاء إلى السلطة لطلب البيئة هو عبث لا معنى له وكسل يستوجب اللوم، إنه أشبه بالتييم وقد حضر الموضوع!

ذلك أن للملاحظة المباشرة أعلى يقينا من السلطة وتجب أي سلطة هكذا كانت ثورة النهضة.

ضد سلطة أرسطو وسلطة الكتاب المقدس تلك الثورة التي أعقبت تطورا علميا حقيقيا لم تشهد البشرية مثله في العصور السوالف.

لقد كان رأي أرسطو في العصور الوسطى يؤخذ مأخذ التسليم في الأمور الأمبيريقية التي تمكن معرفتها بسهولة بواسطة الملاحظة، وكأن ذهن أرسطو أصدق رؤية من نواظر الخلق.

كذلك كان يستشهد بالكتاب المقدس كسلطة لا معقب لها، حتى في المسائل التجريبية والرياضية ومن الطريف أن قيمة ال بي أي (النسبة بين طول محيط الدائرة وقطرها ط كانوا يدعون أنها ثلاثة استنادا إلى فقرات معينة بالعهد القديم)

غير أن قيمة ط هي مسألة رياضية يحددها الحساب (وهي اثنان وعشرون على سبعة) والالتجاء فيها إلى السلطة هو أمر غير ذي صلة.

وكيف تنسى البشرية زمنها الذي ضاع ودماءها التي أريقت من جراء الخضوع لسلطة الكنيسة طيلة العصور الوسطى، حين ارتهن الناس لديها حواسهم وملكاتهم الإدراكية التي أودعوها لتكون أوثق الأدلة وأصدق الرسل، وأخذوا على الاعتقاد بأن الشمس تدور حول الأرض فهكذا يقول الكتاب المقدس ولو كان كتاب الكون

يقول غير ذلك وأخذوا على الاعتقاد بأن تاريخ البشر على الأرض لا يعدو السبعة آلاف سنة ولو دل علم الحفريات على أنهم أقدم من ذلك بما لا يقاس إذا كانت الدعوى غير داخلية في مجال خبرة الشخص الذي يحكم إليه كسلطة. حين يطرح الشخص دعوى معينة في مسألة تخرج عن نطاق خبرته فإنه لا يعود خبيراً في هذا السياق الجديد، ولا يعود بإمكانه أن رأيه بالدرجة المطلوبة من الخبرة، ولا يعود هناك فرق بين رأيه في هذا الأمر ورأي سواه من عامة الناس. ومن الأهمية بمكان أن نتذكر في هذا الصدد أن تضخم المعارف في العصر الحديث قد جعل التخصص الدقيق فرضاً محتملاً على كل من يريد أن ينجز في العلم إنجازاً حقيقياً وتستوي لديه خبرة كافية في مجال ما، الأمر الذي يجعل الخبراء الحقيقيين في أغلب الأحيان على غير دراية كبيرة بما يقع خارج تخصصاتهم. ليس هذا فحسب بل إنه كثيراً ما يحدث أن يكون تعليم المرء وخبرته في ميدان معين عائقاً فعلياً في وجه قدرته على إصدار أحكام خبيرة في ميدان معين آخر. يطلق على هذا الصنف من العجز الناجم عن التمرس الكبير بمجال معين العجز المكتسب.

فالتعليم العلمي مثلاً قد يحول بين المرء وبين إصدار أحكام في الميدانين الفني والأدبي ومن الأمور الشائعة في عصرنا -ذلك الاستغلال للسلطة، المسمى بالإعلان عن طريق الشهادة حين يقوم نجوم الشاشة والرياضة ومعبودو الجماهير في مختلف الميادين بالإعراب عن إعجابهم بأنواع من السجائر والصابون وغير ذلك من السلع ففي كل الأحوال تقريباً لا تكون لهذه الأحكام أية قيمة مشروعة لأن العلاقة بين من يصدر الحكم وبين السلعة في ذاتها العلاقة بين المستهلك العادي وبين هذه

السلعة ذاتها فعندما تعلن ممثلة السينما الآنسة س أنها تدخن سيجارة من نوع ص وحدة فإنها لا تعبر دون شك عن تفضيل شخص قد لا يكون أعمق في نقده وفي تحليله من رأي المدخن العادي والنتيجة الضمنية التي يود المعلن أن يجعلها في أذهان الجمهور هي أن ذوقها في السجائر يتناسب مع شهرتها من حيث هي شخصية من شخصيات الشاشة.¹⁹

أما مسألة كون المعلن ينجح في ذلك أمور لا ينبغي أن تترك للمسؤولين عن ميزانيات هذا النوع من الإعلان، فلا بد أن يكون أصحاب الإعلانات مقتنعين بأن الإهابة بسلكه النفوذ هي وسيلة مريحة.

إذا كان هناك خلاف بين الخبراء في المسألة المعنية

في هذه الحالة تكون كل من الدعوى ونقيضها مدعما برأي بعض الخبراء الثقات بحيث لا يعود ممكنا حسم المسألة بمجرد الالتجاء إلى رأي الخبراء

ثمة مجالات علمية كثيرة تعج بالخلافات الداخلية بين أهلها حتى في المسائل المحورية والأسس الكبرى للتخصص.

من هذه المجالات علم الاقتصاد، فقد يذهب بعض خبراءه الثقات إلى أن العجز هو العامل المفتاحي في مجال الاقتصاد بينما يذهب آخرون، ليسوا أقل خبرة، إلى العكس من ذلك تماما ومن المجالات المشهورة بالخلافات بين خبراءها علم النفس والطب النفسي، حيث نجد مدارس مصطرعة بينها شقاق حاد في تصور السواء والمرض وفي منهج التشخيص والعلاج.

¹⁹ هنترمين الفلسفة -أنواعها - ومشكلاتها، ترجمة دافؤاد زكريا. الطبعة الثانية، دار النهضة العربية مصر للطبع والنشر - القاهرة 1975، ص182

يتبين من ذلك أن الخبير الذي يحتكم إليه في شأن من الشؤون التخصصية قد لا يكون ممثلاً لرأي جميع الخبراء في ذلك المجال والحق أنه في قطاعات كبيرة من البحث البشري يكون بوسع المرء أن يجد خبيراً يدعم له أي رأي يراه أو موقف يريده يذكرنا ذلك بالقول المأثور:-

أفعل أي شيء تقرره وستجد نصاً يبرره

ذلك أن الخبراء هم في النهاية بشر، يصيبون ويخطئون، حتى في مجال تخصصهم، ولعل هذا ما يبرر أخذ رأي ثان (وربما ثالث) في الحالات الطبية حين يكون تشخيصها غامضاً غير محسوم. يفهم أغلب الناس المغزى في أخذ رأي ثان حين يتعلق الأمر بحياتهم وصحتهم غير أنهم كثيراً ما يتشبثون برأي واحد لا يمثل آراء الخبراء جميعاً حين يكون هذا الرأي موافقاً لهواهم ومدعماً لتحيزاتهم.

إذا كان الخبير متحيزاً أو تكتنفه شبهة التحيز

قلنا أن الخبراء بشر غير معصومين من التحيز والهوى كيفما كانوا وليس شخص يمكنه أن يدعي الموضوعية المطلقة.

ومهما يبلغ أحدنا من النزاهة والحياد يبق لديه شيء من الهوى والميل تجاه آرائه الخاصة.

ربما كان علينا أن نقبل درجة ما من التحيز لدى كل شخص ما دامت ضئيلة الأثر أما في الحالات التي يكون الخبير فيها في موقع يميل به ميلاً شديداً في اتجاه رأي بعينه فإن لنا كل الحق في أن ننصرف إلى الاحتكام إلى رأيه بوصفه مجروحاً على أعلى تقدير من ذلك على سبيل المثال:

نتائج أبحاث خبراء طبيين عن أضرار التدخين على غير المدخنين حين تمولها شركات التدخين الكبرى ذاتها.

قد يأخذ التحيز والميل ألوانا أخرى عديدة، من ذلك أن الخبير قد يتأثر بموضعه الشخصي ومآزقه الخاصة، فالمحامي الذي يدافع عن نفسه، والطبيب الذي يحاول تشخيص مرضه الخاص (أو مرض أحد أبنائه) هو عرضة للميل والحيود، وقمين بالخطأ الناجم عن التفكير والأمل أو الخوف.

إذا كان مجال خبرة ذلك الخبير هو علم زائف أو مبحث معرفي غير مشروع الخبرة بالوعي ليست خبرة على الإطلاق، ولا قيمة من ثم لأي خبرة مهما كبرت، ومهما ازدانت بالشهادات والرخص.

إذا كان مجالها نفسه علما زائفا أو مبحثا معرفيا كاذبا.

من ذلك على سبيل المثال لا الحصر التنجيم والفال، الفراسة وتحديد الشخصية من شكل الجمجمة، والعلاج بطرد الأرواح الشريرة.

إذا كانت الخبرة، أو الفتوى، غير معاصرة لأن المعرفة تتقدم بسرعة هائلة، والتقدم في المعرفة يكاد يكون مرادفا للمراجعة والتصحيح، الأمر الذي يجعل كثيرا من الآراء العلمية عرضة للنسخ والتعديل خلال سنوات قليلة وربما أشهر.

إذا كان الخبير المزعوم مجهولا أو غير محدد

حين تكون السلطة غير محددة فإنه يكون من المحال التحقق مما إذا كانت تلك سلطة على الإطلاق وكثيرا ما يلجأ الناس إلى تدعيم مواقفهم بادعاء أنها مصدقة من جانب خبراء ثقات أو مؤسسات أو منظمات دون تحديد شيء من ذلك

بالاسم، ودون ذكر البيئة التي تستند إليها هذه المنظمات أو أولئك الخبراء، وكثيرا ما يشار إلى هذه السلطة المجهولة بلفظ عام من قبيل العلماء، الأطباء، القادة، المختصون، أو حتى بمجرد شخص ما، هم يقولون قرأت صحيفة، قرأت بحثا، شاهدت في التلفاز... إلخ

والحق أننا كثيرا ما نشير باللفظ إلى فئة الخبراء ويكون ذلك معقولا تماما وبخاصة إذا كان هناك إجماع بين أهل المجال على الرأي الذي نطرحه، والأجدى على كل حال أن نشفع ذلك بذكر البيئة التي تستند إليها هذه السلطة غير المسماة غير أن الأمور ليست دائما بهذه البراءة فكثيرا ما يدل هذا الأسلوب على التميع والغموض وعدم الإلمام بالمسألة، وإلا فإن ذكر الخبر بالاسم ليس بالأمر العسير، وكثيرا ما يتبين أن الدعوى المطروحة هي مجرد إشاعة والإشاعات كما نعلم هي دعاوي مجهولة المصدر في الأغلب الأعم وكثيرا ما تنسج عمدا لتشويه صورة الخصم.

أمثلة

المثال الأول

الشمس تدور حول الأرض لأن الكتاب المقدس يقول ذلك بوضوح لا لبس فيه.

المثال الثاني

يؤكد العالم الكبير وليم جينكينز الحائز على نوبل في الفيزياء أن فيروس الإنفلونزا سيقضى عليه بجميع أنواعه بحلول عام 2050 ومثل هذا العالم الفذ يستهان برأيه (خبير في غير مجاله)

المثال الثالث

ليس للتدخين كبير ضرر على غير المدخنين، هكذا أثبتت دراسة فريق الأطباء الباحثين الذين يعملون لدى شركة مارلوبورو (خبرة متحيزة)

المثال الرابع

لقد حددت رقم حظي وتعرفت على شريك حياتي الملائم: لقد استشرت في ذلك الأستاذ جيور جيور الفلكي الشهير في عيادته (مبحث معرفي ذائف)

المثال الخامس

يقول المتخصصون أن سنسوداين هو أفضل معجون يضمن سلامة الأسنان (خبرة غير محددة)

المثال السادس

لا شك أن برسيل هو مسحوق للغسيل الأفضل لجميع الألوان، هكذا أثبتت الأبحاث العلمية

المثال السابع

لا أستعمل غير عطر أوبيام، لأنه أفضل العطور جميعا، هكذا يقول عمر الشريف في الإعلان.

ومهما يكن من شأن السلطة وهيبتها وجدواها فهي في نهاية المطاف ليست معرفة من المنبع بل معرفة بالوساطة وهي في نهاية المطاف معيار غير أساس وغير مباشر، بل مشتق من غيره ومتكىء على سواه، ويعلمنا التاريخ قديمه وحديثه أن السلطات تخطيء وتجهل وتتضارب وتضطرع، وتتخذ هي ذاتها معايير للحق.

متباينة مختلفة ولذا فإن المعرفة المستمدة من السلطة لا تعدو أن تكون ظنا أو
دوكسا ولا ترقى إلى أن تكون معرفة بالمعنى الدقيق للكلمة ويحمل بنا بعد كل شيء
أن نتجنب الاحتكام إلى السلطة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا. وإن لزم الاحتكام
فلنشفعه بعرض البيئة التي تستند إليها هذه السلطة بقدر ما يسعفنا الإمام والفهم.

السلح الثالث عشر

مناشدة الشفقة استدرار العطف

إذا قيل حلما قال للحلم موضع
وحلم الفتى في غير موضعه جهل

المتنبى

في الثمانينات من القرن التاسع عشر أثبت الادعاء، في محكمة
فيرجينيا بالدليل الدامغ ضلوع صبي بقتل والديه بالفأس.
فما كان من الدفاع سوى أن دفع ببراءة الصبي قائلاً أليس يكفي أنه
أصبح يتيماً لا أحد يتولى أمره؟!
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى

المتنبى

العطف شعور نبيل يتحلى به كل ذي أصل كريم والشفقة عاطفة نبيلة يتسم بها كل
ذي معدن طيب، لا بأس قط باستدرار العطف والشفقة إذا استدعى السياق
وخلصت النوايا إنما يكمن الخطأ في أن تستند إلى العطف وظيفية البيئة وأن تأخذ
الشفقة مأخذ الحجة.

أمثلة

المثال الأول

فلتأخذكم الشفقة بهذه المتهمه يا حضرات القضاة، فإنها إذا أودعت السجن فسوف تتحطم حياتها وحياء من تقوم برعايتهم، أليس الأولى أن ننقذ حياة لا أن نحطم حياة؟

(ليست الشفقة ههنا في غير موضعها فحسب، لم يذكر الدفاع حال المجني عليه الآن وحال عياله!)

بل إنها خارجة عن الموضوع وغير ذات صلة بعملية الدفع)

المثال الثاني

لا بد أن الحل الذي توصلت إليه لهذه المسألة الرياضية هو حل صحيح لقد توصلت إليه بعد عناء خمس سواء كانت نتاجا لخمس دقائق من التفكير أم لخمس من العقود!

وإن الزمن الذي أنفق أو الجهد الذي بذل في فكرة ما لا ينبئنا بشيء عن صوابها أو خطئها.

إنه ببساطة خارج عن الموضوع

المثال الثالث

ينبغي تيسير الامتحانات على جميع الطلاب، لأنكم تعرفون مدى البؤس الذي يرى على الطالب المتوسط أو الضعيف حين يحصل على درجات متدنية أو حين يرسب (للحلم موضع حقاً: هو بالنسبة لهذا المثال في وزارة الشؤون الاجتماعية لا في وزارة التربية والتعليم العالي، وما أفسد التعليم مثل هذا (التيسير) الذي يتملق الحشود ويذبح النواذب ويطمس بريقتهم ويسويهم بالأواسط الأنصاف ويتجنب ثفالة

من الحفظة وعديمي الملكة يليق بهم القعر، ويضعهم على قمة الهرم الاجتماعي والعلمي، ثم يطلب منهم أن يجروا المجتمع إلى الأمام، وما هكذا تتقدم المجتمعات وتقلع الأمم

المثال الرابع

كيف ترفض رسالتي الدكتوراه؟

لقد عكفت على كتابتها سبع سنوات متواصلة

المثال الخامس

كيف تقول أن الكرة خارج الخط؟

إنها داخله، ثم إني مهزوم عشرة إلى واحد!

المثال السادس

نحن نأمل أيها الزملاء أن تقبلوا خطتنا التي تقدمنا بها لقد بذلنا في إعدادها ثلاثة أشهر من العمل الإضافي الضمني

المثال السابع

ينبغي أن تمنحني درجة عالية في هذا الفصل إن جدتي مريضة ولوسمعت بأني رسبت ربما تموت بنوبة قلبية.

قد تكون مخاطبة الوجدان أو مناشدة العطف، أو غيره من الانفعالات، مشروعة منطقيا وذلك حين يكون هذا الانفعال هو نفسه الحاجة، أو تكون سببا ذا صلة بقبول النتيجة فقد أختار أن اشتري نفس الجريدة بنفس السعر من بائع ضرير لكي أهون عليه عمله الشاق. وقد يقدر الأستاذ ظروف طالب صدمته شاحنة في طريقة إلى الامتحان فيحتفظ له بامتحان كامل، وفي رواية كندية يستعرض فولتير أمثلة

للبؤس المستشري في العالم لكي يفند مذهب لينبتر القائل بأن هذا هو أفضل
العوالم الممكنة جميعا.

ومهما يكن من شيء فإن انفعال العطف ليس من جنس الحجة. للعطف أن
يدفعنا إلى استباق الخيرات واجتراح المكارم، ولكن هيهات له أن ينهض دليلا على
رأي أو أساسا لاعتقاد.

السلاح الرابع عشر

الاحتكام إلى عامة الناس

إن موافقة الكثرة ليست دليلا على الحقائق عسيرة الكشف. وإنه لأقرب إلى الاحتمال أن يجدها رجل واحد من أن تجدها أمة بأسرها

ديكارت

إن واقعة أن رأيا ما قد انتشر على نطاق واسع ليست دليلا البتة على أن هذا الرأي ليس باطلا كل البطلان. والحق أنه بالنظر إلى سخف أغلبية بني الإنسان، فإنه لأقرب إلى الاحتمال أن يكون الاعتقاد واسع الانتشار اعتقادا سخيلا من أن يكون اعتقادا معقولا!

برتراندسل

لا يزال بالإنسان شيء من أسلافه القردة، ليس هذا فحسب بل إن خصلة متبقية من أسلافه الخراف؟!!

كلايف بل

لا أرى للناس في نفع ولا ضرر
وما لهم قط من حكم وتقدير

العقاد

تتضمن هذه المغالطة الاحتكام إلى الناس بدلا من الاحتكام إلى العقل (أو على حساب العقل)

ومحاولة انتزاع التصديق على فكرة معينة بإثارة مشاعر الحشود وعواطفهم بدلا من تقديم حجة منطقية صائبة تكاد هذه الطريقة أن تكون أداة من أدوات عمل رجال الدعاية والإعلان.

والديما جوجيين من السياسة ورجال الأحزاب والدعاية الانتخابية. فإذا كان الجميع يعتقد ذلك أو الكل يفعل ذلك أو استطلاعات الرأي تشير إلى ذلك فلا بد من أن يكون ذلك صحيحا.

غير أن التاريخ يعلمنا أن افكار الكثرة واعتقاداتهم كثيرا ما تبين خطأها الذريع وبطلانها التام وقد تكرر ذلك وتواتر بما يكفي لدعم قاعدة تفيد أن قبول الحشود من البشر بقضية معينة على أنها حق لا يقدم ضمانا عقليا بأنها كذلك. وقد كان يسع المرء أن يمضي إلى نهاية الشوط فيقول إن التاريخ ربما يعلمنا، على العكس، إن اعتقاد الجموع بشيء ما يرجح بطلان هذا الشيء لولا أن هذه الطريقة ما هي إلا الوجه الآخر لذات المغالطة.

ذلك أن الاعتقاد غير البينة وأن اتساع نطاق الاعتقاد ما هو أمر غير ذي صلة بصدد القضية ذاتها أو كذبها. إنما يتحدد ذلك بالوسائل العقلانية الخاصة التي تستخدم الأدلة والمعلومات الصحيحة التي يمكن أن تستخدم منها النتائج بطريقة منطقية.

يعود رواج هذه المغالطة وانتشارها إلى ميل الكائنات البشرية إلى أن تسلك مسلك الخراف، فتنضوي معا حول المريح والمألوف والسائد، ويروقها الانقياد وائتلاف ومجارة القطيع في وجهته.

في عمق الروح الإنسانية التي ألقى بها في حمأة الوجود على غير اختيار منها تقبع حاجة إلى الاتصال بأخرين من صنوفها حاجة تبلغ من الإلحاح والشدة مبلغا يضطر الناس إلى أن تسلم ضميرها وبصيرتها لطغيان ثقافتها الجاهزة وتقاليدها الموروثة.

حتى لو كانت تلك ثقافة جاهلة وتقاليدها حمقاء وقليلون هم الأفراد الذين يمكنهم أن يأتروا بأوامر عقولهم الخاصة ويهتدوا بهدي بصائرهم الشخصية حتى عندما تكون تلك مغايرة للشائع ومخالفة للمألوف.

في مسرحية شكسبير يوليوس قيصر

يعمد مارك أنطوني في خطبة الجنازة المشهورة إلى استثارة انفعالات الجمهور، ولا يفوته أيضا أن يهيب بمصالحهم الشخصية.

لقد كانت القضية التي استدعى الملأ لمواجهةها هي

1- هل كان قيصر مذنباً بالتآمر للإطاحة بالجمهورية وتنصيب نفسه ملكاً.

2- هل ينبغي اتخاذ إجراء ضد قاتليه لا تتعرض خطبة أنطوني لهذه القضية وبدلاً

من ذلك يعمد أنطوني إلى تذكير الرومانيين بأنهم كانوا يحبون قيصر ذات يوم.

كلكم أحببتموه ذات مرة، لا لغير سبب فأني شيء يمنعكم إذاً أن تندبوه؟

ويؤكد لهم أنه أنطوني، ليس داهية وليس منعوتا (وأنه من ثم جدير بالتصديق)

فما أنا بالخطيب مثل بروتس لكني كما تعرفوني جميعاً رجل غير صريح.

أحب صديقي، وهم إذ يعرفون ذلك حق المعرفة.
فما أنا بالخطيب مثل بروتس
لكني كما تعرفونني جميعا رجل غير صريح.
أحب صديقي، وهم إذ يعرفون ذلك حق المعرفة.
أذنوا لي على الملأ بالمتحدث عنه غير أنه في إثارة عواطفهم ضد بروتس وشركائه
ببلاغة اللغة وبلاغة الدم.
لاحظو كيف تبعها دم قيصر
كأنما اندفع يطل من الباب ليتأكد.
أهو بروتس الذي طرق هذه الطريقة المنكرة أم سواه؟
فلقد كان بروتس كما تعلمون ملاك قيصر اشهدي أيتها الآلهة بأي إعزاز أحبه
قيصر
هذه كانت أقسى الطعنات جميعا.
فإن قيصر النبيل لما رآه يطعن كان الجحود، وهو أفتك من أسلحة الخونة هو الذي
أجهز عليه، فعندما انصدع فؤاده الكبير...
سقط قيصر العظيم.
وأية سقطة كانت يا بني وطني؟
حينئذ سقطت أنا؟
وسقطتم أنتم؟
وسقطنا جميعا؟
بينما تشامخت الخيانة السفاكة علينا.

ذلك أني لا، لا أملك من البديهة، ولا من الألفاظ ولا من القيمة أو العمل.
ولا من الذلاقة، ولا من قوة الخطاب، ما أهيج به دماء الناس.
وإنما أنا أتكلم على رسلي فأخبركم بما تعرفونه أنفسكم.
وأريكم جراح قيصر الحنون، تلك الأفواه الخرساء المسكينة.
وأسألكم أن تتكلم نيابة عني، غير أني لو كنت بروتس أنطونيو لكان ثمة أنطونيو
يضرم في نفوسكم نارا، ويضع لسانا في كل جرح من جراح قيصر، خليقا بأن يحرك
حجارة روما لكي تهب وتثور.
ويختتم أنطونيو خطبته بتذكير الجمهور بمصالحهم الشخصية، فيتم له استهواء
العامة واختلابهم وتحريكهم حيث شاء.
ها هي ذي وصية قيصر
كل رجل بمفرده، خمسة وسبعين دراخما
عند هذا، ترك لكم كل جنائنه.
وعرائشه الخاصة، وديساتينه حديثه الغرس على هذا الجانب من الترتيب ترك لكم
ولذراريكم إلى الأبد، أرضا مشاعة، تتزهون فيها وتروحون عن أنفسكم ذلك
كان قيصر، فمتى يجود الزمان بمثله ومتى هاجت عواطف الدهماء وسال لعابها فقد
انفلتت الفتنة من عقالها وتنحى العقل أو ديس تحت سنابك المغالطات
أيتها الفتنة إنك لعل ساق
فاسلكي أي سبيل تشائين
إن القدر منشرح الصدر
وهو في هذه الحال لا يضمن علينا بشيء

عربة الفرقة الموسيقية

هذا الطريق المعبد ينحدر ليصل إلى تلك الأنوار المتلألئة في الجهة
المقابلة

العجول محمولة بالشاحنات ثلاثة ثلاثة

رؤوسها تنوس بثقل وراحة بال

العجول محمولة بالشاحنات

سوداء، بلقاء، صفراء

لا أحد يستطيع أن يفهمها

إنها ذاهبة إلى المذبح

رؤوسها تنوس بثقل وراحة بال

ناظم حكمت (إلى المذبح)

إلا تعتبر نفسك مفندا منذ البداية يا سقراط حين تطرح آراء لا يمكن

أن يقبلها أحد؟

عجبا..

سل أي شخص من الحضور؟!

أفلاطون

في أي مجتمع كبير – من الأمن لك أن تكون مخطئا مع الأغلبية.

من أن تكون صائبا وحدك

(جون كينيث جليبرايت)

الغوغاء أقرب إلى أن يقعوا ضحية كذبة كبيرة منهم إلى كذبة صغيرة

(أدولف هتلر)

(كفاحي)

نتيجة مغالطة عربية الفرقة

إلى ميلنا الغريزي لأن ننضوي مع الحشد.

ومفادها أنه ما دام عامة الناس تعتقد شيئاً ما أو تختار مسلكاً معيناً من الفعل، فلا بد أن يكون هذا المسلك أحق أن يتبع.

وتأتي التسمية من عربية الفرقة الموسيقية فقد كان المرشحون فيما مضى يستقلون في حملاتهم الانتخابية عربية كبيرة تتسع لفرقة موسيقية، ويجوبون المدينة، وكان الناس يعبرون عن تأييدهم للمرشح باعتلاء العربية أو الصعود إلى ظهرها ومنها تأتي عبارة هلم إلى عربية الموسيقى اقفز إلى العربية أي شارك الحشد وانضم إلى الزفة التي صارت تعني الانضمام في أمر ما بحكم شعبيته، ويمكن تجريد صورتها كالتالي:

الفكرة ق راجئة

إذاً الفكرة ق صحيحة

وفي مجال علم النفس يتحدث السيكلوجيين عن أثر عربية الفرقة (ظاهرة عربية الفرقة) وهي ظاهرة اجتماعية سيشعر فيها الأشخاص بضغط الانصياع لموقف معين، أو رأي عندما يدركونه على أنه موقف، أو رأي الأغلبية في جماعتهم أو مجتمعهم وفي مجال الدعاية هناك ما يعرف بـ تكتيك عربية الفرقة.

موقفاً أو اعتقاداً ما، وذلك لكي يتسنى إقناع آخرين بتبني ذلك الموقف أو الاعتقاد.

أمثلة

المثال الأول

الناس كلها أو معظمها تفضل الماركة س

إذاً عليّ أنا أيضاً أن أشتري الماركة س

المثال الثاني

ثمانية مليون فرنسي لا يمكن أن يكونوا على خطأ.

المثال الثالث

في يوم من الأيام كان أغلب البشر في بقاع كثيرة من الأرض يعتقدون برسوخ أن الأرض مسطحة أو أن الأرض هي مركز الكون، أو أن الشمس تدور حول الأرض، وقد تبين أن كل ذلك باطل.

المثال الرابع

في يوم من الأيام كان أغلب البشر (بما فيهم أرسطو وغيره من خيرة العقول) يعتقدون أن القلب هو عضو الشعور والتفكير، وهو اعتقاد غير صحيح.

المثال الخامس

كان أغلب البشر فيما مضى يعتقدون أن الصرع هو روح شريرة تتلبس المريض، وقد تبين بالدليل العلمي الدقيق أن الصرع هو اضطراب في النشاط الكهربائي لخلايا المخ.

المثال السادس

كان البشر يعتقدون أن الإنسان لا يمكنه مواصلة الحياة وهو على سرعة أكبر من 25 ميلا في الساعة؟

المثال السابع

استطلاعات الرأي تشير إلى فوز ساحق للحزب الوطني، ومن ثم ينبغي أن تصوت للحزب الوطني.

المثال الثامن

كان أينشتين مناصراً لمذهب اللاعنّف فأرادت جماعة من العلماء أن يفندوا رأيه في ذلك ويضادوا تأثيره ويسجلوا مناوأتهم لمذهب اللاعنّف فنشروا مجموعة مقالات في كتاب أسموه مائة عالم ضد أينشتين حين سمع أينشتين بهذا العنوان قال لو كنت على خطأ فقد كان يكفي عالم واحداً

السلح الخامس عشر

التنفج

(التأسي بالنخبة)

في هذه المغالطة يتم الاقتداء بالصفوة المختارة بدلا من عامة الناس
وصورتها:

جميع وأغلب الممتازين من الناس يعتقدون أن يفعلون ق إذا ق صحيحة.

أمثلة

المثال الأول

الأثرياء من الناس يفضلون الماركة س

إن علي أنا أيضا أن أستعمل س

المثال الثاني

صفوة المثقفين يعتنقون الماركسية هذه الأيام إذا الماركسية هي الفلسفة

الصحيحة وعلي أن اعتنقها.

السلح السادس عشر

التلويح بالعلم

التذرع بالوطنية
الوطنية هي آخر ملاجئ الأوغاد

صمونيل جونسون

في هذه المغالطة يلجأ المتحدث إلى المشاعر القومية أو الوطنية ليدعم بها حجته أو موقفه، أو ليقوض موقفا آخر باعتباره منافيا للوطنية أو القومية ويندرج في هذه المغالطة التلويح بأي رمز أو التلغف بأية راية:-

سياسية أو مذهبية أو دينية حين يكون ذلك افتعالًا وتكلفًا غير ذي صلة بالحجة المعنية تصديقا لقول لوميير ما أبعد البون بين الوجه والقناع

الاحكام الصائب للأغلبية

ليست الحقيقة ديموقراطية بالضرورة، فقد يصيب شخص واحد في التفكير مثلما يصيب مائة شخص، وقد يخطئ واحد، وما ينبغي لموقف ما يكون حقا لمجرد أنه موقف أغلب الناس ولا لموقف أن يكون باطلا لمجرد أنه موقف القلة، تلك حقيقة ما يزال يلح عليها درس المنطق ودرس التاريخ.

إنما تستند الحجة على دعائهما المنطقية الخاصة وليس على عدد مؤيديها.

وكم اعتقد الناس اعتقادات بلغت مرتبة اليقين وجرت مجرى البديهيات، ثم يتبين بعد ذلك أن تلك الاعتقادات الكبرى كانت أخطاء كبرى!

غير أن علينا أن نتجنب الغلو في الاستهانة برأي الأغلبية، وبخاصة إذا كان العدد هنا يحمل مغزى المراجعة ويضطلع بوظيفة التدقيق والتنقيح والتحقيق، وإلا فما معنى مراجعة الحسابات وهو عمل محاسبين متعاقبين ومراجعة النظراء في مجال البحث العلمي وشرط تعدد الشهود في الجرائم، واتفاق القضاة والمحلفين في الأحكام، وتكرار التجارب في العلم؟

العقلانية إذاً تعني التذرع بالمبررات العقلية التي تثبت للنقد العام أي التمحيص، قد يكون الفرد شاذاً في مبررات اعتقاده، ولا يصبح عقلانياً بحق إلا حين يدرك أن عليه ألا يكتفي بإقناع نفسه بل أن يقنع كل من يتفحص أدلته وبراهينه الحقيقية ليست ديموقراطية.

نعم ولكن التبرير العقلي يجب أن يكون منفتحاً على النقد العام وأن يتم في وضوح النهار.

ثمة أيضاً حالات يكون فيها التذرع بالجموع مبرراً وغير خارج عن الموضوع، وذلك عندما يكون اعتقاد الأغلبية، أو باعتقاد النخبة المنتقاة هو المحدد للحقيقة في المسألة المعنية.

تعريفات الألفاظ هي مسألة اصطلاحية تتوقف على ما اتفق عليه عموم الأشخاص في جماعة لغوية معينة.

الاستخدام القياسي للرمز في جماعة بعينها هو أمر يتوقف على اتفاق الناس ككتلة وحشد.

صيحات الأزياء وغيرها من الموضوعات في شتى المجالات هي بحكم التعريف، ميل الأغلبية من الناس، أو ميل ثروة الناس وصفوتهم، في مجال معين من زمن معين. التوجه السياسي في البلاد الديمقراطية يحدد الشعب بوصفه شعباً، ومن ثم فلا مفر في هذا المجال من الاحتكام إلى الاقتراع العام والاحتكام إلى اختيار الأغلبية: تستند هذه الأشكال السياسية الديمقراطية إلى فكرة أنه ليس هناك فرد بلغ من الحكمة أن يعرف للآخرين مصالحهم ووسائل سعادتهم وخيرهم. أكثر منهم وأن يفرضها عليهم بغير رضاهم كل فرد يتأثر في فعله ومتعته. بحالته المترتبة على النظام السياسي الذي يعيش في ظله. ومن ثم فإن له حقا في تحديد هذا النظام.

اجتماع أهل الخبرة والرأي في مجال تخصصهم ينبغي إلا يوصف بأنه مغالطة:- فإذا أجمع الأطباء مثلا على أن التدخين ضار بالصحة، أو على أن الغذاء ذا النسبة العالية من الدهون غير صحي، فإن المناداة بالإقلاع عن التدخين أو بتغيير هذه العادات الغذائية هو أمر مبرر منطقيا ولا مغالطة فيه.

أين نكمن المغالطة

إن مجرد الإهابة بانفعالات الجموع ليس في ذاتة مغالطة منطقية وليس عاملا محددًا في تقييم صواب الحجة، الحماسة ليست مغالطة وليس ما يمنع أن تثير حماسة الجمهور بحجة صائبة.

المغالطة يتعين أن تكون شيئا أكثر من مجرد شذوذ سلوكي أو قصور في الإقناع، تدنٍ في الأسلوب أو الخلق... يتعين أن تكون حجة خاطئة

أين المغالطة هنا إذاً؟

وأين الحجة بلة الحجة الخاطئة؟

يقدم دوجلاس والتوت تحليلاً لمغالطة الاحتكام إلى عامة الناس فيخلص إلى أنها مركب من أربعة عناصر:

العنصر الأول

هو استدلال ظني غير مشروع ينتقل من مجموعة اعتقادات خاصة بجماعة بعينها من المخاطبين إلى نتيجة تفيد حقيقة غير شخصية.²⁰

العنصر الثاني

هي تنكب الحجة أصلاً، أي تجنب العملية الاستدلالية منذ البداية: ليس ثمة مقدمات ونتائج، بل قفزة غير مبررة منطقياً إلى قضية مقبولة أصلاً لدى المخاطبين، وتدعم هذه القضية بالعاطفة لا بالعقل والعاطفة هنا غير ذات صلة بالنتيجة المستخلصة.

العنصر الثالث

هو غياب الصلة، وتغيير الموضوع الحديث من قضية معينة نريد إثباتها إلى انفعال معين يريد المتحدث أن يثبته أو يثيره أنه ضرب من جهل أو تجاهل موضوع الحديث.

²⁰ جون ديوي دفاع عن الديموقراطية في الفلسفة وقضايا العصر - الجزء الثاني - ترجمة د/ أحمد حمدي محمود، الألف كتاب الثاني 29 الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990 ص24.

العنصر الرابع

هو إثارة العواطف أي مخاطبة انفعالات الجموع بقصد إثارتها وتأجيحها وقد سبق أن قلنا لا حجة هنا وبالتالي لا خطأ وإنما يمثل هذا العنصر العامل السيكولوجي للمغالطة، أو طريقة عملها.

لا مغالطة في إثارة العواطف ولا خطأ.....

غير أنها قد تقدم السحابة التي تغيب تحتها الصلة وتفلت من الضبط أو الاستهجان، أو التي تعتم على الانتقال الظني غير المبرر من الشخص إلى الشخص وقد تكون هذه السحابة الانفعالية من الكثافة بحيث تسمح بتنكب أي حجة، أي بحيث تكون بديلاً للحجة.

السلح السابع عشر

الاحتكام إلى القوة (ومنطق العصا... اللجوء إلى التهديد)

جلوا صارما وتلوا باطلا
وقالوا صدقنا؟ فقلنا نعم.

المعري

ليست هذه هي الطريقة التي ينبغي للكائن العاقل أن يعتنق بها الحقيقة. ليس
هذا عرفانا بالحقيقة وما الحقيقة التي يعتقد بها على هذا النحو سوى خرافة
كبيرة بالمصادفة بالألفاظ التي تشير إلى الحقيقة

جون استيوارت مل

عن الحرية

إلى أكسفورد أرسل الملك فرقة من الفرسان لأن التوريين لا يعرفون الحجة
بالقوة وإلى كمبريدج أرسل نفس القدر كتب
لأن الهوجيين لا يسلمون بالقوة بل بالحجة.

وليم براون

حين يقول ستالين ارقص
فإن الرجل الحكيم يرقص

خروتشوف

ليست الحرية شيئاً يضاف إلى الفكر، فيكون لدينا فكر حر بعد أن كان لدينا فكر
غير حر فالفكر الحقيقي لا يكون إلا حراً الفكر الحر بحكم ماهيته وحكم
تعريفه، الحرية ليست شيئاً محمولاً، الفكر كيفية وجود أو أسلوب كينونته، الحرية

ليست شيئاً يعرض للفكر بل هي شيء يكون دون حرية أنت لا تفكر... بل تردد وتكرر وتصفر كجنادب الليل... وتبيع إحدى جوارجك لتشتري السلامة والفكر غير الحر ليس فكراً وإنما هو ك النقطة الممتدة والمربع المستدير تناقض ذاتي وتعني هذه العصا باللاتينية هذه المغالطة اللجوء إلى التهديد والوعيد من أجل إثبات دعوى لا تتصل منطقياً بانفعال الخشية والرعب الذي تهيّب به.

تقع في صميم هذه المغالطة فكرة القوة تصنع الحق وهي مغالطة بالتهديد يعمل على مستوى دافعي مغاير لمستوى القناعة الفكرية بوسعك أن تفرض السلوك القويم بالقوة. ولكن ليس بوسع أحد قط أن يفرض الرأي العقلي بالقوة. وإن ألف سيف مصلت على رقبتك لن تنهض لك دليلاً على اثنين واثنان تساوي خمسة مثلاً!

قد تشتري رقبتك بالطبع وتسلم للمأفونين بأنها كذلك ولكن الانصياع لا يعني الاقتناع.

هكذا فعل جاليليو حين أذعن للتفتيش وآثر السلامة وبقيت الأرض تدور في ملته وإعتقاده.

حيث لا تفتيش ثم ولا محاكم. وهذا ما لم يفعله جيوردانو بروتو (1600-1548) من قلبه.

فقد ذهب برونو إلى أن هناك أنظمة شمسية عديدة تسبح في فضاء لا نهائي، وهددته الكنيسة بالموت ما لم يغير آراءه.

إلا أنه لم يرضخ لمنطق العصا.

وآثر الموت حرقاً على الخازوق عام 1600

أمثلة

المثال الأول

ينبغي أن توافق على السياسة الجديدة للشركة.
هذا إذا كنت تريد أن تحتفظ بوظيفتك.

المثال الثاني

هناك براهين وفيرة على صدق الكتاب المقدس وكل من يرفض التسليم بهذا الصدق
سيكون مصيره العذاب.

المثال الثالث

أتعرف يا دكتور أدهم أنني بحاجة إلى تقدير ممتاز في هذه المادة؟
يسرنى أن أمر عليك فيما بعد لنتحدث في ذلك إنني سأكون بجوار مكتبك على أية
حال أزور والدي. إنه عميد كليتك بالمناسبة.
مع السلامة أراك بخير.

يمكن تجريد مغالطة العصا في الصورة التالية.
اقبل الحجة أ وإلا فإن الحدث س سوف يحدث.
الحدث س مؤذ أو مدمر أو مهدد
إذاً الحجة أ حجة سديدة.

غني عن البيان هنا أن القياس خاطيء بل عابث
وأن انفعال الخوف أو الرعب الذي يثيره ليس من جنس الحجة ولا من عنصر
البرهان.

ومن ثم فإنه لا يمس القضية التي يريد دحضها ولا تتقابل قرونها في نطاق لا معنى
على الإطلاق لأن تفرض رأيا بالقوة.

لأن بين القوة والرأي فجوة لا تعبر، تذكرنا ب فجوة هيوم بين عالم القيمة وعالم الوقائع من حيث تباين العالمية واستحالة العبور من أحدهما إلى الآخر.²¹

منك نكون العصا طائفة منطقيا

قد يكون التهديد أو التذكير بالخطر، صائبا منطقيا وذلك حين يكون ذا صلة مباشرة بالنتيجة أو حين يكون الخطر هو نفسه موضوع الحجة.

المثال الأول

توقفوا عن التجارب النووية في هذه المنطقة القريبة من القطب، لأنها ربما تعقب زلازلا وفيضانات وإشعاعات.

في هذا المثال يناهض أنصار البيئة إجراء التجارب النووية، وفيه نجد أن الخطر متصل منطقيا بالحجة لأن احتمال حدوث النتائج الخطرة هنا مترتب سببا وليس صادرا عن قرار أو توجيه.

المثال الثاني

ذاكر جيدا وإلا انخفضت درجاتك

من المؤسف حقا أن شطرا كبيرا من الحوار عندنا لم يعد محتكما إلى العقل بل إلى العصا.

إنه أقرب إلى لعبة التحطيب منه إلى لعبة الجدل فنحن لا ننظر إلى الاختلاف في الرأي على أنه ثراء وخصب بل على أنه انحراف وخيانة، وما نزال نلوح بالعصا كلما أعوزتنا الحجة.

²¹ الحق أن بعض المناطق قد ذهب إلى أنه ما دام ضرب الخصم بالعصا ليس حجة أصلا، فضلا عن أن يكون حجة مغالطة. فلا ينبغي أن تدرج بين المغالطات المنطقية

ومن المؤسف في أمر العصا أن التهديدات الصريحة أو المستترة، الظاهرة أو المقدرة بوسعها أن تخلق وهما بأن أمرًا ما قد أقنع أو أفحم، وبوسعها أن تخرس الخصم فعلا وتثنيه عن المضي في الجدل، وتترك انطبعا زائفا بأنه قد خسر المناظرة بوسع العصا أن تشج الرأس وبوسعها أن تزهد الروح، ولكن هيهات لها أن تقيم برهانا أو تثبت حجة.

وقلما يكون التلويح بالعصا سببا لاعتقاد أي شيء.

السلاح الثامن عشر

الاحتكام إلى النتائج

إن كايوس فان حقا، وإن حقا عليه أن يموت
أما أنا...

إيفان إيش، بكل أفكاره وعواطفه، فشيء مختلف تماما.
إن من المستبعد أنني ينبغي أن أموت.
إن ذلك ليكون شيئا مرعبا غاية الرعب

تولستوي

الحقيقة ليست ملزمة بأن نتبع أهواءنا، وإنما نحن الملزمون بأن
نتبع الحقيقة.

ليس الفكر عبدا يخدم على أهوائنا ويدغدغ أمانينا، ويعمل على
راحتنا واسترخائنا، وإنما هو وظيفة بشرية تتعلق بتعرف الحقيقة كما
هي وإمالة الوهم كيفما كان...

موت إيفان أليش

ومن ثم فإن من المغالطة أن نستخدم النتائج السلبية أو الإيجابية، المترتبة على
اعتقاد ما كدليل على كذب هذا الاعتقاد أو صدقه.

يمكن تجريد الصورة المنطقية لهذه المغالطة كالتالي:-

الاعتقاد بأن ق يؤدي إلى نتائج مرغوبة حيث النتائج المرغوبة غير ذات صلة

بصدق ق

إذاً صادق

أو كالتالي

الاعتقاد بأن ق يؤدي إلى نتائج بغيضة حيث النتائج البغيضة غير ذات صلة
بكذب ق
إذا ق كاذبة

إن القضية الصادقة هي قضية صادقة بغض النظر عن شعورنا تجاه نتائجها.
ومن الحصافة أن تسلم بأن العالم لم يفصل حسب طلبنا، وأن الأشياء لا تأتي على
مقاس رغباتنا ومصالحنا، وأن ما نود أن يكون عليه الحال هو أمر غير ذي صلة
بما هو عليه الحال بالفعل.

ليس ثمة علاقة منطقية تربط ما بين نتائج اعتقادنا في قضية ما وبين قيمة صدق
هذه القضية (أي نصيبها من الصدق والكذب) ربما يستدعي ذلك في الذهن قول
فرويد في محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي:

أوذى الإنسان ثلاث مرات في غروره واعتزازه بنفسه وبمكانته في العالم:
كانت المرة الأولى: عندما تم التحول الأكبر في عصر النهضة من مركزية الأرض إلى
مركزية الشمس على يد كوبر نيكوس (1473-1543) الذي افترض أن أرضنا
ليست هي مركز الكون

وكان من الضروري أن يستخلص الإنسان من ذلك أنه ليس تاج الخليقة وأن العالم
لم يخلق من أجله.

وكانت المرة الثانية: عندما قدم تشارلس دارون (1809-1882) كتابه عن أصل
الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعي، فأثرت نظريته في التصور الديني بوجه خاص
عن كون الإنسان صورة الله وخليفته في الأرض.

أما المرة الثالثة: فكان الأذى أشد قسوة وأعمق جرحاً: إذ جاء من جانب البحث السيكولوجي الراهن الذي يريد أن يثبت للأنا أنا لا تملك حتى أن تكون سيدة في بيتها الخاص، وإنما تظل معتمدة على أنباء شحيحة عما يجري بصورة غير واعية في حياتها النفسية (محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي – محاضرة 18)

أمثلة

المثال الأول

لا بد من أن تكون مركزية الأرض نظرية صحيحة وإلا لكان الإنسان كائناً هامشياً شديد التفاهة وليس صورة الله وخليفته في الأرض.

المثال الثاني

من المؤكد أن نظرية التطور نظرية مغلوطة، وإلا لكان الإنسان قريباً لبقية الحيوانات وكان له أن يفعل فعلها ويسلك مسلكها.

المثال الثالث

اعتقاد الطفل في وجود بابا نويل يجعله سعيداً ومستبشراً ومهذباً، إذاً بابا نويل موجود.

المثال الرابع

من المحال أن تنشب حرب نووية في أي وقت من الأوقات، إن ذلك كفيلاً بأن يجعلني متوجساً هلعاً لا أذوق للنوم طعماً.

رهان بسكال

تقوم حجة الرهان الشهيرة للفيلسوف الفرنسي بليز بسكال على الموازنة بين النتائج المترتبة على الإيمان وتلك المترتبة على عدم الإيمان وقد أثرت أن أفرد لرهان بسكال

عنوانا منفصلاً، وذلك لأنه محل خلاف بين الفلاسفة منذ زمن طويل، فهو مغالطة أكيدة لدى البعض وبخاصة من أصحاب المذهب الطبيعي، وهو حجة سديدة لدى البعض، مثل وليم جمس الذي أسهب في تبليانه في كتابه إرادة الاعتقاد. يقول بسكال في الخواطر إما أن الله موجود أو غير موجود ولا يملك العقل وحده أن يحسم هذا الأمر وما دام الاختيار هنا لا بد منه فلتنظر إليه على أنه رهان: إذا ما راهنت على أن الله موجود وسلكت في حياتك وفقاً لذلك ثم رجحت نعيماً أبدياً. أما إذا خسرت فلن تخسر شيئاً يذكر.

وقد سبق لأبي العلاء المعري أن صاغ هذه الحجة عينها صياغة بليغة محكمة في لزومياته إذ يقول.

قال المنجم والطيب كلاماً

لا تحشر الأجساد قلت إليكما

إن صح قولكما فلسنت بخاسر

أو صح قولي فالخسار عليكمما

يقول وليم كليفوردي في أخلاق الاعتقاد مفنداً حجة الرهان: إن الإيمان يفقد قداسته إذا ما تعلق بعبارات لا دليل عليها ولم توضع موضع التساؤل لمجرد راحة المؤمن ولذته الشخصية.

فلو قبل الإيمان على أساس أدلة غير كافية فإن اللذة تكون لذة مختلصة. حتى لو كان الإيمان صحيحاً.

يرى البعض أن المراهنة على الرب تحمل المرء على أن يختار نفسه وينتهك بذلك واجبا (كانتيا) تجاه ذاته ويصر كاليفورد على أن اعتقاد الفرد شيء بلا دليل كاف هو أمر يؤذي المجتمع كله لأنه يغرر السذاجة ويعدي مثلما تعدي الأوبئة! وإنه لمن الخطأ دائما وفي كل مكان، ولكل شخص، أن يؤمن بأي شيء على أساس أدلة كافية.

منكي يكون الاحتمال إلى النتائج طائبا منطقيا

فطن الفلاسفة منذ أرسطو إلى أهمية الاحتمال إلى النتائج للمفاضلة بين القضايا المختلفة في حالة تساويها في كل شيء يقول أرسطو في الطويقا حين يكون شيئا من التماثل بحيث يصعب تفضيل أحدهما على الآخر فإن علينا أن نحتكم إلى نتائجها. وذلك الشيء الذي يفضي إلى نتائج أفضل هو الجدير بالاختيار.

وأما إذا كانت نتائج كليهما شرا فإن علينا أن نختار أقلهما شرا.

غير أن أرسطو وغيره من الفلاسفة إنما تحتكمون إلى النتائج في مجال العقل العملي لا النظري، أي حين يكون الاختيار بين مسارين من الفعل، أو بين نهجين من السلوك والحق أنه من الوضوح الذي يجري مجرى البدائة ونوافل القول أن الموازنة بين الأفعال إنما يتم بالموازنة بين معقباتها ونتائجها المتوقعة إما إذا كان السؤال هو عن الحق والصواب فإن الاحتمال إلى النتائج يكون أمرا خارجا عن الموضوع.

ومن الخطأ دائما أن نوجس من كل نظرية علمية جديدة تكشف جانبا من الحقيقة، أو نرفضها، لا لشيء إلا لأنها تتحدى قناعاتنا الثقافية، أو تجرح كبرياءنا البشري أو تمس عواطفنا الاجتماعية.

السلح التاسع عشر

الألفاظ الملقمة الألفاظ المشحونة المفخرة

بواسطة الدعاية الذكية والمتواصلة يمكنك أن تحمل الناس على أن ترى الفردوس جحيما، والعكس أيضا أن ترى أشقى أنماط الحياة على أنها النعيم المقيم.

أدولف هتلر

أنا صارم أنت عنيد هو خنزير الرأس

برتراندسل

ولأني كهل غروبي
فضلاي دائما أطول مني
وهي أرق مني وأدق
وأكثر نفاذا وثباتا
لم أكن أنتقل إلا حاملا خنجري تحت العباءة
ترافقتي ظلاي الطويلة
وتلازمني حاشية هادئة

نوبة اللفظ

لكل لفظ من ألفاظ اللغة ضربان من المعنى أو الدلالة:

المعنى الحقيقي (المباشر | الإرشادي | المعجمي | الأولي)

والمعنى الضمني (الإضافي - الإيحائي - الثانوي)

أما المعنى الحقيقي فهو المعنى الذي يعبر عن العلاقة الموضوعية بين اللفظ والواقع الذي يشير إليه فمعنى كلمة زهرة هو ذلك الجزء من النبات الذي يضطلع بإنتاج البذور ويعبر عن طور من أطوار نموه، ومعنى كلمة وردي هو لون ذو خصائص فيزيائية محددة وأما المعنى الضمني فهو المتضمنات الانفعالية والتقويمية التي يستحضرها المعنى في الذهن والتي تعبر عن الجانب الشخصي من المعنى وربما تختلف من شخص لآخر ومن جماعة إلى أخرى فكلمة باص على سبيل المثال قد تستدعي في أذهان البعض انطباعات من قبيل الرخص، الازدحام، الفقر، وقد تستدعي في أذهان التلاميذ معاني الراحة والمرح والزمالة.

غير أن المتضمنات تكون مشتركة في أغلب الأحوال وذلك لتتشارك الناس في كثير من الخبرات وظروف المعيشة من ذلك كلمة وسط المدينة تستدعي في ذهن معظم الناس متضمنات من قبيل الضجة، الزحام، الإثارة، التراب، اللهو... إلخ حين أقول هذا كذب فإن ما أقوله هو عبارة بسيطة من حيث الصيغة اللغوية غير أنها بساطة خادعة، فإذا ما قمنا بتحليل لمعنى العبارة ق كذب وجدنا أنها تصدق إذا ما توافرت الشروط الأربعة التالية:-

الشرط الأول

ق غير صادق

الشرط الثاني

ق يعرف أنها غير صادقة

الشرط الثالث

القائل يقصد أنه يقول ق

الشرط الرابع

القائل يقصد أن يحفل المستمع ليعتقد ق رغم أن كلا من هذه الشروط هو شرط ضروري لمعنى كلمة كذب فإن الشروط الأربعة ليست كافية ذلك أنها لا تفي إلا بالمعنى الإرشادي المباشر لكلمة كذب ويظل هنا نطاق عريض لامعا إضافيا ضمينا فالمرء لا يمكن أن يكون جادا في قوله "هذا كذب" ما لم يعتمد أيضا إلى إهانة القائل ووصمه وترقيعه ومن ثم فكلمة كذب تعني أيضا فيما تعني الازدراء والسخط، الإدانة، الشجب، الردع... إلخ

تلك هي الوظيفة الإيعازية للغة التي تحدث عنها جون أوستن (1911-1960) رائد نظرية أفعال الكلام في هذا المستوى من الأفعال الكلامية يريد القائل من قوله أن يحدث تأثيرا على المتلقي في إقناع، خشية، رهبة، ردع، سخط... إلخ وتلك أيضا هي الوظيفة الانفعالية للغة التي تحدث عنها أوجدن وتشاردز ومنذ أن أشار إلى أهمية الوظيفة الانفعالية للغة في كتاباتهما معنى المعنى تختلف تجاه إلى شجب المصاحبات الانفعالية المحتومة للكلمات والجزع من كثرة الظلال الإضافية للألفاظ كمصدر للزلل والمغالطة وما تقدم العلم تقدما متصلا إلا لالتماسه لغة محايدة دقيقة للتواصل، وتحليه عن المتضمنات العاطفية.

والخيالية للألفاظ في لغة معادلاته وقد أدرك المفكرون أهمية أن تحذو المناقشات السياسية والدراسات الإنسانية في ذلك حذو العلم، وتشيد نموذج لغوي خالٍ من الضوضاء الانفعالية قدر المستطاع منذ أفلاطون، في حقيقة الأمر، نهضت تيارات تستنكر ميل البشر إلى الاستمالة العاطفية بدلا من الإقناع العقلي، وتحذر من إساءة استخدام الوظيفة الانفعالية للغة في إعاقة التفكير المنطقي والتعقيم على

الحقيقة في زمننا المعاصر علت صيحات مدوية ضد الألفاظ الملونة وضد طغيان الكلمات حيث تكون اللفظة محملة بمتضمنات انفعالية وتقويمية زائدة بالإضافة إلى معناها المباشر يقال لها لفظة ملقمة أو مشحونة بالكلمة الملقمة مثل البندقية الملقمة بالذخيرة والمعنى الانفعالي أو التقويمي هو الرصاص.

حين استعمال لفظ بهيمة بدلا من حيوان، ولفظ رشوة بدلا من حافز... إلخ فأنا عندئذ أستخدم ألفاظا ملقمة تفعل فعلا آخر غير مجرد رصد الحالة الموضوعية إنها تحكم وتقوم وتحرض وتوعز انظر أيضا في هذه القائمة من الكلمات:

عنيد	صارم
متعجرف	واثق
مداهن	ودود
متملق	مجامل
متسبب	متساهل
إهمال	سهو
مجتمع	كائن متعاش
متخلف طفيل	مجتمع نائم
همجي	بدائي
ساذج	بسيط
يدعي	يقول
موسوس	مدقق

ليست كل لغة مشحونة هي لغة مغالطة بالضرورة، وإلا لكان كثير من الدراسات وكل الأدب والشعر ركاما من المغالطات ونحن نريد في حقيقة الأمر، أن نكون قادرين في بعض الأحيان أن نسخر الطاقات الانفعالية والخيالية للكلمات في خدمة الحقيقة.

نريد أن نقول للقتلة الدمويين:-

أنتم سفاحون مجرمون: ولا نقول أنتم حراس النظام الجديد ومبطلو الثورة المضادة ونريد أن نقول للإرهابي: أنت أنا في مشوش تتوهم حلا سحريا لمأزقك الوجودي وتؤمن لنفسك مستقبلا أخرويا على حساب غيرك، وأن نقول للمتميزين: أنتم تغالبون ربكم وتريدون إزالة اللون من لوحة الدنيا وتجعلون للحياة هامشا سمجا على متن الموت

ما أتعسنا حقا لو تخلينا عن انفعالية اللغة وقصصنا أجنحة الكلمات.

وكم ترين البلادة على أحاديثنا ولو أننا توخينا الحياد العلمي في كل شيء.. وبدلا من أن نقول مع الشاعر (الشريف الرضي)

وتلفتت عيني فمذ خفت

على الطول تلفت القلب

قلنا (وما أبلدنا إذ نقول) وبقيت أدرك الأطلال بحاسة البصر فلما أصبحت خارج مجالي البصري بدأت أستدعيها في الذاكرة ومهما يكن من شيء فإن الألفاظ المشحونة كثيرا ما تكون فخا منطقية تدفع المرء إلى أن يقفز إلى استنتاجات تقويمية غير مشروعة وتأتي المغالطة حين يستخدم المجادل ألفاظا مشحونة بدلا

من الحجة أو حيت يتأثر المتلقي باللغة الملونة التي تغلف بها الحجة بدلا من أن يلتفت إلى مناقب الحجة بحد ذاتها.

أمثلة

المثال الأول

يدعي السيد نبيل سالم أن التصدير سوف يؤدي إلى ارتفاع الأسعار. (لاحظ أن كلمة يدعي تفترض ضمنا أن ما يقوله السيد نبيل كاذب أو باطل)

المثال الثاني

يريد أن يجد اقتراحا رفضا من البيروقراطية الحكومية (قارن- بديها أن يجد اقتراحنا رفضا من مسؤولي الحكومة)

المثال الثالث

كل عاقل في هذا البلد يعرف أن الإجراءات المتخذة لا تصب في مصلحة المواطن (لاحظ أن كلمة عاقل قد صادرت بصواب العبارة المطروحة)

المثال الرابع

مرة ثانية تضبط إنجلترا وهي تتملق الديموقراطيات (قارن: مرة ثانية نرى إنجلترا تعتمد إلى أن تحتفظ بعلاقات ود مع الأنظمة المتشددة)

المثال الخامس

سرت إسكتلندا هدفا في الشوط الأول ولكن إنجلترا في الشوط الثاني نشطت واستفاقت، وتوجت جهودها بهدف (بوسعك بالطبع أن تتعرف على انتماء المعلق)

المثال السادس

بوسع الجماهير أن تفرق بين رشاوي مرشحي العمال وعربونات مرشحي المحافظين.

المثال السابع

ألست متأثراً بالقضية العادلة التي يلهج بها ألوف المتظاهرين الواعين بالخارج! هيهات أن أنجرف بثغاء حشد من الغوغاء!

النعوت المصادرة على المطلوب

من البين أن اللغة المشحونة تنطوي دائماً على مصادرة على المطلوب لأنها تفترض مسبقاً حكماً تقويمياً لم تتم البرهنة عليه بعد.

ولذا كانت جريمتي بننام يطلق على هذه المغالطة اسم النعوت المصادرة على المطلوب. إنها تدرس مواقف انفعالية في داخل العبارة التي تحملها.

وهذه المواقف ليست جزءاً من الحجة وإنما يجري استدعاؤها على نحو غير مشروع لكي تؤتي أثراً ما كان للحجة أن تؤتيه بمفردها وبعبارة أخرى تعد هذه المواقف الانفعالية غير ذات صلة بقيمة صدق العبارة أي بتأسيس صدق العبارة المطروحة أو كذبها.

وصفوة القول أن الحجة السديدة تتطلب أن يبذل المرء جهداً واعياً لكي يصوغ حجته صياغة محايدة قدر المستطاع، بحيث تقف حجة على قدميها ولا تتوكأ على عكازات انفعالية وتقويمية مقحمة عليها ومن غير جنسها.

السلّاح العشرون

المنحدر الزلق (أنف الجمل)

قال البدوي لنفسه:

إذا تركت الجمل يدس أنفه في خيمتي في هذه الليلة الباردة فإنه يوشك بعد ذلك أن يدس رأسه كله.

ثم لا يلبث أن يدس رقبتة، وسرعان ما أجد الجمل برقبتة وقد اقتحم على الخيمة. هكذا شيد البدوي في خياله سيناريو تنتهي فيه الأحداث أسوء نهاية، وتفضي إلى كارثة تمنعه أن يتخذ الخطوة الأولى.

تعني مغالطة المنحدر الزلق أن فعلا ما. ضئيلا أو تافها بحد ذاته، سوف يجر وراءه سلسلة محتومة من العواقب تؤدي في نهاية المطاف إلى نتيجة كارثية.

كل حدث في هذه السلسلة هو نتيجة ضرورية لما قبله وسبب للحدث الذي يليه. الأمر هنا أشبه بخطوات الشيطان إذا خطوت منه خطوة واحدة فسوف تتبعها خطوات تنتهي بك إلى الحجوم ضربة لازب، أو أشبه بالتفاعل الذري المتسلسل إذا بدأ فسوف يمضي في تتابع لا مرد له ينتهي بانفجار نووي هائل، أو أشبه بالمنحدر الزلق يكفي أن تطأه وطأة واحدة حتى تزل قدمك وتهوي مترديا إلى القاع.

إن الحذر وجيه تماما إذا انطبقت هذه التشبيهات غير أنها في مغالطة المنحدر الزلق لا تنطبق (والا لما كانت مغالطة)

ويمكننا تجريد الصورة المنطقية لهذه المغالطة التالية:-

إذا كان أ كان ب

إذا كان ب كان ج

وهكذا حتى ن

(حيث إن نتيجة كارثية، وحيث لا يوجد لزوم منطقي في موضع أو أكثر من السلسلة المفترضة، ولا يوجد سبب لافتراض أننا لا يمكننا أن نتوقف ببساطة عند نقطة ما في هذا المنحدر)

أمثلة

المثال الأول

إذا استثنيتك أنت من هذا القرار فسوف يكون علي أن أستثني الجميع.

المثال الثاني

إذا أقرضتك جنيها اليوم فسوف تقترض مني غدا جنيهين، ثم عشرة جنيها، ولن يمضي وقت طويل حتى تقترض مني ألوفاً وتأتي على كل ثروتي.

المثال الثالث

إذا سمحنا اليوم ببعض الضوابط القانونية على الحديث العام أو الكتابة الصحفية فسوف نسمح غداً بمزيد من القيود، وهكذا حتى يأتي اليوم الذي نجد أنفسنا فيه نعيش في ظل دولة بوليسية فاشية.

المثال الرابع

إذا سمحنا للناس باختيار نوع الجنين فسوف نسمح لهم غداً باختيار لون عينيه وشعره، وما نزال نترخص في هذا الأمر حتى نسمح لهم بإنسال أطفال بمواصفات حسب الطلب.

المثال الخامس

إذا أكلت آيس كريم جالكسي فسوف يزيد وزنك وزيادة وزنك باضطراد تعني أنك تصاب بالسمنة، وما تزال السمنة تتفاقم حتى تموت بانسداد الشريان التاجي إذا آيس كريم جالكسي يسبب الوفاة فلا تقربه.

المثال السادس

ينبغي أن يبقى اختيار المقررات التي تدرس بالجامعات أمراً متروكاً للأساتذة لأننا إذا سمحنا لرغبات الطلاب بالتأثير في هذا الاختيار فسوف يتصورون أنهم يريدون التعليم ومن شأن هذا أن يؤدي إلى انهيار النظام سرعان ما نجدنا بإزاء جامعات لا تعلم شيئاً.

السلح الحادي والعشرون

الإحراج الزائف أو القسمة الثنائية الزائفة

أبيض أو أسود

عكازان يتوكأ عليهما كل ذهن مقعد عاجز عن التحليق في الفضاء الحقيقي

الرمادي

يقع المرء في هذه المغالطة عندما يبني حجته على افتراض أن هناك خيارين فقط أو نتيجتين ممكنتين لا أكثر.

بينما هناك خيارات أو نتائج أخرى – إنه يغلق عالم البدائل الممكنة أو الاحتمالات الخاصة بموقف ما.

مبقيا على خيارين اثنين لا ثالث لهما أحدهما واضح البطلان والآخر هو رأيه دام فضله:

أمثلة

المثال الأول

إما أنك معنا، وإما أنك ضدنا.

المثال الثاني

إما أن توافق على خفض الضرائب، وإما أن تكون راضيا عن الخراب العاجل الذي سيحيق بهذا البلد.

المثال الثالث

إما أن تدشن معنى هذه الحرب من أجل الحفاظ على
منهجنا في الحياة وإما أن تكون خائنا جباناً.

المثال الرابع

إما أن توافق على خفض الدعم الحكومي إما أن تكون سعيداً بفشلنا في علاج عجز
الميزانية.

المثال الخامس

إما أن تستعمل صابون دوف وإما أن تعرض جلدك لضروب خطيرة من التهيج
والحساسية

المثال السادس

إما أن نفرض حظراً على (س) من الأمور وإما أن نترك شخصيتنا ومنظومتنا
الحياتية مهددة بالخطر.

المثال السابع

إما أن نبيح الإجهاض دون قيد أو شرط وإما فإننا نرغم الأطفال على أن ينشؤوا في
كنف آباء لا يريدونهم.

المثال الثامن

إما أن نسرح نصف الموظفين وإما أن تفلس الدولة قبل يناير القادم.

المثال التاسع

إما أنني موهوب بقدرات نفسية خارقة وإما أنني دجال مخادع، ولكنني لست دجالاً
ولم أخدع في حياتي أحداً قط (هناك احتمال ثالث أغفل وهو أن أكون موهوباً)

المثال العاشر

إما أن يكون هذا الشاهد قد رأي حقا مخلوقات فضائية وإما أن يكون مجنوناً، ولكنه غير مجنون ولم نعرف عنه ولا شهدنا من تصرفاته ما ينم على أي خلل ذهني على الإطلاق

المثال الحادي عشر

أما أن تكون هذه السيدة قد اختطفت حقا في أطباق طائرة وأعيدت ثانية إلى الأرض وإما أنها تعاني من ذهان متقدم، ولكنها في تمام العقل والاعتزان وملتزمة في عملها ولم يسبق لها قط أن أدخلت إلى مصحة للأمراض العقلية. تروج هذه المغالطة بصفة خاصة في أقوال الباعة ومندوبي الدعاية الذين يضيقون على العميل نطاق الخيارات حتى لا يبقى له خيار إلا في سلعتهم المعروضة. وتروج على ألسنة السياسيين الذين يحيلون كل من ليس مواليا لهم إلى عدو مبين، ولا يتركون خانة للحياديين مثلاً في منظومتهم التصنيفية المتصورة. وتروج في خطاب المتطرفين الدينيين على اختلاف مشاربهم أولئك الذين يقدمون للسذج الكسالي العقل تأويلاً للعالم مفرطاً في التبسيط والتسطيح والزيف والتشويه.

يمكن تجريد الصورة المنطقية للإحراج الزائف كما يلي:-

إما ق وإما ك

لا ق

إذاً ك

من الواضح أن هذا القياس صحيح بحد ذاته ولا غبار عليه، مثال ذلك:-

إما أن سليمان ميت وإما أنه حي

سليمان ليس ميتا

إذاً سليمان حي.

ومثال آخر

إما أن عمر لديه رخصة قيادة

إذاً عمر غير مسموح له بالقيادة

ويأتي الخلل دائماً إذا كانت ق و ك لا تستغرقان جميع الاحتمالات القائمة بحيث يحق

لنا تجريد الصورة المنطقية للإخراج الزائف بغية الإيضاح والدقة، كما يلي:-

1\ اما أن تختار ق وإما أن تختار ك

2\ ليس هناك اختيارات أخرى.

3\ لا يمكنك أن تختار ق

إذاً لا بديل لك من أن تختار ك

ويكمن الخلل هنا في كذب المقدمة ومن ثم لا يلزمك لكي تفند للخصم حجته

وتظهره على خطئه سوي أن تكشف له هذه المقدمة المضرة أو الافتراض المسبق

ليس هناك بدائل أخرى وتجرحه إلى واضحة النهار.

حين يعم الاستقطاب الذهني ويتواتر يصبح سمة شخصية تميز الفرد أو أيولوجية

جمعية أو تميز الجماعة.

وهو على المستويين لا يورث إلا العجز والجمود.

يقول د/ أزون بك رائد العلاج المعرفي:

يميل العصابي إلى التطرف والشطط في التفكير حين تكتنفه مواقف تمس الجوانب الحساسة من نفسه، مثل تقديره لذاته في حالة الاكتئاب واحتمالات الخطر الشخصي في حالة عصاب القلق وقد يقتصر الشطط الفكري على مناطق قليلة. ويعني الشطط (التطرف الفكري) أن نسم الأحداث والوقائع بأنها بيضاء أو سوداء، حسنة أو سيئة، رائعة أو فظيعة، وقد يطلق على هذه الخاصية اسم (التفكير المنقسم)

أو التفكير ثنائي القطبية شأن المقدمات الأساسية التحتية لهذا النوع من التفكير أو تصاغ في حدود مطلقة مثل (دائماً) أو (مطلقاً). ويتجلى الاستقطاب الذهني الجمعي في أوضح صورة في ظاهرة العنصرية أو ما يعرف بمركزية العرق.

وتعني مركزية العرق النظر إلى الأشياء على أن جماعتنا هي محور كل شيء والإطار المرجعي الذي يقاس عليه كل شيء.²² وتقيم به كل الجماعات الأخرى جماعتنا هي الصواب وغيرها الباطل. وهذه العنصرية الصميمة هي التي تحمل كل شعب على أن يغلو في أية عناصر يجدها خاصة به وحده ومميزة له عن الآخرين.

وهذا الاستقطاب الذهني هو الذي يفضي بالحضارات إلى التجمد والذبول وهو الذي يزيك الضغائن بين الجماعات المختلفة ويورطها في صراعات منهكة ويزج بها إلى حروب مقدسة في وهم الطرفين، ويعطلها في هذا العصر عن الاندماج في المجتمع الكوكبي الجديد.

²² أرون بك:- العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية، ترجمة د| عادل مصطفى، دار النهضة العربية، بيروت 2000 ص

إن أول ما يحيد بالجماعات عن المنطق السديد وعن الاندماج الجديد هو التفكير
المستقطب عقلية نحن - مقابل - هم، حيث يقيم كل طرف بتبسيط مفرط، فإما
خير كله وإما شر كله.

السلح الثاني العشرون

السبب الزائف (أخذ ما ليس بعلة علة)

تتقاطر الأحداث في الزمان
لا تأبق منه
موثوقة بأناتها دائما
ولكن غير موثوقة بجاراتها بالضرورة.

لماذا نحدث الأشياء

يميل البشر بطبيعتهم إلى تفسير الأحداث وإدراك سببها.

ولذلك أسسوا العلم الأصيل منه والزائف

ما سبب المرض؟

ما سبب الدمار؟

والحروب

والخسوف

والزلازل

والأعاصير

والركود الاقتصادي؟

إن في جبلة العقل البشري أن يربط الأشياء لتكون نمطا أو هيئة أو شكلا وأن يصل النقاط المنفصلة، الثغرات، ليستوي له نمط ذو معنى لديه وهو يرتبك ويتأزم إذا لم يميز أنمطا لأن به ولوعا بالتنبؤ، ورغبة في السيطرة على الأحداث.

تطرد الأحداث أمام الإدراك البشري في أنمط معينة من التصاحب والتعاقب والتجاوز في المكان والزمان، فيستل من ذلك علاقات ارتباط تثير فيه عادة التوقع. وقد تترسخ فيه عادة التوقع فتحول علاقة الارتباط إلى سببه فكما ارتبط حدثان معا في الزمان والمكان كان ذلك دليلا عنده على أن أحدهما سبب للآخر وكما تعاقب حدثان كان سابقهما سببا للاحق.

كل ذلك حسن وجميل، وهل العمل العلمي في شطر كبير منه، إلا اقتضاء للارتباطات التجريبية وتشبيد نظرية علمية تفسر هذه الارتباطات بلغة الضرورة القانونية.

تأتي المغالطة، على كل حال، عندما يخلط العقل بين المعية والسببية ويجعل مجرد الارتباط بين حدثين دليلا على أن أحدهما سبب للآخر، دون أي بينة أي أبعد من ذلك.

إن إثبات وجود علاقة سببية بين حدثين يستلزم أكثر من مجرد الارتباط الذي يستلزم الاطراد الدائم والارتباط الدائم بين نمطي الحدثين، إيجابا، وسلبا، وعدم وجود أي أمثلة مضادة.

وذلك أن مجرد المعية قد يكون مرده إلى:

1\المصادقة بالبحث.

2\ وجود سبب ثالث أعم من وراء كلا الحدثين، وتسمى المغالطة عندئذ إغفال سبب مشترك أو المعلول المزدوج كما أن الاتجاه الحقيقي للعلاقة السببية قد يكون معكوسا، وتسمى هنا الاتجاه الخطأ.

فالتفسيرات العلمية توصف عادة بأنها تفسيرات سببية على أن هناك فصيلا من الفلاسفة هم الوضعيون، يرون أن العلم يتعين عليه أن يكشف الارتباطات (ويصوغها صياغة رياضية قدر المستطاع) وليس عليه أن يحدد أسبابا وأما من جهة النظر القياسية التي ترى أن العلم يقدم تفسيراً عميقاً هي تفسيرات سببية قلبا وقالبا على أننا ينبغي ألا نغفل أن بعض التطورات في الفيزياء الحديثة قد كشفت عن أن الضرورة السببية (وتسمى أحيانا بالاحتمية العلمية) لا تنسحب على البينة الصغرى (تحت الذرية) للعالم الفيزيائي وهي ذلك المستوى من الواقع الذي تضطلع بدراسة ميكانيكا الكوانتم.

الخط بين السببية ومجرد المصادفة

(١) وجدت ارتباطات شبه تامة بين معدل الوفيات في حيدر أباد بالهند من ١٩١١ إلى ١٩١٩ وبين تغيرات في عضوية الرابطة الدولية لعلماء الميكانيكا خلال نفس المدة، ولا يمكن لأي عاقل أن يعتقد حقا في وجود أي شيء يتجاوز المصادفة المحضة في هذه الواقعة العجيبة (والتافهة في الوقت نفسه).

(٢) وجد ارتباط إحصائي وثيق بين مستويات تمويل الفنون في بريطانيا وبين أعداد طائر البطريق في القطب الجنوبي!

(٣) وجد ارتباط كبير بين أعداد طائر اللقلق في أماكن معينة من أوروبا وبين معدل المواليد من الأطفال من الخطأ أن نستدل من هذا الارتباط وحده على أن وجود طائر اللقلق سبب لولادة الأطفال!).

إغفال سبب مشترك neglect of a common cause (المعلول المزدوج joint effect)

يكثر الخلط بين المعية والسببية حين يغفل سبب مشترك للحدثين كليهما، أي حين يكون الحدثان ناتجين عن حدث ثالث، أو معلولين لعلّة مشتركة.

أمثلة:

(١) قبيل اندلاع الحروب يتزايد معدل التسليح لدى الأطراف المتصارعة إذاً زيادة التسليح تؤدي إلى اندلاع الحروب (ربما) يكون الصواب أن التوتر والخلاف بين الأمم يفضي إلى كل من التسليح والحرب.

(٢) الحمى ارتفاع الحرارة تؤدي إلى الطفح الجلدي (قد يكون فيروس الحصبة هو السبب من وراء كل من الحمى والطفح الجلدي)

(٣) وجد ارتباط قوي بين معدلات بيع الآيس كريم وبين معدلات الجريمة. إذاً تناول الآيس كريم يؤدي إلى ارتكاب الجرائم، الصواب أن ارتفاع حرارة الجو هو السبب في ارتفاع معدلات الجريمة بما يفضي إليه من توتر وقلق وفي ارتفاع مبيعات الآيس كريم.

(٤) كلما كبر مقاس حذاء الطفل كان خطة أفضل إذاً كبر حجم القدم تسهل عملية الكتابة الصواب أن النمو المتصل للطفل يؤدي إلى كل من زيادة حجم القدم ونمو القدرات المدرسية جميعاً بما فيها خط اليد).

(٥) ثمة انخفاض ملحوظ في البارومتر أثناء هبوب عاصفة. إذاً العاصفة سببت انخفاض البارومتر. الصواب أن انخفاض الضغط الجوي هو سبب كل من العاصفة وانخفاض البارومتر).

(٦) كشفت التحليلات وجود بكتريا معينة بكمية كبيرة لدى أحد المرضى فاستنتج الطبيب أن البكتريا هي سبب المرض. ثم تبين أن البكتريا غير ذات خطر وأن هناك فيروسا هو سبب كل من المرض ونمو البكتريا الانتهازية التي تكاثرت نتيجة ضعف المريض.

(٧) خلال العشر سنوات الأولى من انتشار أجهزة التلفزيون في أي بلد من البلدان وجد أن معدلات جرائم القتل ترتفع إلى الضعف. إذاً التلفزيون هو السبب في العنف الصواب أن انتشار أجهزة التلفزيون هو مجرد عرض التغيرات الاجتماعية عريضة النطاق، تشمل اكتمال بنية تحتية كهربائية وتكون طبقة وسطى كبيرة قادرة على شراء أجهزة التلفزيون وغيرها من الأدوات من السداجة إذاً أن نعد التلفزيون في هذه الحالة متغيراً مستقلاً تماماً.

(٨) في بعض الولايات الأمريكية وُجد أن معدلات الإدمان تتزايد مع زيادة الفقر. إذاً الفقر يؤدي إلى الإدمان الصواب أن التمييز العنصري في هذه الولايات كان يفضي إلى الإحباط والتراخي فيؤدي إلى كل من الفقر والإدمان).

مثل هذه الطريقة التبسيطية في التفكير لن تؤدي إلا إلى حلول تبسيطية. ولن تؤدي الحلول التبسيطية إلا إلى الفشل وإهدار الوقت والجهد، ما دام السبب المشترك يقبع هناك أمنا من الملاحظة والرصد، وبالتالي من تناول والعلاج.

common cause

(الانجاء الخطأ للمراقبة السببية). wrong direction

في هذه المغالطة نجد العلاقة بين العلة والمعلول (السبب والنتيجة معكوسة، حيث يؤخذ المعلول كعلة وتؤخذ العلة كمعلول)

أمثلة:

(١) انتشار مرض الإيدز ناتج عن زيادة الثقافة الجنسية. العكس هو الصحيح وهو أن زيادة الثقافة الجنسية ناتجة عن انتشار الإيدز وتخوف الناس منه).

(٢) يزداد انتشار الأمراض الفصامية بين الطبقات الاجتماعية الدنيا. إذاً تدني الطبقة الاجتماعية يؤدي إلى الفصام العقلي. الصواب أن المرض العقلي المزمن يؤدي إلى تدهور أداء المريض الدراسي والمهني والاجتماعي فيهبط به شيئاً فشيئاً إلى طبقة اجتماعية أدنى، وهكذا من يُصاب وراثياً من نسله، وتسمى هذه الظاهرة **drift phenomenon**).

(٣) وُجد أن هناك ارتباطاً بين معدل امتلاك السلاح في بعض الولايات ومعدل ارتكاب الجرائم إذاً امتلاك السلاح يؤدي إلى انتشار الجرائم الصواب أن انتشار الجرائم يُقلق المواطنين الآمنين فيستخرجون رخص الأسلحة للاحتياط والحماية بعد هذا إذاً بسبب هذا.

(المغالطة البعدية/ بعقبه إذا بسببه)

*hoc ergo propter hoc-post
a posteriori fallacy*

ذات يوم في الزمان
أخذ الديك غرور قاتل
فصاح معجباً: إنني حقاً ملك المزبلة، بل ملك العالم
إنني لأستل الفجر من مكمّنه بصياحي
وبوسعي إن شئت أن أكف عن الصياح فأجعل الليل سرمداً
جنب الصوت شقياً كان يفتش في المزبلة عن رزق
فجعل من الديك وجبة دسمة

هذا ولم يزل الفجر يطلع على الأرض إلى يومنا هذا
يصيح الديك قبل الفجر، ثم يأتي الفجر وينبجج الصباح إذا صياح الديك يطلع
الصبح ويسل الشمس من مكمّنها. هكذا فكر الديك وهكذا تمضي المغالطة البعدية
.fallacy a posteriori

تفيد المغالطة البعدية أنه ما دام شيء ما قد أتى بعد شيء آخر فهو إذاً قد أتى بسببه،
لقد حدث بعقبه إذاً فقد حدث بسببه. أليست المعلولات دائماً تأتي في أعقاب
العلل؟

إن المعلولات لتأتي حقا بعد عللها، غير أن هذا شرط ضروري **necessary condition** لعلاقة العلية وليس شرطًا كافيًا **sufficient condition**. فلكي يوصف حدث ما (أ) بأنه سبب لحدث آخر (ب) ليس يكفي أن يأتي قبله، فإثبات علاقة العلية يتطلب ما هو أكثر من مجرد التعاقب أو الارتباط: يتطلب أن جميع أفراد فئة ب في عينات وافرة وممثلة الفئة ب تأتي دائمًا وأبدًا بعد جميع أفراد فئة أ، وتغيب دائمًا ب في غياب أ، مع شيء من التجاور في المكان والزمان، وغياب أي عامل آخر قد يكون وراء حدوث الاثنين معًا. إلى آخر ذلك مما فصله البحث العلمي عن شروط إثبات العلاقة السببية، والطرائق العملية والإحصائية لإثبات ذلك. أما الاكتفاء بمجرد التعاقب الزمني كدليل على علاقة السببية فهو تفكير شديد الفجاجة والسوقية. وهو سوقي لأنه يتسم بالشيوع والجهل وبه يتقوم كل التفكير الخرافي والسحري وحكايا العجائز والوصفات الطبية الشعبية وثرثرة مجالس.

الفراغ والنبتل

حين نضع جانباً ذلك التصور اليومي عن العلة والمعلول، ونتأمل الأمر بدقة وحيدة وعمق نجد أننا رغم توهمنا فهم الآليات التي يؤدي بها كل حدث إلى الآخر، لا تشهد في الحقيقة شيئاً اسمه العلية، وكل ما نشهده هو تواترات وارتباطات وتتابعات من الأحداث، بحيث تؤول فكرة السببية في النهاية إلى توقعنا للاطراد والارتباط يقترب الإصبع من اللهب فتتألم فتسمي اللهب سبباً **cause** والألم مسبباً **oftec** أو معلولاً أو نتيجة، لأننا نتوقع الثاني كلما حدث الأول. ونحن بالطبع نلحق تفسيرات لنملاً الثغرات غير المرئية بين الحدثين. فكيف عرفنا أن هذه الأحداث غير المنظورة

هي الأسباب حق؟ لا شيء.. إنها تتوالى دائماً ويعقب بعضها بعضاً هذه الفجوة في معرفتنا هي مرتع خصيب وملاذ آمن للمغالطات:

كان مؤرخو الإغريق دائماً يفسرون الكوارث الطبيعية كنتاج لأفعال البشر، فإذا حدث زلزال مروع مثلاً ودمر مدينة بكاملها، فإن هيرودوت يعمد بهمة وجد إلى تفصيل الأحداث البشرية السابقة على الزلزال، ثم يستنتج أن المذبحة التي ارتكبها أهل المدينة مثلاً قبل الزلزال كانت سبباً في وقوعه.²³

وقد قدم عالم الاجتماع الأمريكي جراهام ستر نظريته فيما أسماه بالطرق الشعبية أو العادات الشعبية *folkways*، التي ترد الأحكام الأخلاقية إلى مظاهر لاعقلية في أساسها، لقوي اجتماعية هي ذاتها غير عقلية. هذه الطرق الشعبية هي عادات شعبية مستقلة عن أفكارنا عنها، ولا تسير حسب قواعد معقولة، وهي لا تتفق إلا مع المزاج أو الموقف العام لزمانها ومكانها المعينين. ولها ما يمكن أن يُعد حياة خاصة بها. ذلك أن سمنر يري أنها تولد وتكبر وتموت ولا يمكن أن يؤثر فيها تأثيراً يُذكر إلا قوى قليلة (منها التعليم) من هذه الطرق ما هو ناتج عن استدلال خاطئ، وبخاصة خطأ السبب الزائف. يقول سمنر أن الطرق الشعبية قد تكونت بطريق المصادفة، أو بواسطة فعل غير عقلائي وقائم على معرفة زائفة من ذلك أن وباء الطاعون لما تفشى في مولبو *Molombo* عقب وفاة أحد البرتغاليين اتخذ الأهالي كل الاحتياطات الممكنة لكي لا يموت رجل أبيض بعد ذلك في بلدهم. ومن ذلك ما حدث في جزر نيكوبار على أثر وفاة بعض من السكان الأصليين كانوا قد بدأوا لتوهم في مزاوله حرفة الخزف، إذ انفض الجميع عن مزاوله هذا الفن ولم

²³ هنتر ميد: الفلسفة - أنواعها ومشكلاتها، ترجمة د. فؤاد زكريا، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٣٧٦

يقربه أحد بعد ذلك على الإطلاق، ومن ذلك ما حدث في إحدى قرى جنوب إفريقيا حين أهدى البيض رجلاً من البوشمن عصا مرصعة بالأزرار كرمز للسيادة، إذ توفي الرجل وخلف العصا لابنه وسرعان ما توفي الابن فأعاد البوشمن العصا إلى من أهداها خشية أن يموت الجميع وقد تصادف مرة أن انتشر الجدري بين شعب الياكات بعد أن شهدوا جملاً لأول مرة فوقر في ظنهم أن الجمل هو الذي أحدث المرض وبوسعنا أن نجمع ما لا يحصى من هذه الشواهد وهي في الحقيقة تمثل الطريقة المتبعة في الاستدلال العقلي لدى الشعوب البدائية، فمن عادة هؤلاء الأقوام إذا حدث شيء بعد شيء آخر أن يستدلوا من ذلك أنه حدث بسببه، وما تزال هذه الطريقة في التفكير تعيش في أذهاننا حتى اليوم، فالتسونامي الأسوي سببه تفاقم ذنوب البشر مع أن التسونامي نتاج زلزال تحت المحيط ناجم عن انزلاق طبقي والضحايا ربما كانوا أقل أهل الأرض ذنوباً وإعصار كاترينا سببه السياسة الأمريكية (مع أن الأعاصير سببها حركة الرياح فوق ماء المحيط). وما دامت هناك حقاً فجوة في معرفتنا، فلن يمكننا أن تقنع من مال به هواه إلى تفسير معين دون سواه على هذه المغالطة السوقية تقوم حرف وترتزق طوائف:

العرافة والفال والتنجيم والرقي والتعازيم والكهانة والعلاج الشعبي.

يبشر العراف بأحداث سعيدة، وتأتيك أحداث سعيدة لأن الأحداث السعيدة تحدث طوال الوقت على كل حال وينذرك النجم بعواقب وخيمة، وتنزل بك نوازل غير

سارة، لأن النوازل غير السارة تنزل دائماً على كل حال. ويصف لك المشعوذ حجاباً يشفي مرضك، ثم تشفى من المرض لأن أغلب الأمراض تشفى.²⁴

أمثلة أخرى

(1) لبست هذا القميص اليوم وذهبت إلى الامتحان فأجبت عن جميع الأسئلة بإجادة تامة. إذاً هذا القميص فأل حسن ولسوف أرتديه في كل الامتحانات القادمة (غني عن البيان أنني أجدت في الامتحان لأني كنت مستعداً له استعداداً طيباً بالمذاكرة والدرس، وليس لأني لبست هذا القميص أو ذاك)

(٢) تكسف الشمس فيهرع أفراد القبيلة عن بكرة أبيهم، وينتقلون يدقون الطبول بعنف ثم تبرز الشمس من وراء الحجاب. إذاً دق الطبول يسترد الشمس ويخرجها من كسوفها.

(٣) أصيب حسن بصداع شديد فعجنت له جدته عجينة من الدقيق والخل وزيت السمك وبول الأرنب ألصقتها برأسه ونام فذهب عنه الصداع بعد دقائق. كثيراً ما يذهب الصداع تلقائياً بذهاب سببه الحقيقي.

(٤) تشوشت الصورة في تلفاز سعيد، فخط بقوة على التلفاز، فانصلحت الصورة إذاً خبط الجهاز هو أيسر طريقة لإصلاح أعطال التلفاز

²⁴ Sumner, W. G. Ethics are Relative , In James A. Gould (Ed.). Classic Philosophical Questions, () second edition, Charles E. Merrill Publishing Company, Howell Company, Columbus, Ohio 43216, pp. 84-85.

[٧/٢٤، ٦:٥٥ م] الفريق/ عبد العظيم حناتة: تلقائياً بمرور الوقت وإلا لما بقي حي على الأرض إلى اليوم). يتذكر الناس الرميات الصائبة والتوقعات الناجحة ويتداولونها فيما بينهم مصطفة ومنتقاة لتستقر في ذاكرتهم دليلاً على صدق العراف أو المنجم أو المعالج بينما تنسى تلقائياً تلك الرميات الغائبة والتوقعات الفاشلة، وهي الأكثر والأعم بما لا يقاس، وتتسدل عليها ستائر النسيان تسمى هذه الظاهرة في العلم مشكلة درج السجلات (أو درج الملفات) file drawer problems : وهي مشكلة تنجم حين يحاول العلماء تحديد ما إذا كانت نتيجة ما هي حقيقية أم زائفة بناء على التراث البحثي المنشور تأتي المشكلة عندما تكون هذه النتيجة هزيلة أو غير موجودة ولا تحدث إلا مصادفة. ومن ثم فإن من يقع عليها من الباحثين يُسجها وينشرها، مصحوبة بالتهافت والتلهيل أما الباحثون الذين لم يقعوا على هذه النتيجة قط فإنهم لا ينشرون أبحاثهم عادة وإنما يلغونها في أدراج السجلات. هكذا تبدو الظاهرة الزائفة حقيقة علمية، لا شيء إلا لأن الأبحاث العديدة المكذبة لها قد طويت في الأدراج، بينما نشرت الأبحاث القليلة الشاذة التي تؤيد الظاهرة، فكانت ملفنة للأنظار ببرقها وصحبها.

(٥) عطس منصور في منزله بالقلعة، وبعد ثوان وقع تسونامي المحيط الهندي. إذاً عطسة منصور فجرت كارثة التسونامي

نذيل

الآثر البلاسيبي placebo effect

هناك ظاهرة طبية ملفتة يُقال لها الآثر البلاسيبي placebo effect، وهو تحسن صحي محس أو ملاحظ أو مقيس، لا يُعزى إلى العلاج. وتعبير placebo هو تعبير لاتيني يعني سوف أسر أو سوف أرضى والبلاسيبو هو دواء، أو إجراء علاجي يعتقد المعالج أنه خامل أو لا يضر قد يكون البلاسيبو حبوباً من السكر أو من النشا. وحتى الإجراء الجراحي الزائف أو العلاج النفسي الزائف قد يُعد ضرباً من البلاسيبو. وفي الدراسات الطبية عن الآثر العلاجي الحقيقي لدواء مقترح يستخدم الباحثون إلى جانب مجموعة المرضى الذين يعالجون بالدواء مجموعة ضابطة control group تناول البلاسيبو بدلاً من الدواء الحقيقي وذلك حتى تتسنى ملاحظة الفرق بين تأثير العلاج الحقيقي وتأثير العلاج الوهمي (إذ أن للعلاج الوهمي تأثيراً؟). وقياس مدى أفضلية الدواء الجديد على البلاسيبو، والبرهنة من ثم على أنه علاج حقيقي فعال.

يرد بعض الباحثين هذا الآثر البلاسيبي إلى مجرد شعور ذاتي بالتحسن كنتيجة الاعتقاد في العلاج والإيمان بتأثيره الشفائي ويرده البعض إلى المسار الطبيعي natural course المرض بما يعتره من اشتدادات exacerbations وهدات

remissions وفترات مجوع طويلة وتراجع طبيعي، وربما الشفاء التلقائي التام كمال طبيعي لكثير من الأمراض والإصابات.

غير أن تراكم الأبحاث وتواتر الملاحظات المؤيدة للأثر البلاسيبي يشير إلى أن الأمر أكبر من مجرد إحساس ذاتي زائف ثمة تحسن حقيقي مشهود وموثق ومقيس حتى في بعض الأمراض العضوية المكيّنة.

يزيل بعض الأطباء أنواعا من الزوائد الجدلية بدهانها بصبغة خاملة براقية والوعد بأنها تزول مع زوال الصبغة - وفي دراسات عن الربو الشعبي تبين أن استنشاق بلاسيبو يوسع الشعب الهوائية توسيعاً حقيقياً مقيساً.

- وفي التهابات القولون وجد تحسن حقيقي في خمسين بالمائة من المرضى إثر تعاطيهم دواء خاملاً (بلاسيبو).

- ومن الروايات البحثية الفذة ما سجله أحد أطباء القلب بصدد الإجراء الجراحي المعروف بربط الشريان التديي الداخلي في بعض حالات الذبحة الصدرية (لزيادة المدد الدموي إلى عضلة القلب) فقد وجد الأطباء بالمصادفة، أن الجراحة الوهمية المتضمنة لمجرد الفتح الجراحي من دون ربط الشريان قد أدت إلى نفس الأثر العلاجي (وهو) تحسن ٩٠٪ من المرضى في ضوء هذه النتائج الملموسة الثابتة ربما يكون التفسير الأمثل لظاهرة الأثر البلاسيبي هو التفسير البيوسيكولوجي فمن الواضح أننا بإزاء ظاهرة معقدة ربما لا يسعها إلا تفسير مركب يضفر التفسير النفسي- بتفسير بيوكيميائي فمن شأن الاعتقاد في العلاج ومشاعر الاهتمام والرعاية، والمساندة والتشجيع والأمل، التي بينها الموقف العلاجي أن تستفز في الجسم آليات فسيولوجية تقضي إلى أثر فيزيقي حقيقي.

- قد يكون هذا الأثر من خلال إطلاق الإندورفينات **ondorphins** في مواضعها

ومساراتها العصبية.

- وقد يكون من خلال حفز جهاز المناعة.

وقد يكون من خلال تنشيط محور عصبي هرموني هو محور المهاد التحتي -
النخامية - الكظرية. **hypophyseal-adrenal axis-hypothalamo**

لعل هذا الهامش الشفائي الذي يتيح الأثر البلاسيبي إلى جانب الهجوع التلقائي للمرض) هو الباب الموارب الذي ينفذ منه الدجالون والأدعياء والكثير من ألوان ما يسمى بالطب البديل **alternative medicine**، إلى الساحة العلاجية العلاج بالرقى العلاج بالزوار، العلاج بالعطور العلاج المثلي **homeopathy** الانسجام الحيوي **bloharmonics**، الكيروبراكتيك (العلاج بتقويم العمود الفقري يدويا) **chiropractic.... إلخ**

قد يقول قائل: وما الضير؟! وماذا يُجديني أن أعرف كيف يحدث الشفاء ما دام الشفاء يحدث؟

والجواب أن هذه الضروب من تناسخات البلاسيبو، على فوائدها التصادفية في بعض الحالات، إنما تُغشي على المسار الجاد للبحث الطبي الحقيقي وتضل عن التماس العلاج الصحيح في مظانه الصحيحة، وتستبدل به هراء بلاسيبيا تافه لأناس ذاهلين بالمرض غارقين في الأغاليط أن البلاسيبو لن يستأصل ورمًا، ولن يجبر كسرًا، ولن يكبح صرعًا، ولن يوقف نزيفًا، ولن يغسل كلي، ولن ينقذ حالة حرجة. ولو كان هامش البلاسيبو يكفي لعلاج الناس لما نشأ المرفق الطبي لدى البشر منذ البداية.

وبعد: فإن تناسخات البلاسيبو تريد أن تبيعنا بضاعة بأكثر من ثمنها، فالأثر البلاسيبي قائم ومبذول ومتضمن ومبيت سلفاً في كل دواء وفي كل إجراء علاجي. إنما تسعى الأبحاث الدوائية إلى إثبات جدوى علاجية تتجاوز الأثر البلاسيبي بفارق ذي دلالة.

السؤال المشحون (المركب)

(loaded question complex question)

سأل الكسيس من إليس أحد الفلاسفة على سبيل السفسطة:
هل أقلعت عن ضرب أبيك؟ فما كان جواب الفيلسوف إلا أن قال: لم أكن أضربه
ولم أقلع!

السؤال المشحون أو المركب هو تكتيك يعتمد إلى دس فروض مسبقة
sitions presuppo غير مبررة وغير داخلية في التزامات الخصم، داخل
سؤال واحد، بحيث أن أي جواب مباشر يعطيه المجيب يوقعه في الاعتراف بهذه
الفروض والمثال التقليدي على المغالطة هل توقفت عن ضرب زوجتك؟

فأيا ما كان الجواب نعم أو لا، فإن المجيب يعترف بالفرض المسبق وهو أنه كان في
وقت ما يضرب زوجته. حين يكون هذا الفرض المسبق كاذبا أو غير مبرهن عليه
يكون هذا مثالا لمغالطة السؤال المركب أو الملعوم. إنه شرك أو أحبولة لأنه يضيق
على المجيب نطاق الخيارات إلى صنف واحد من الإجابة المباشرة، أو عدد ضئيل من
احتمالات الجواب المباشر من شأنها جميعا أن تزعزع موقفه في الحوار.

انظر أيضًا إلى هذا السؤال المفخخ: متى أقلعت عن تعاطي المخدرات؟
إنه مصوغ بحيث يتضمن داخله عبارتين أخريين لم تتم البرهنة عليهما، ويسلم
بهاتين القضيتين تسليماً دون دليل أي أنه ينظر على مصادرة على المطلوب لأنه
يفترض مسبقاً أجوبة محددة من أسئلة مسابقة غير مصرح بها مثل هذا السؤال لا

يمكن الرد عليه ببساطة بالإيجاب أو بالامتناع إنه ليس سؤالاً بسيطاً بل يتركب من عدة أسئلة معبأة معا في سؤال واحد

(1) هل تؤيد خفض الضرائب وزيادة رفاهية الشعب؟

(2) هل أنت مع حرية المواطن وحقه في استخراج ترخيص بحمل أسلحة؟

1 - هل كنت تتعاطى المخدرات فيما مضى؟

- وإذا كنت قد تعاطيت المخدرات فهل توقفت عن التعاطي؟

3/ وإذا كنت قد توقفت عن التعاطي فمتى كان ذلك؟

لا بأس باستخدام هذه الخدعة لإظهار الحقيقة في بعض المواقف فقد دأب المحققون على أن يستخدموا هذا التكتيك لإيقاع المتهم في الاعتراف يسأل المحقق مثلاً: أين أخفيت جسم الجريمة؟

أين خبأت المال الذي سرقتة؟

ما الذي دفعك إلى تزوير هذه الوثيقة؟

والرد الذي عندما يواجه المرء بهذا السؤال المغموم هو أن يحلل مكوناته إلى أجزاء ثم يجيب عن السؤال المضمّر الأول أو يناقشه أو يفنده عندئذ يتبدد السؤال الصريح من تلقاء نفسه.

وقد يشتمل السؤال الواحد على عبارتين متصلتين بحرف مطلق كما لو كانتا مرتبطتين أو كانت إحداها تستلزم الأخرى بالضرورة بحيث يتوقع من المجيب أن يقبلهما معاً أو يرفضهما معاً، بينما إحداها في حقيقة الأمر مقبولة لديه والأخرى مرفوضة، منها، أمثلة:

- (٣) هل تؤيد حرية السوق وترك الرخاء يعم كل أرجاء العالم؟
- (٤) هل تؤيد المادة ٧٦ من الدستور التي تنص على حرية النشر وعلى حرية إبداء الرأي وتحكم بالسجن لمدة لا تزيد عن السنتين على من ينشر قولاً يؤدي إلى البلبلة ويوقع الفرقة بين شرائح المواطنين؟
- (٥) هل تؤيد زيادة مصروفات التعليم العام ورفع نوعيته ومستواه؟
- (٦) هل تريد أن تدرس الموسيقى وتضيع وقتك؟
- (٧) أنت تركت العمل وأوعزت إلى زملائك بالإضراب حدث هذا أم لا؟ من البين أن السؤال هنا يتضمن عدة أمور ويطلب الرد بجواب واحد والصورة المنطقية لهذا السؤال هي:
- هل تريد (تعتقد/ توافق / فعلت..) أ و ب (و ج و د...)?
- بينما يمكن للسؤال أن ينقسم إلى:
- هل تريد؟ هل تريد ب؟.. إلخ.
- فإذا كان أ و ب مرتبطين حقاً فلا مغالطة هناك، أما إذا كان بالإمكان الإجابة عن كل سؤال بجواب مختلف فإننا نكون بصدد مغالطة منطقيه هي السؤال المركب

question complex

التفكير التشبيهي (الأنالوجي الزائف)

false analogy; analogical fallacy

وقد يتقارب الوصفان جدا
وموصوفاهما متباعدان

المتنبي

وجهك يا عمرو فيه طول
وفي وجوه الكلاب طول
مقابع الكلب فيك طرا
يزول عنها ولا تزول

ابن الرومي

يفيد الأنالوجي (المماثلة) analogy بجد ذاته وجود مماثلة جزئية بين ملامح شيئين
أو حدثين أو تصورين تسمح بمقارنة ما بينهما. ويمكن تجريد الصورة المنطقية
لقياس الأنالوجي كالتالي:

أ يشبه ب

ب هوج

إذاً أ هوج مثل ب

ويقع المرء في مغالطة الأنالوجي الزائف **false analogy** أو الضعيف عندما يعقد مقارنة بين أمرين ليس بينهما وجه المقارنة، أو أمرين بينهما مجرد تشابه سطحي وليس بينهما وجه شبه يتصل بالشأن المعني الذي تريد الحجة أن تثبته، يتألف الأنالوجي الزائف من افتراض أن الأشياء المتشابهة في وجه من الوجوه لا بد من أن تكون متشابهة في وجوه أخرى وعلية فما دام شيئان أوب متماثلين في جانب من الجوانب فإنهما، إذاً، متماثلان في جوانب أخرى، أو في جميع الجوانب!

أهمية الأنالوجي ومشروعيتها، من الحق أن قدرًا كبيرًا من معرفتنا يقوم على إدراك التشابه بين الأشياء، ومن ثم تصنيفها في فئات، ويقوم على التعميم من أمثلة محددة إلى صور عامة أو مبادئ مجردة، وعلى التعلم من سابقات الوقائع من أجل تعزيز الفائدة وتجنب الضرر. وعلى تطبيق معرفتنا بشيء ما - في تناولنا لشيء آخر مشابه في القياس الفقهي مثلاً يُستخدم الأنالوجي استخدامًا مشروعًا ولا غنى عنه ويُعرف بأنه إلحاق جزئي بجزئي آخر في حكمه لمعنى مشترك بينهما، مثال ذلك أن نقول: النبيذ كالخمره فهو حرام.

وفي مجال القضاء كثيرًا ما يُستخدم القياس على سابقه (أو سوابق قضائية الوجود مماثلة مع القضية الراهنة. بل إن معنى القوانين وروحها لا تتبلور ولا تبرز إلا بكبح القضاة في تطبيقها على الحالات الخاصة قاضياً تلو آخر، وحالة تلو أخرى ويكون الأنالوجي في ذلك هو قوام الفهم وملاك التأويل.

وليس من قبيل المبالغة أو الغلو أن نقول أن كل صور الاستدلال وإعمال العقل وكل ضروب الإدراك الحسي والذهني، إنما تستند إلى قدرتنا على تمييز أوجه التشابه

ذات الصلة ومعاينة القواسم المشتركة من خلال هذا التدفق الكاليدوسكوبي لأشياء العالم وأحداثه ومرائيه.²⁵

ينص مبدأ مينا لينتز **Leibniz's principle of indiscernibility** ويُسمى أيضًا هوية اللامتمايزات - **bles indiscom identity of** على أن الشيئين المتميزين إحصائيًا أي أنهما حقًا شيئان اثنان لا يمكن أن يشتركا في جميع الخصائص: ما أشبه الحياة بالنهر يدرج كغدير مرج، ثم يستوي تيارا عاتيا.²⁶ ثم يريزح في نهاية المطاف واهنا كليلاً حتى يتبدد في البحر.

ولكن ليس لأحد أن يستمد من هذا، ومن معرفته بالأنهار، مبادئ عن إدارة الأعمال أو عن العلاقات الإنسانية! وانظر إلى هذا الرأي التشبيهي للملك جيمس الأول:

²⁶ في تعريفات الجرجاني: القياس في اللغة عبارة عن التقدير، يقال قست النعل بالنعل إذا قدرته وسويته. وهو عبارة عن يد الشيء إلى نظيره. وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستنبط من النص لتعديده الحكم من المنصوص عليه إلى غيره، وهو الجمع بين الأصل والفرع في الحكم.

حدود الأنالوجي ومخاطره غير أن الأشياء (وكذلك المواقف والأحداث والتصورات لا يمكن أن تتماثل تمامًا. وإلا لكانت العلاقة بينها علاقة هوية Identity لا مجرد تماثل analogy (راجع مبدأ ليبنتز)). فهناك دائماً نقطة ينهار عندها التماثل ويبدأ تدفق الاختلافات ثمة دائماً نقطة فراق ما دام أعضاء كل فئة إنما يجمعهم التماثل لا الهوية. هناك يكون التماثل حيث لا تماثل هو ضرب من السخف والامتناع والعته الصميم، أشبه بمحاولة الكتابة على الماء أو محاولة تشييد الصروح على الرمال المتحركة

الأنالوجي المجازي (البياني / التصوري) figurative analogy

تعد الصور البيانية، من تشبيه واستعارة.. إلخ، وسائط ضرورية لنقل الأفكار وتوصيل المعلومات وتقريبها إلى الأذهان. تتيح لنا الصور البيانية أن نتحدث عن مفاهيم جديدة غير مألوفة للمستمعين في حدود قديمة مألوفة لديهم، استناداً إلى وجه شبه معين بين الفكرة المجهولة التي نريد إيضاحها لهم والفكرة المألوفة التي يعرفونها من الأصل، وامتداداً بخصائص أخرى للمألوف لكي توازي خصائص أخرى للمجهول تضطلع هذه الملكة التصويرية البيانية بدور كبير في التفكير والتواصل، وتمثل عنصراً حيوياً من عناصر الفهم والإفهام.

غير أن الصور البيانية لا يمكن أن تستخدم استخداماً مأموناً إلا كوسيلة إيضاح لمعني معين يرمي إليه المتحدث إنها أدوات للتعبير وليست مصادر للمعرفة إنها وسائل لتقريب الأفكار لا للبرهنة عليها، وسائط للتوصيل لا للتدليل، للإفهام لا للإفحام. إذا أراد المرء مثلاً أن يفسر التغييرات التي تعتور الإنسان وهو يتقدم من الشباب إلى الشيخوخة فإن له أن يكتب فقرة بيانية منمقة يقول فيها

النظام الجمهوري هو نظام زائف ومدمر، ذلك لأن الملك هو رأس الدولة، وإذا أنت فصلت الرأس عن الجسد فلن تعود بقية الأعضاء تؤدي وظائفها وسيموت الجسد كله.

هكذا يتبدى بؤس التفكير التشبيهي فالدولة لا تشبه الجسد الحي إلا مجازاً وتصويراً بيانياً، ولا يمكن أن يستنبط من هذا التماثل أي قواسم مشتركة حقيقية تجمع بين الجسد والدولة.

وقد يذهب جميع الشموليين نفس المذهب فيقولون أن الدولة أشبه بالجسد: يعمل على أفضل نحو إذا كان ثمة دماغ حاد يديره، لذا فإن الحكومات المتسلطة أكثر كفاءة من غيرها من الحكومات. لا تتطرق أي من هذه التشبيهات الزائفة التي تشبه الدولة بالجسم الحي إلى الحديث عن كبد الدولة أو بنكرياسها أو آليات الإخراج بها!

ويلحق بذلك تشبيه الحضارات بالكائن الحي وهو تشبيه تزخر به تفسيرات التاريخ ونظرياته، ففي محاولة إضفاء معنى ما على مسار التاريخ تبزغ كل صنوف المقارنة. أن جميع الحضارات السالفة تشترك في أنها الآن ماضٍ وأنها كانت ذات يوم حضارات وأنها قبل ذلك لم تكن ومن هذه الحقائق الثلاث النافلة المبتذلة خلص كثير من المؤرخين إلى تشبيه دورة الحياة **analogy life cycle**: فالتعاقب البسيط غير حي، حي؟ لم يعد حياً يستدعي مقارنة لا تقاوم بالكائن الحي. وقد بلغ الغلو بالبعض إلى أن يمتد بالتشبيه إلى تبرير الاستعمار، ذلك أن الحضارة حين تبلغ أشدها فمن الطبيعي أن تنزع إلى التكاثر بأن تنثر بذورها في أماكن بعيدة!

وفي مجال نظرية العلاقات الدولية ثمة مغالطة شهيرة يطلق عليها **domestic analogy** تقوم على تشبيه العلاقات بين الدول بالعلاقات بين الأفراد بحيث أن الأمور البينشخصية **Interpersonal** - أخلاقياتها - وعلاجها - تُسقط على مبادئ

السياسة الخارجية، وجدير بالذكر أن تأثير الأناطولوجي الزائف قد يكون مدمرًا إذا انقلب ضد من استخدمه فمن التقنيات الفعالة في فن المناظرة أنه إذا استخدم الخصم تشبيهها لكي يدعم حجته فما عليك سوى أن تمسك بطرف هذا التشبيه وتضعه في اتجاه يخدم حجتك أنت فينقلب السحر على الساحر عندئذ سيضطر خصمك إلى التسليم بأن تشبيهه لم يكن موفقًا، وسيخسر نقاطًا في نظر الجمهور. مثال ذلك أن يقول رئيس اللجنة في مشروع لا تستريح له أنت ولا تأمن عواقبه ونحن إذ نبحر قدما في لجنتنا الجديدة دعوني أعرب عن أمني في أن نتكاتف سويًا من أجل رحلة سلسلة.

فبوسعك عندئذ أن تقول:

السيد رئيس اللجنة على حق. ولكن تذكروا أن المجذفين كانوا دائما يوضعون في سلاسل ويضربون بالسياط، وكانوا إذا غرقت السفينة يغرقون معها! : أناطولوجي يَتَلَمَّ بدم بشري!

إنك لا يمكنك أن تصنع عجة دون أن تكسر بيضا

منذ أن جادت قريحة لينين بهذه الصورة المعجبة أصبح هذا التشبيه البياني في القلب من فلسفة الثورات والانقلابات وغدا ذريعة مقنعة غاية الإقناع لسحق المعارضة دون رحمة أية رحمة؟! إنك في مرحلة شديدة الخصوصية من مراحل سير

التاريخ أنت فيها إما قاتل وإما مقتول، وعندما تقتل وأنت في هذه المرحلة فإن عليك أن تستأصل، لكي تستيقن من أنك وارىت العدو وثأره، أي أن تتخلص من الطبقة الحاكمة والمعارضة وكل من لديه بهما أدنى صلة حتى الأجنة في البطون، حسن فالغاية تبرر الوسيلة على كل حال وقسوتك بعد كل شيء، مبطنة بالرحمة: الرحمة بالطبقات الكادحة وهي الغالبية العظمى دائماً وأبداً!

غير أن هذه المرحلة التاريخية (التي تصور دائماً على أنها عابرة مؤقتة) تظل مقيمة لا تبرح! فلما كانت الأهداف المثالية بعيدة المنال يتأخر مجيئها طويلاً، وفترة خنق النقد والمعارضة تطول أكثر فأكثر. فإن الاضطهاد والاستبداد سيزدادان حدة (وإن خلصت النوايا). وبالضبط لأن المقاصد والأهداف تُرى مثالية فإن الفشل المستمر في تحقيقها جدير بأن يؤدي إلى القذف بالتهم وادعاء أن شخصاً ما يهز القارب! - لا بد أن هناك تخريباً، أو تدخلاً أجنبياً، أو قيادة فاسدة (إذ أن جميع التفسيرات الممكنة التي تستثني الثورة نفسها تتضمن بالضرورة خبثاً وشرّاً من جانب شخص ما). حينئذ تبرز ضرورة كشف المذنبين واستئصال شأفتهم. ومن طلب مذنبين وجد مذنبين وهنا يكون النظام الثوري قد غرق إلى الأذقان في دم غليظ.²⁷

ولعل الترياق الشافي من هذا الأنالوجي الدموي هو أنالوجي مثله! هو تشبيه قارب نويرات (نسبة إلى أوتو نويرات **Otto Neurath** من حلقة فينا): أن البشر أشبه ببحارة سفينة في عرض البحر يمكنهم أن يصلحوا أي جزء من السفينة التي

Popper K. R., The Open Society and Its Enemies, Vol. 2, fifth edition, Princeton () University Press, 1966, pp. 158-168 ²⁷

يعيشون فيها ويمكنهم أن يصلحوا السفينة كلها جزءاً جزءاً ولكن لا يمكنهم أن يصلحوها كلها دفعة واحدة.

أمثلة أخرى للنكير التشبيهي:

- من العبث أن نبذل كل هذا الجهد في محو أمية الكبار، ذلك أنه لا فائدة بعد كل شيء من البكاء على اللبن المسكوب.
- التعليم المدرسي كالعمل التجاري يحتاج إلى استراتيجية تنافسية تؤدي إلى تزايد الربح
- يجب أن نسمح للطلاب باصطحاب كتبهم في الامتحانات. ألا يستخدم المحامون المذكرات القضائية في مرافعاتهم ويستشير الأطباء الأشعة في جراحاتهم؟ (لاحظ أن العنصر الجوهرى في هذه الأفعال مختلف فالمرافعة والجراحة هي تطبيق للمعرفة، أما الامتحانات فمن المفترض أنها اختبار للمعرفة).
- المسدس كالمطرقة كلاهما أداة معدنية من الممكن أن تستخدم في القتل. فلماذا يباح تداول المطارق ويُحظر تداول المسدس؟
- المستخدمون أشبه بالمسامير فالمسامير لا تؤدي فعلها ما لم تطرقها على رأسها. وكذلك المستخدمون.
- العلم أشبه بالكعك يحسن أن تصيب منه جزءاً يسيراً، فإذا أسرفت في تناوله أصاب أسنانك بالتسوس كذلك العلم إذا أوغلت فيه وتبحرت أصاب عقلك بالجنون
- الإنسان ليس جزيرة (منعزلة)... إلخ.

(دائماً ما يُستخدم هذا الأناطولوجي لتبرير رؤية جمعية أو تمرير أجندة اشتراكية أو شمولية. ولكن هذا بالطبع ما يكونه كل إنسان على التحقيق الفرد فرد يولد وحده ويموت وحده ويملك وحده امتياز الدخول إلى عالمه الذاتي الخبروي)

- تدفق الكهرباء أشبه بتدفق الماء فكلما زاد سمك السلك زاد التيار الكهربائي المتدفق.

العقول كالأنهار قد تكون عريضة (المجال) وكلما كان النهر أعرض كان أكثر ضحالة. إذاً كلما زاد العقل اتساعاً زاد سطحية أو ضحالة! إن لدينا قوانين نقاء الأطعمة، وقوانين سلامة الأدوية، فلماذا لا تكون لدينا قوانين تضمن نقاء أفلام السينما والروايات والقصص؟ الشعر أرقى من الرواية لأن قارورة عطر واحدة أثمن من مائة شتلة من الفل. (يمكنك بنفس التشبيه أن تقول نعم ولكن النزهة في مشاتل الفل هي أبهى وأبهج من حبسه في قارورة)²⁸

كتابنا والنكير التشبيهي

من المؤسف حقاً أن كثيراً من كتابنا ومتحدثينا الأكثر رواجاً وإقناعاً لا يفعلون في أغلب الأحيان أكثر من أن يلبسوا أفكارهم أثواباً من الاستعارات والتشبيهات. قلنا موجزة سريعة والمحصل. ب باقي ولكنك لا تصل في القصة إلى مثل هذا المحصول إلا بعد مرحلة طويلة في التمهيد والتشعيب وكأنها القرنوب الذي قال التركي عنه، فيما زعم الرواة، أنه قنطار خشب ودرهم حلاوة، ومن عجيب المصادفات رغم ذلك أن للأستاذ العقاد بيتين من الشعر هما بمنزلة رد على هذا التشبيه نفسه بتشبيه آخر يقول الأستاذ العقاد (مستقيماً المعنى كعاداته):

²⁸ أخذ الأستاذ العقاد بهذا الرأي في تفضيل الشعر على الرواية وأتى في ذلك بتشبيهه معجب إذ يقول في كتابه في بيتي)... وما أكثر الأداة وأقل المحصول في القصص والروايات. إن الأداء في الشعر

ليست خلاصة كل شيء غنية عنه وإن كانت خلاصة ماهر
 فالشاهد وهو خلاصة الأزهار لا يعني العيون من الربيع الزاهر
 : إنه لا بأس بذلك البتة، وربما يكون ضرورة لتيسير الفهم وتقريب التناول. غير
 أنهم يظنون أن مهمتهم انتهت عند هذا الحد، ويتوهمون أنهم بهذه التشبيهات
 والمماثلات قد فرغوا من عبء البرهان وأثبتوا نظرياتهم بما لا يدع للشك مجالاً!
 الحق أنهم إذا أثبتوا شيئاً فإنما يثبتون أنهم ما زالوا سادرين في التفكير البدائي قبل
 المنطقي **pre logical** من حيث الولوع بمجرد الشبه وأخذ ماخذ البيئة.
 من طلب شبهاً وجده.. ثمة دائماً وجه شبه بين أي شيئين من أشياء العالم مهما
 تباينا واختلفا. وإذا أدمن المرء التفكير التشبيهي فلن يُعجزه أبداً أن يجد لكل شيء
 شبهاً وأن يقيض لكل شيء مثلاً ومن طرائف ذلك أن لويس كارول قدم لقرائه لغزاً
 عبثياً لا معنى له: ما وجه الشبه بين الغراب والمكتب؟! غير أنه لم يعدم من بين
 قرائه من وجدوا أوجه شبه كثيرة منها ما كتبه إليه أحد القراء من أن وجه الشبه
 بين الغراب والمكتب هو أن إدجار آلان بو كتب عن الأول وعلى الثاني! (**wrote**
on both).

مهاجمة رجل من القش

من يدري لعل التاريخ، الذي كتبه المنتصرون قد حجب عنا نصف الحقيقة
 واستبدل به رجالاً من القش!

هي تلك المغالطة العتيدة التي يعمد فيها المرء إلى مهاجمة نظرية أخرى غير حصينة
 بدلاً من نظرية الخصم الحقيقية. وذلك تحت تسمية من تشابه الأسماء أو عن طريق
 إفقار دم النظرية الأصلية وتغيير خصائصها ببترها عن سياقها الحقيقي أو بإزاحتها

إلى ركن قصي متطرف. ويشبه هذا الجهد العقلي العقيم، سواء حسنت النية أو ساءت، أن يكون رميا لخصم من القش بدلاً من الخصم الحقيقي، أو قصفا لكتيبة هيكلية بدلاً من قصف الكتيبة الحقيقية؛ إنه لأيسر كثيراً أن تنازل رجلاً دمية من أن تنازل رجلاً حقيقياً.

وتأتي التسمية من تلك الممارسة التي كانت شائعة في العصور الوسطى والتي تستخدم فيها دمية على هيئة رجل محشوة بالقش لكي تمثل الخصم في ممارسة المقارعة بالسيف. وما تزال صيغ من هذه الممارسة شائعة حتى الآن. وبخاصة في مواقف التعبير عن الاحتجاج والكراهية وفي مظاهرات المناهضة السياسية.

تصل هذه الممارسة مسحة من بقايا الفكر البدائي قبل المنطقي حيث يلتئم الرمز والمرموز إليه، ويقوم الجزء مقام الكل ويُعامل اسم الشخص أو خصلة من شعره أو أي أثر من آثاره كأنه بديل لها.

تتم مغالطة رجل القش بأن يُجبل المحاور حجة هشة سهلة المنال غير حجة الخصم الحقيقية وينسبها إلى الخصم، ثم يعمل فيها معاول الهدم والتقويض فيضفي انطباعاً رائعاً بأنه نجح في التفنيد، ويعلن انتصاره على خصمه. قد يتم ذلك عن عمد فيكون حيلة قذرة ويتم على الخبث وسوء النية والافتقار إلى الأمانة في الجدل وقد يتم من غير عمد فيتم على الغفلة أو الجهل ويكون في كل الأحوال مضیعة للوقت وإهداراً للجهد في معركة وهمية غير ذات صلة وترعة خارجة عن الموضوع

ثمة طرائق مختلفة لاتخاذ رجل القش، فقد تقدم الجوانب الأضعف من نظرية الخصم وتظاهر بأنك تفند النظرية من كل جوانبها وقد تقدم حجة الخصم في

صورة مضعفة أو مبسطة وقد تشوه أو تحرف حجة الخصم أو تسيء تمثيلها وقد تختلق شخصاً وهمياً تنسب إليه أقوالاً وأفعالاً وعقائد وتظاهر بأنه يمثل الطائفة التي ينتمي إليها الخصم.²⁹

²⁹ (هـ) من الأمثلة على التثام الرمز والمرموز إليه معاملة اسم الشخص كجزء جوهري منه - كأنه بديل له. فلدينا عدد من الأقداح الفخارية الكبيرة نقش عليها ملوك المملكة الوسطي المصريون أسماء القبائل المعادية لهم في فلسطين، وليبيا، والنوبة، وأسماء حكامها، وأسماء بعض المتمردين المصريين كانت هذه الأقداح تحطم في احتفال مهيب قد يقام أثناء جنازة سلف الملك والغاية من هذا الطقس مذكورة بصراحة: إنها الدعوة بالموت على هؤلاء الأعداء كلهم لأنهم بعيدون عن قبضة الفرعون. غير أننا إذا دعونا تحطيم الأقداح طقساً رمزياً، فإننا مغزاة فقد كان المصريون يشعرون أنهم يلحقون بأعدائهم أذى حقيقياً حين يحطمون أسماءهم فيضيفون بعد أسماء الخصوم الذين يعددونهم ويدعون عليهم بالموت، عبارات كهذه كل فكر مؤذ وكل كلام مؤذ وكل أحلام مؤنية وكل خطط مؤذية وكل صراع مؤذ إلخ. فكتابة هذه الأمور على الأقداح التي ستحطم تنال في اعتقادهم، من قدرتها الفعلية على إيذاء الملك أو تقليص سلطانه (ة فرانكفورت وآخرون : ما قبل الفلسفة - الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى ترجمة جبرا إبراهيم جبراء الطبعة الثالثة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٥)

لم ترد مغالطة رجل القش في تراث أرسطو على نحو صريح، غير أنه أوصي بالأمانة والإخلاص fidelity في تمثيل آراء الآخرين على حقيقتها، واعتبرها شرطاً للجدل الحقيقي، وحذر من الاكتفاء بإسباغ مظهر الآراء الأخرى دون جوهرها، واعتبر ذلك ضرباً من السفسطة تدل هذه الوصايا الأرسطية على أنه أدرك مغالطة رجل القش وميزها، وإن لم يُدرجها في قائمة المغالطات ويسبغ عليها اسماً.

التحريف بالتجزيء

قد تتناول جزءًا صغيرًا من موقف الخصم. فتأخذه بأكثر من حجمه، وتفرط في تعميمه فتعامله كما لو كان ممثلًا لموقفه الكلي، بينما هو لا يمثل شيئًا ذا قيمة وإنه التبديد للطاقة وإجهاض للجدل، فضلًا عن كونه إجحافًا ومغالطة، أن تتناول بالتفنيد جانبًا هامشيًا من جوانب المذهب أو صيغة ضعيفة مفرطة التبسيط لموقف الخصم أن الأيديولوجيات التي كسبت أنصارًا ودامت حقبة هي على الأرجح، أناسق تتمتع بمزايا معينة عليك أن تقف عليها وتكتمنها، حتى يتسنى لك أن تفندها في جوانبها القوية. فالمسألة الجديرة حقا بالتناول إنما ينبغي التماسها في هذه الجوانب القوية وعلى هذا المستوى الرفيع.

التصنيف والتعميم

يميل العقل البشري بطبيعته إلى تصنيف الأشياء وتنميطها (حتى ليغدو ذلك شرطًا من شروط الإدراك). لأن العقل لا محيد له عن أن يفرض نظامًا على الفوضى ويضفي معنى على الشواش ربما لذلك يميل المرء أحيانًا إلى أن يصنف الخصم تصنيفًا خاطئًا ويتوسم فيه غير ما هو، ويسقط عليه من تصنيفاته الفتوية الخاصة ما لا يناسبه. وكأن المرء هنا يكشف عن ذات نفسه أكثر مما يكشف عن الآخر، ويُسري عليه قول سبينوزا أن ما يقوله بولس عن بطرس يُخبرنا عن بطرس أكثر مما يخبرنا عن بطرس.

وقد يميل المرء إلى التعميم stereotyping فيدمع الخصم بصفات معينة تميز الجماعة أو الطائفة التي ينتمي إليها، بينما الخصم يرى رأيًا محيد كثيرًا عن تلك

الطائفة أو يذهب مذهباً يمثل جناحاً معيناً منها، والذي قد يختلف اختلافاً مهماً عن آراء الأجنحة الأخرى من نفس الطائفة.

رجل القش المنطرف

ويجري مجرى التبسيط أن ترمي الخصم بالتطرف وهو معتدل، وبالإطلاق وهو نسبي. والحق أن أمثل النماذج لرجل القش هو أن تهول من موقف الخصم وتزيحه من الأواسط إلى الأطراف ذلك أن المواقف المتطرفة أسهل في التفنيذ لأنها لا تسمح باستثناءات. انظر إلى هذا الطيف من المواقف:

كل أ هو ب
معظم أ هو ب
بعض أ هو ب

بعض أ ليس ب
معظم أ ليس ب
لا أحد من أ هو ب

الأطراف هنا هي كل أ هو ب، لا أ هو ب. هذه المواقف في الأيسر تفنيذاً. ولا يلزم لتقويضها إلا مثال مضاد counterexample واحد مثل هذه القضايا الكلية هي عادة كاذبة (ما لم تكن أ، ب مرتبطتين بالتعريف)، وذلك بحكم طبيعة العالم، وتزداد صعوبة هذه القضايا في التقليد تدريجياً حتى تبلغ أوج الصعوبة في أوسطها بعض أ هو ب، بعض أ ليس ب فلكي تفند إحدى هاتين القضيتين يتعين عليك أن تثبت أحد الطرفين: لا أ هو ب أو كل أ هو ب على الترتيب. المتطرفون إذاً هم القائلون بمذاهب تبدأ ب كل أو لا أحد. فالمتطرفون في قضية الإجهاض مثلاً هم

القائلون كل إجهاض مباح أو كل إجهاض حرام من هذا دأبت مغالطة رجل القش على مهاجمة الأفكار أو الاتجاهات في صورتها المتطرفة حيث هي أضعف ما تكون. قد يكون رأي الخصم تعميماً مقيداً (أو مشروطاً) **qualified** **generalization** فتأخذه أنت مأخذ التعميم المطلق **absolute** **generalization**. لكي تسهل على نفسك مهمة تفنيده بذكر مثال مضاد أو بضعة أمثلة. إنك إذاً تقع في مغالطة إغفال المقيدات **secundum quid** وقد يكون رأي الخصم معتدلاً فتزيحه أنت إلى حافة الشطط والغلو التي كثيراً ما ينقلب عندها الرأي إلى مسخ غريب منقّر أو شيطان (**demon**) هو أبعد ما يكون عن الموقف المتوازن الذي يتخذه الخصم فينقلب التحرر مثلاً إلى تحلل، أو ينقلب التحفظ إلى تزمت، أو ينقلب الحزم إلى قسوة، أو تنقلب الحصافة إلى جبن... إلخ. يُطلق على هذه العملية، أي عملية قلب الموقف المعتدل إلى موقف متطرف، اسم شيطنة **demonization** (إضفاء الصبغة الشيطانية). ويمكن بالتالي تسمية هذه المغالطة الفرعية اسم **straw demon** (شيطان القش).³⁰ كان دور رجل القش تاريخياً هو أن يهول مخاطر التغيير يُذكرنا التاريخ أن بضعة من المفكرين والمصلحين يدعون إلى التحرر والتسامح قد سحقوا بفيالق جرارة من رجال من القش يدعون إلى الفوضى والإباحة وتدمير المجتمع... إلخ. وكان دور رجل القش سياسياً، وما يزال هو تأليب الرأي العام بالتعبير الخاطئ عن مواقف الخصوم السياسيين أو زعماء الأحزاب الأخرى.

³⁰ هي معاملة القاعدة ذات الاستثناءات المقبولة على أنها مبدأ مطلق أو العكس أي معاملة الاستثناء معاملة (القاعدة). انظر تفصيل هذه المغالطة في موضعها.

#كيف نحدد موقف الخصم الذي سنتناوله بالنفي؟#

علينا، مثلما أوصى أرسطو من قبل أن نمثل رأي الآخرين تمثيلاً أميناً وكاملاً وجوهرياً ولن يتسنى ذلك إلا بأن نحدد قائمة التزامات الخصم بكاملها، تلك الالتزامات التي ألزم نفسه بها في الحوار والمسجلة عليه كتابياً أو صوتياً من خلال أسئلته أو إقراراته التي طرحها طوال الحوار المشكلة هنا مشكلة عملية: كيف يمكنك أن تثبت أن موقفاً ما لخصم ما قد حرف في حالة معينة؟ الأمر هنا يتوقف على تأويل ما عناه الخصم بقوله، واستشفاف موقفه الحقيقي في مسألة معينة وهي مهمة صعبة أحياناً بسبب تعدد التأويلات الممكنة.

من الأفضل بطبيعة الحال أن يتم التسجيل الدقيق لمجريات الحوار صوتاً وكتابةً وشهوداً، وذلك لتجنب عثرة أنت قلت/ لا لم أقل. غير أنه ليس من الميسور في المجالات اليومية المعتادة أن نتجنب هذه العثرة، وذلك لقصور الذاكرة البشرية من جهة، ولتفاوت الفهم وتأويل الأقوال من جهة أخرى.

مبدأ الإحسان principle of charity

وهنا تتجلى أهمية المبدأ المسمى مبدأ الإحسان في تأويل النصوص وفهم الآخرين: فحيثما تشعبت التأويلات الممكنة لقول الخصم فإن من الحكمة أن تفسر الشك لمصلحة الخصم وأن تتناول التأويل الأوجه والأقوى بالنقد والتفنيد.

وقد استن كارل بوبر في مواجهة خصومه الفكريين مبدأً جديداً يعد في ذاته درساً من أهم الدروس المنهجية المستفادة من كتاباته. لقد دأب المفكرون طوال تاريخ الجدل والمناظرة على مهاجمة النقاط الضعيفة في دعوى الخصوم، لا نستثنى من ذلك. أعنى المجادلين من أمثال فولتير. غير أن لهذه الطريقة عيوباً كبيرة ذلك أن لكل

دعوى جوانب قوية وجوانب أضعف ومن البديهي أن جاذبية أي دعوى إنما تكمن في جوانبها القوية دون الضعيفة ولذا فإن مهاجمة الجوانب الضعيفة في النظرية قد يخرج دعائها ولكنها لن تقوض الجوانب القوية التي يرتكزون عليها بدرجة أكبر لعل هذا هو السر في أننا قلما نجد الناس تتنازل عن آرائها بعد أن تخسر جدلاً. فالأغلب أن تؤدي مثل هذه الخسارة في النهاية إلى تقوية موقفهم، إذ تدفعهم إلى التخلي عن الجوانب الضعيفة من نظريتهم أو تقويتها.

أما بوبر فقد كانت طريقته هي أن يواجه نظرية الخصم من زاويتها القوية بل يحاول تقوية نظريته أكثر فأكثر وسد ثغراتها وتزويدها بمزيد من الحجج والدعامات قبل أن يشرع في شن هجومه. إنه يريد أن يجعل من خصمه خصماً جديراً بمهاجمته، وأن ينقض على نظريته وهي في أوج قوتها وجاذبيتها. إنها طريقة مثيرة وشائقة ونتائجها، إذا ما نجحت قاصمة مدمرة. ومن الصعب أن تقوم لنظريته قائمة بعد أن يكون كل ما لديها من زخر ومصادر إمداد قد تم تدميره.

أمثلة لمهاجمة رجل من القش

- (١) السيد النائب يطلب خفض الزيادات المخصصة للخدمات الصحية بنسبة ٢٠٪ ولكن كيف لنا أن نبخس الصحة نصيبها من اهتمامنا ونحرم أطفالنا؟³¹
- (٢) إن التصويت لجولد ووتر إنما هو تصويت الحرب النووية ليندون جونسون في حملته الانتخابية عام ١٩٦٤).

³¹ نستنتي من ذلك نقد بوبر لهيجل وهو نقد غير منصف، ويعج بالقذح الشخصي والسب المقذع راجع كتابنا كارل بوبر - مائة عام من التنوير ونصرة العقل، دار النهضة العربية بيروت ٢٠٠٢، ص ١٥١ وما بعدها.
من حقهم في التطعيم والرعاية). قد لا نوافق النائب على اقتراحه ولكن لاحظ أن الخفض الذي يطالب به النائب هو خفض في زيادات مضافة وليس خفضاً فيما هو قائم، وأن النسبة المطلوب خصمها (الخمس) لا تبلغ أن تكون بخساً، وأن محصلة الاقتراح. لن تقضي إلى النتيجة الكارثية المزعومة (لا تطعيمات، لا رعاية)، وأن النسبة المدخلة قد تفيض لمرفق آخر ليس أقل أهمية من الصحة كالتعليم والبحث العلمي... إلخ).

(٣) كيف تحظى نظرية أينشتاين بكل هذا القبول وهي تذهب إلى أن كل شيء مباح وأن الأخلاق إنما هي شأن نسبي يختلف من بيئة ثقافية إلى أخرى. لاحظ الخلط بين نسبية أينشتاين **theory of relativity** الفيزيائية الخالصة والنسبية أو النسبوية الأخلاقية **moral relativism** التي تتحدث عن المجال الأخلاقي والقيمي ولا صلة لها بمجال الفيزياء من قريب أو بعيد).

(٤) كثيرًا ما تؤخذ المادية الحديثة، والتي تسمى أحيانًا المذهب الفيزيائي **physicalism** بجرائر المادية الكلاسيكية الساذجة القديمة.

(٥) وكثيرًا ما تقلد الوضعية المنطقية **positivism ogical** تفنيديًا لا ينطبق إلا على وضعية كونت.

(٦) وكثيرًا ما يؤخذ المذهب الشكلي عند أمثال كلايف بل على أنه تركيز على الشكل على حساب المضمون، بينما تعني نظرية كلايف بل شيئًا مختلفًا تمامًا ويكاد يتجه إلى العكس!

(٧) - تنبغي زيادة الدعم للأمهات المطلقات العاطلات عن العمل خلال العام الأول من الولادة حتى يتسنى لهن تقديم الرعاية اللازمة لمواليدهن.

- إنك تطالب بأن تنال بضع طفيليات عاطلات متبطلات ما طاب لهن من عرق دافعي الضرائب من المواطنين العاملين الشرفاء

#الاستخدام المشروع لرجل القش#

أحيانًا ما تظهرنا الصورة الكاريكاتورية على مميزات وعيوب لم نكن نلاحظها في الشخص الأصلي وكذلك يفعل التقليد الفكاهي للشخصيات والمحاكاة الأسلوبية الساخرة للمؤلفين (الباروديا **parody**) وليس ما يمنع أن يستعين المرء بصورة

هزلية كاريكاتورية للرأي الذي سوف يتناوله بالتحليل والنقد، ما دام يعلن ذلك إعلاناً ويُسلّم بأن هذا ليس رأي الخصم على وجه الدقة ولكنه كاريكاتور فيه تضخيم العيوب الدقيقة التي ربما تلطف على ملاحظة القارئ العادي. إنه يقدمه على سبيل التوطئة لكي لا يلبث أن يسدل عليه الستار دون طعن ويركز الضوء على هذه النقاط الدقيقة بحجمها الطبيعي وبكل الأمانة في التمثيل والطرح. في هذه الحالة يكون رجل القش تقنية بيداجوجية أو وسيلة إيضاح مسعفة، تهدف المزيد من الدقة في التمثيل، وتنبه من التحريف والتشويه ولي الحقائق.

ومهما يكن من شيء فإن مهاجمة خصم من القش بدلاً من الخصم الحقيقي هي في أغلب الأحيان ضرب من الغش والجبن، وخروج عن الموضوع، ومضيعة للوقت والجهد، ومحاولة بآيسة لإحراز انتصار رخيص، تتم بالأحرى عن افتقار إلى انتصارات حقيقية غير مختلفة، وتعطش إلى نجاحات واقعية غير موهومة. كن رجلاً إذاً ولا يكن ديدنك أن تنسج الدمي وتحشوها قشا وتوسعها لكماً متحاشياً بين ذلك التقاء الخصوم وبأس الرجال:

طلب الطعن وحده والنزالا

وإذا ما خلا الجبان بأرض

كن محسناً لخصمك، واعرض حجته في أدق صورة وأقواها، ثم
قوضها تكن قد
فعلت شيئاً يُذكر.

السلّاح الثالث والعشرون

مغالطة التشيؤ

ركبه التشيؤ فراح يفك محرك سيارته، بحثا عن العشرين حصانا التي هي قوة المحرك!

أراد جحا أن يتزوج فبنى دارا تتسع له ولأهله، وطلب من النجار أن يجعل خشب السقوف على أرض الحجرات ويجعل خشب الأرض على السقوف، فراجع النجار دهشًا، ولم يفهم ما يعنيه. قال جحا: أما علمت يا هذا أن المرأة إذا دخلت مكانا جعلت عاليه سافله؟ اقلب هذا المكان الآن يعتدل بعد الزواج.

في هذه النادرة الكوميديّة يُشيؤ جحا تعبيرًا بيانيا رائجًا، ويُحمل استعارة بريئة ما لا تحتمل ويأخذها بغير ما قصدت إليه. وفي هذه النادرة تضخيم كاريكاتوري المغالطة شائعة تقع فيها جميعًا، ربما كل يوم ونبتلعها جميعًا، ربما كل لحظة حين تأتي في صورة أشد خفاءً، وتكتسي برداء أكثر اعتيادًا وإلفًا.

التشيؤ **reification hypostatization** هو أن تُعامل المجردات أو العلاقات كما لو كانت كيانات (كائنات) عينية **concrete entities**، أو أن تنسب وجودًا حقيقيًا للتصورات العقلية أو البناءات الذهنية. لقد برع بنو الإنسان حقا في خلق تصورات مجردة ومفاهيم ذهنية تساعد على حصر الأشياء والأحداث وتصنيفها واختزلها اختزالًا يتيح لهم من الاقتصاد الذهني ما يمكنهم من الإحاطة بأشياء

العالم وتناولها، غير أن المأساة تكمن في أن هذه العملية قد تجري أيضا في الاتجاه العكسي، أي معاملة التصور المجرد كما لو كان شيئا حقيقيا. حين يحدث ذلك نكون بإزاء مغالطة منطقية عديدة مبيتة في صميم العقل البشري ذاته وفي طريقة أدائه لوظيفته.

لا غرو تعد مغالطة التشيئ **rettcation** من أهم المغالطات وأكثرها شيوعا. وإن أنساقا فلسفية بكاملها، ومذاهب سياسية واجتماعية وأخلاقية، ونظريات علمية، لتقوم على هذه المغالطة الكبيرة وتتأسس عليها. وإذا كان للفلاسفة مطلق الحرية في أن يقرروا أي الأشياء يعد حقيقيا وأيها غير حقيقي، فليس من حقهم أن يُرحلوا تشيئاتهم إلى الحقول الأخرى من البحث ملحقين بها اضطرابا وخلطا كان منه بد. يعج تاريخ العلم والاجتماع والسياسة، وحتى الرياضيات بعثرات كبرى عطلت مساره حقبا نتيجة لإلحاح المفكرين في طلب تعريفات حقيقية تقرر ما تكونه الأشياء استنادا إلى ما ينبغي أن تكونه في تصورهم، وإنكار أصقاع كاملة من البحث بوصفها غير حقيقية أو غير صالحة للتشيئ، رغم ذلك مجاله الذي يُستخدم فيه عن قصد وإدراك، لخدمة الحقيقة والتعبير عن الواقع ذلك هو المجال البياني البلاغي كما يتجلى في ألوان الاستعارة والمجاز والتشخيص، وهي وسائل لغوية شديدة الأهمية والجدوى في الأدب والشعر (بل في العلم نفسه في بعض الأحيان) وبعيدة عن المغالطة بحكم طبيعة التعبير ذاته وموقفنا فيه ومأخذنا له على ألا نمتد بتلك الاستعارات البريئة إلى غير مقصدها ونحملها على غير محملها.

الحق أن التشيئ ليس أكثر من استخدام استعارة **metaphor**، غير أنه حين يكون مغالطة، يأخذ الاستعارة بعيدا، أو يأخذنا بها، حتى ننسى أنها استعارة

ونبدأ في الاعتقاد بان كياناتنا التصورية المجردة لديها الخصائص العيانية التي أضفيناها عليها على سبيل الاستعارة. أن طريقتنا في وصف الشيء لها بالغ الأثر فيما تعتقده من الشيء يعني ذلك أن انطباعنا عن الواقع تشيده إلى حد كبير، اللغة التي

نستخدمها في وصف الواقع. هكذا تهيب بنا دراسة التشيئ، أن تتوخى الحذر في طريقتنا في وصف الأشياء لئلا نشعر دون أن ندري، في تصور أن وصفنا يحوي ماهية موضوعية خارج اللغة ذاتها.

من الحالات النمطية البارانونيا، أو الفصام البارانوني، أن يعاني المريض من اعتقاد راسخ بأنه مضطهد من قبل إخوته وأقاربه وزوجته وجيرانه وأصدقائه وزملاء عمله وقد يكون هناك شيء من الاضطهاد الطفيف كرد فعل لسلوكه العدواني تجاههم وقد يكون هؤلاء انفضوا عنه نتيجة شكوكه واضطرابه. غير أن المريض لا يعني بالاضطهاد هنا مجرد وصف لسلوك هؤلاء، ولا يرده إلى مجموع استجاباتهم السلوكية تجاهه، بل يُشيئ **hypostatize, reity** الاضطهاد ويوقن بأن هناك قوة سرية من وراء هذه الاستجابات السلبية، ليس الاضطهاد عنده مجرد فئة من الأحداث يصنف تحتها سلوكيات الآخرين حياله، بل هي كيان حقيقي مستقل عن العالم يقبع من وراء هذه السلوكيات ويسببها بطريقة سرية. وما الإخوة والأقارب والزوجة والجيران وزملاء العمل إلا عملاء لهذه القوة. إنها كيان واقعي أفلاطوني قائم، يتمتع بوجود حقيقي ووضع أنطولوجي.

إن التشيؤ، ضرب من الجنون العقلي سهل الانكشاف في حالة البارانونيا، غير أنه أصعب انكشافا في الحالات الأكثر اعتيادًا وإلفًا، والتي نصادفها كل لحظة في حياتنا اليومية وفي حواراتنا وقراءاتنا ومشاهداتنا التليفزيونية.

تشيؤ العرافين وزبائنهم مفهوم المستقبل وكأنه شيء يمكن أن يقبع في المرمدة أو الفنجان أو كرة البلور، أو كأنه نوع من البلاد قائم هناك حيث تجري الحوادث التي سوف يُعاد إنتاجها على هذه الأرض حين يأتي أوانها. إنها هناك تمكن رؤيتها على نحو غامض في الكف وثقاله البن وأوراق اللعب وما عليك سوى انتظار وصولها مثلما تنتظر خطابًا هو في البريد بالفعل.

يقول هيجل

الدولة هي الفكرة الإلهية كما توجد في الحاضر.-- إنها القوة المطلقة على الأرض إنها غاية ذاتها وموضوع ذاتها. إنها الغاية النهائية التي لها الحق الأعلى على الفرد ورغم أننا يمكن أن نفهم هيجل فهما استعاريًا يبرئه من التشيؤ، إلا أن كلماته صارت تفهم فهما تشيئيًا لدى ملايين البشر من مختلف الاتجاهات منها الماركسي ومنها النازي وغيره من ضروب الشوفينية البغيضة وصارت تعني أن الأمة غاية عليا بمعزل عن رخاء الفرد وصالحه بمعنى أن هناك كائنًا عملاقًا قائمًا يسعد ويشقى ويصح ويمرض يقال له الأمة نضحي من أجله بالأفراد ونذبحهم مقدمة لجلاله.

يقول سلفادور دي مادارياجا Salvador de Madariaga في تعليقه على هذا الاتجاه كلا وألف كلا الغاية العليا هي الفرد، وينبغي ألا تكون للمؤسسات الجمعية سلطة عليه إلا بقدر ما يلزم لنموه الفردي الخاص وكثيرًا ما يتحدث هواة السيكلوجيا عن الأنا ego وهو كأنها أنفـس بديلة تتناوب الأمر داخل الرأس

مثل الشبح داخل الآلة the ghost in the machine على حد تعبير جلبرت رايل ساخرًا من ثنائية ديكرت). ويشيئ أغلب الناس الحب وكأنه كائن شبحي يتلبس المحب فيسهده ويبلية. الحب ليس جوهرًا substance بل علاقة relation ليس كائنًا بل انسجام كائنين. ولعل هذا التشيؤ، هو ما يجعل المحب يستسلم للحب ولا يرجو مهربا من حبائله، ظنا منه أن الأمر برمته قدر لا فكاك منه. لقد سكن الحب قلبه وأقام به فكيف له أن يطرد هذا الساكن المقيم؟! ويظل المحب يسقط نموذج الأنثوي المثالي على محبوبته الحقيقية الأرضية فيجعل منها إلها لا وجود له إلا في خياله. حتى إذا ما اقترب منها اقتراباً³² واقعياً خاب أمله وأخذت عليه الحقيقة، وسقط على صخرة الواقع فشمله بقدر ما علا بالمثال وصدق فيه قول المتنبي:-

مما أخرج بأهل العشق أنهم...هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم في إثر كل قبيح وجهة حسن..
(أمثلة أخرى)

- (1) الطبيعة تبغض الفراغ. لاحظ أن الطبيعة لا تبغض شيئاً).
- (2) أغراض الطبيعة دائماً نبيلة، ومن ثم ينبغي علينا أن نقبل بالطبيعة. (لاحظ أن الطبيعة لا أغراض لها).
- (3) وحدها القوانين العادلة ما يداوي آلام المجتمع. (القوانين لا تداوي شيئاً. والمجتمعات لا تتألم).

³² Sontag and Beddie, Nazi-Soviet Relations. New York: Didier, 1948, p. VIII

(٤) الصناعة خطر على الطبيعة والمجتمع (الصناعة ليست شيئاً، ولا تجترح أي فعل والطبيعة والمجتمع ليسا أشياء لكي يفعل بها أي شيء بعض الصناعات قد تسبب ضرراً ببعض الأشياء الطبيعية أو بعض الأشخاص في مجتمع ما غير أن معاملة أي من هذه كيانات، حتى لو كانت كيانات جمعية هي مغالطة.

(٥) ماذا تساوي الاعتبارات الشخصية إلى جانب حاجات المجتمع، ومصير الأمة، والحفاظ على الثقافة (لاحظ أنه ما دام المجتمع لا حاجات له والأمم لا مصائر لها، وليس هناك شيء من قبيل الثقافة لكي تحفظه فإن الاعتبارات الشخصية في حقيقة الأمر هي كل ما يتبقى هناك)³³

³³ يمكننا أن نفهم الطبيعة والمجتمع، والصناعة والأمة، والثقافة في الأمثلة التالية فهما استعاري مجازيا فلا يعود في الأمر مغالطة. غير أن الناس كثيراً ما تعامل مثل هذه الأنساق الكلية كما لو كانت كيئاً شبيهاً بالشيء، وهنا تبدأ المغالطة. كان هتلر في أواخر أيامه، وقد صار على يقين من الهزيمة، يتحدث عن الأمة وكأنها كائن حقيقي قائم بمعزل عن الأفراد، كائن أعلي ينبغي أن يقديه الأفراد جميعاً بارواحهم حتى لو قضوا عن آخرهم!!!

السلح الرابع والعشرون

إنحياز التأييد (التأييد دون التفيد) confirmation bias

دلف إلى المناظرة التليفزيونية يتأبط أضاير منتفخة بقصاصات ووثائق تؤيد دعواه ولعله بنصف هذا العرق كان قمينا أن يجمع ضعفيها من القصاصات والوثائق المفندة!

في تجربة شهيرة عرض على المشاركين أربع بطاقات، كل بطاقة منها تحمل عددًا على أحد وجهيها وحرًا أبجديا على وجهها الآخر، مثل هذا.

E ٤

٧ k

ثمة فرضية في هذه البطاقات تقول بأنه: إذا كان في البطاقة حرف متحرك على أحد وجهيها فإن على وجهها الآخر عددًا زوجيا بالضرورة، والمطلوب من المشارك³⁴ في هذه التجربة وقع جميع المشاركين تقريبًا في الاختيار الخطأ وهو (e،٤) ولم يهتدوا إلى الجواب الصحيح (وهو: e7)، ذلك أن عليك أن تقلب بطاقة E لتكشف أن كان هناك عدد زوجي على ظهرها فإذا لم يكن فالفرضية كاذبة. يتعين عليك أيضا أن

³⁴ (1) تُسمى بطاقات واسون Wason card problem يقدم أسرع طريقة لاختبار هذه الفرضية (أو يُطلب منه، بصيغة أخرى، تحديد بطاقتين اثنتين فقط عليه أن يقلبهما لكي يختبر صدق هذه الفرضية).

تقلب البطاقة ٧ لكي تتيقن من أنها لا تحمل في ظهرها حرفاً متحرراً، فإذا وجدته فالفرضية كاذبة. وما دامت البطاقة بها عدد زوجي والبطاقة ٧ ليس بها حرف متحرك فإن الفرضية صادقة. ولا يهم ما يكون على ظهر البطاقة ٤ والبطاقة k ولا يغير من الأمر شيئاً، والآن ما هو مصدر الضلال هنا؟

لماذا نميل فعلاً إلى اختيار البطاقة ٤ بدلاً من ٧؟

يبدو أن لدينا ميلاً صميماً إلى أن نؤيد **confirm** مثل هذه الفرضيات بدلاً من أن نفندها **disconfirm**. إننا نقلب البطاقة ٤ لأننا نبحث فقط عن أمثلة موجبة للفرضية وليس أمثلة سالبة. إننا أميل إلى البحث عن دليل مؤيد حتى إذا كان الدليل المفند أكثر دلالة بكثير.

يفكر الواحد منا بمثل هذه الطريقة: إذا قلبت بطاقة العدد الزوجي ووجدت حرفاً متحرراً أكون قد أيدت العبارة. غير أن العثور على مثال يؤيد القاعدة لا يثبت أن القاعدة صادقة، بينما العثور على مثال واحد يُكذِّب القاعدة هو أمر يكفي لأن يثبت كذبها على نحو نهائي حاسم ويقضي عليها قضاءً مُبرماً.³⁵

في مجال الاستدلال الإحصائي يُعد انحياز التأييد **confirmation** أو التحقيق **verification** (ضرباً من الانحياز المعرفي تجاه تأييد الفرضية محل الدراسة ومن أجل معادلة هذا الميل البشري الملاحظ يتم تشييد المنهج العلمي بطريقة تلزمنا بأن نحاول تفنيد **disconfirmation** أو تكذيب (**falsification**) فرضياتنا.

³⁵ انظر أيضاً إلى المثال التالي: فهذا سياسي يرى أن إلغاء الضرائب المحلية سوف يؤدي إلى انخفاض معدلات الجريمة، ومن ثم فقد طلب من الباحثين لذي أن يجمعوا أمثلة لحالات الغيت فيها الضرائب المحلية ثم انخفضت معدلات الجرائم وجد الباحثون أن هناك مائة من هذه الأمثلة. إذك خلص السياسي إلى أنه محق في افتراض أنه بخفض الضرائب المحلية يمكنه أن يقلص الجريمة.

لقد أراد السياسي أن يؤيد فرضيته فحسب، لا أن يفندها، وربما يكون بذلك قد ضل السبيل. ولعل باحثيه لو جدوا في الطلب لأتوا له بمائتي حالة ارتفعت فيها الجريمة بعد إلغاء الضرائب المحلية!

وفي مجال السيכולوجيا يُعرف انحياز التأييد بأنه ظاهرة تتميز بميل صانعي القرار إلى ملاحظة الأدلة المؤيدة لدعاويهم والاحتفاء بها والتماسها بهمة، بينما يميلون إلى تجاهل الأدلة التي قد تنال من الدعاوي، وإلى التقاعس عن طلبها والبحث عنها. وهي بهذا المعنى تُعد صورة من صور الانحياز الانتقائي **selection bias** في

جمع الأدلة يذهب البعض إلى أن انحياز التأييد قد يكون هو السبب من وراء الاعتقادات الاجتماعية المخلدة لذاتها والمحققة لذاتها. وقد يكون سبب هذا الانحياز هو أن الذهن البشري بحكم تكوينه يجد صعوبة في معالجة **processing** الإشارات السالبة أكثر مما يجده في معالجة الإشارات الموجبة.

وتشير الدراسات الحديثة رغم ذلك إلى أنه بينما تسود مغالطة التأييد كحالة مبدئية، فإن تكرار ورود البيانات المفندة يُحدث تحولات في التفكير النظري فالمسلك

العام لدى الباحثين هو استبعاد البيانات المفندة في البداية باعتبارها نتاج زلل أو سهو أو عوامل دخيلة، غير أن تكرار البيانات المفندة وتراكمها وإلحاحها في الظهور يُحدث تغيراً في استراتيجيات الاستدلال السببي.

كارل بوبر ومذهب التكذيب falsificationism

كان بوبر مناوئاً لفكرة أن المعرفة العلمية تتراكم عن طريقة تأييد الفرضيات أو تحقيقها. وفي تصور شديد الاختلاف والجدة لدينامية العلم ذهب بوبر إلى أن الفرضيات لا تكون جديرة حقاً بالقبول ما لم تكن قابلة للتكذيب. كانت فكرته مدمرة وبسيطة ومن السهل أن تجد أمثلة مؤيدة للفرضيات سهولة تجعل من المستبعد أن يكون هذا هو طريق العلم الصحيح. تأمل مثلاً فرضية بسيطة مثل: جميع النباتات تتكاثر جنسياً. فإذا كان كل ما يلزمني هو الشواهد المؤيدة لذلك، فإن باميسوري أن أهرع إلى الحديقة وأكتشف أن جميع الزنابق الستمائة وأربع وستين تتكاثر جنسياً. وجميع البنفسجات التسعمائة وثلاث وخمسين تتكاثر جنسياً، وهلم جرا. وسرعان ما يجتمع لدي عدد هائل من الأمثلة الموجبة. ومع ذلك فلو اطلع أي عالم نبات على عملي فلن يأبه له لأنني لم أحاول أن أجِد مثلاً مفنداً: لم أنظر إلى حالات يمكن أن تكون أمثلة مضادة counter-examples فقبل تبني أي فرضية ينبغي عليّ أن أفحص كثيراً من الأنواع المختلفة من النباتات المزهرة، وأن أفحص الأعشاب والسراخس وبعمامة، يجب عليّ أن أحاول جهد ما أستطيع أن أكذب **talaity** فرضيتي³⁶

³⁶ لمزيد من الإيضاح انظر أيضاً بنية الثورات العلمية لتوماس كون وله بالعربية أكثر من ترجمة ومن تمام القول أن نشير إلى أنه في السياق العياني لا يقع الناس في خطأ انحياز التأييد بنفس المعدل من ذلك أنه لدى تقديم نسخة عيانية من نفس الاختبار اهتدى عدد كبير من المشاركين إلى الإجابة الصحيحة من أمثلة هذه الصيغة العيانية تقديم أربع بطاقات كل بطاقة بها مشروب معين على أحد وجهيها وعمر شاربه على الوجه الآخر قهوة كولا ١٤:١٨ وتقول الفرضية أنه إذا كان الشخص يشرب القهوة فإن عمره إذا لا بد من أن يكون فوق ١٦

تأمل فرضية أخرى وهي الفرضية القائلة بأن منطقة بروكا هي التي تتحكم في إنتاج الكلام فلكي يبرهن المرء على هذه الفرضية فلن يكفيه أن يعثر على ارتباط موجب بين حالات تلف منطقة بروكا وبين فقدان الكلام، فلا بد للمرء أن يكشف ما إذا كان هناك مرضى بتلف في منطقة بروكا بدون فقدان النطق، وأن يكشف ما إذا كانت هناك حالات فقدان نطق مع تلف في مناطق أخرى. عندئذ سيكون الفشل في التأكيد ذا دلالة، بعكس تجميع الحالات المؤيدة، تفيد دعوي بوبر أن العالم إذا قبل الفرضيات عن طريق إيجاد أمثلة مؤيدة فسوف ينتهي به المطاف إلى قبول ما لا يحصى من الفرضيات الكاذبة والسير فيما لا يحصى من الطرق المسدودة. أما إذا ظفر بفرضية صمدت لمحاولات عنيفة لتكذيبها، فعندئذ يمكنه قبول هذه الفرضية، لا باعتبارها صادقة، ولا باعتبارها مؤيدة، بل باعتبارها أفضل فرضية متاحة حتى الآن.

يمكننا أن نفسر العلاقة المنطقية بين التحقيق والتكذيب كما يلي: تتنبأ النظرية القائلة بأن الدببة القطبية يجب أن تكون بيضاء بأن الدب الذي سأراه في المرة القادمة سيكون أبيض. فإذا حدث أن كان الدب القادم أبيض حقاً فقد يُغريني ذلك بأن أقول أن مشاهدتي هذه تؤيد النظرية. ولكن الحقيقة أن هذه المشاهدة لا يمكن أن تُعد برهاناً نهائياً على صدق النظرية. ذلك لأن هناك احتمالاً سيظل قائماً أبداً بأن يأتي دب قادم في رتل الملاحظة غير أبيض وإذا حدث هذا تكون هذه الملاحظة وحدها كافية لتكذيب النظرية بصفة نهائية. هكذا يتبين لنا أن التأيد لا يحسم أمر النظرية بينما التكذيب يمكن أن يكيل للنظرية ضربة واحدة قاضية. التكذيب إذاً، وليس التأيد، هو معيار العلم.

أما عن التأييد فإن بوسع أي نظرية أن تجد لها ما شاءت من الأدلة التي تتسق معها وتؤيدها، وتزعم معظم النظريات التي تدع الصفة العلمية أنها مشيدة أصلاً على³⁷ أساس التفكير الاستقرائي أي استقراء كل الحالات المعروفة واستخلاص تعميم يشملها جميعاً وماذا يكون التأييد هنا سوى الإتيان بمزيد من نفس الصنف من الحالات؟! أن هذا من الوجهة المنطقية هو عقم لم يأت مجديداً. أما المنهج المجدي عند بوبر فهو أن تفكر استنباطياً وتفتش عن حالات مفيدة للنظرية لأن العثور على مثال مضاد واحد سيكون كافياً للإجهاد عليها. أما إذا صمدت النظرية ستعد قوية وأهلاً بالأخذ بها باعتبارها أفضل فرضية متاحة.

فرنسيس بيكون: المثال السلبي فوق المثال الإيجابي اقرأ واستمع. لا لكي تماري وتفهم، ولا لكي تعتقد وتسلم، ولا لكي تظفر بمحدث أو قول بل لكي تروى وتُحص.

³⁷ (-) Churchland, P. S., Neurophilosophy, ninth edition, A Bradford book, The MIT Press, 1996, pp. 259-260

فرنسيس بيكون

يقول بيكون في الأورجانون الجديد **Novum Organum** من دأب الفهم البشري عندما يتبنى رأياً (سواء لأنه الرأي السائد أو لأنه رافقه وأعجبه) أن يفسر كل شيء عدا أن يؤيده ويتفق معه. ورغم أنه قد تكون هناك شواهد أكثر عدداً وثقلاً تقف على النقيض من هذا الرأي، فإنه إما أن يهمل هذه الشواهد السلبية ويستخف بها، وإما أن يختلق تفرقة تُسول له أن يزيحها وينبذها، لكي يخلص بواسطة هذا التقدير السبقى المسيطر والموبق إلى أن استنتاجاته الأولى ما تزال سليمة ونافذة. ولذا فقد كان جواباً وجيهاً ذلك الذي بدر من رجل أطلعوه على صورة معلقة بالمعبد لأناس دفعوا نذورهم ومن ثم نجوا من حطام سفينة، عساه أن يعترف الآن بقدرة الآلهة فما كان جوابه إلا أن قال: حسناً، ولكن أين صور أولئك الذين غرقوا بعد دفع النذور؟!

وهكذا سبيل الخرافة، سواء في التنجيم أو في تفسير الأحلام أو الفأل أو ما شابه حيث نجد الناس، وقد استهوتهم هذه الضلالات يلتفتون إلى الأحداث التي تتفق معها، أما الأحداث التي لا تتفق، رغم أنها الأكثر والأغلب، فيغفلونها ويغضون عنها الطرف.

على أن هذا الأذى يتسلل بطريقة أشد خفاء ودقة إلى داخل الفلسفة والعلوم حيث يفرض الحكم الأول لونه على ما يأتي بعده، ويحمله على الإذعان له والانسجام معه، ولو كان الجديد أفضل وأصوب بما لا يقاس وفضلاً عن هذا، وبغض النظر عن ذلك

الهوى والضلال الذي ذكرتُ، فإن من الأخطاء التي تسمُ الفكر الإنساني في كل زمان أنه مغرم ومولع بالشواهد الموجبة أكثر من الشواهد السالبة، حيث ينبغي أن يقف من الاثنين على حياد. والحق أنه في عملية البرهنة على أي قانون صادق يكون المثال السلبي هو أقوى المثالين وأكثرهما وجاهة وفعالية (الأورجانون الجديد - الكتاب الثاني، شذرة (٤٦)

السلح الخامس والعشرون

غفال المقيدات

qualifications ignoring

secundum quid

قالت القاعدة للاستثناء: لماذا تعلق بجناحي دائما وتقيديني ولا تدعني أبسط ظلي على العالم

رد الاستثناء على القاعدة

أفيقي.. أنا لست عالقا بجناحك

أنا منك.. أنا أكبر قوادمك

وأشد مؤيديك

يتألف شطر كبير من حديثنا اليومي من عبارات حول ما تكونه الأشياء على وجه الإجمال، وكيف يسلك الناس بصفة عامة... إلخ. ونحن نستند إلى هذه الأحكام العامة في جدلنا السياسي والأخلاقي وفي أغلب الشؤون المهمة في الحياة الاجتماعية، غير أن علينا أن نحذر من التعنت في تطبيق هذه التعميمات على حالات خاصة قد لا تنطبق عليها، ذلك أن الظروف والملابسات تغير الحالة، والتعميم الذي يصدق على الإجمال قد لا يصدق في حالة معينة، لأسباب وجيهة

تتعلق بالظروف الخاصة (أو العرضية dental acci) لتلك الحالة. حين نطبق تعميماً على حالات فردية لا يشملها التعميم على نحو صحيح فنحن نرتكب إذ ذاك مغالطة العرض (المباشر) fallacy of accident، أما حين نفعل العكس ونتناول، عن غفلة أو عن قصد، مبدأ يصدق على حالة استثنائية معينة ثم نمده لينسحب على المجرى العام للحالات، فإننا نرتكب مغالطة (العرض المعكوس) lacy of converse accident. والحق أن ممكن الخطأ واحد في الحالتين، وهو إغفال المقيدات أو المحددات أو الشروط التي ينطوي عليها التعميم، واستخدام القاعدة ذات الاستثناءات المقبولة على أنها قانون مطلق، ذلك أن بمقدور التنطع أن يخلط بين صنفين مختلفين من التعميم:-

(1) التعميم الشامل أو المطلق: وهو تعميم لا يسمح بأي استثناء ويكفي مثال مضاد counter-example واحد لدحضه أو تكذيبه.

(٢) التعميم القابل للإبطال defensible أو المقيد qualified : وهو تعميم يسمح باستثناءات، ويتساوى مع وجود أمثلة مضادة معينة. إنه تعميم غير صارم بل اختباري وقابل للتعديل والتطوير إلى هذا الصنف الأخير من التعميم تنتمي أغلب القواعد والمبادئ الأخلاقية والاجتماعية والمدنية والعرفية، وكذلك التعميمات التجريبية والفروض المسبقة. والحكم والأمثال والأقوال المأثورة. ويعج الحس المشترك بمثل هذه القواعد العامة التي تصدق على الجملة لا على الإطلاق. إننا نعيش فيها وبها، ونعرف بفضلها وجهتنا وننظم حياتنا وندخر طاقتنا. على أن نأخذها مأخذ الأداة التي ينبغي أن نستخدمها لا أن نستخدمنا. فهي شأن كل أداة، قد تجلب الضرر مثلما تجلب النفع، وذلك حين يساء استخدامها. وإساءة استخدام القواعد

هي أن نأخذها مأخذ المطلقات حين نكون بصدد الاستثناء، أو على العكس، حين نأخذ الاستثناء مأخذ القاعدة.

إن أصلب القواعد العملية وأشدّها ثباتاً وبداهة إنما تقوم على المألوف المتاح في البيئة، وتنتسب إلى السياق الثقافي والتاريخي للمرء. مثال ذلك أن قولنا معظم الطيور قادرة على الطيران إنما هو تعميم تجريبي من الخبرة المتاحة وليس ما يمنع أن تكون هناك أعداد غفيرة من طيور البطريق في القارة المتجمدة الجنوبية تقلب الآية وتجعل الصواب أن معظم الطيور لا تطير! تعلمنا الخبرة أنه ما من تعميم، مهما اتسع تطبيقه وعم نفعه، إلا وله استثناءات تفلت من طائلته. في مجال القانون مثلاً نجد أن المبادئ التي تصبح في عموم الأحوال لا تخلو من حالات استثنائية محددة، من ذلك أن مبدأ بطلان شهادة الشاهد بما سمع من الغير (شهادة الرواية أو السماع عن الغير) **hearsay testimony** (أي أن الشهادة عن الغير لا تقبل كدليل أو بينة) لا يسري إذا كان الطرف المروي عنه متوفي أو عندما يكون ناقل الشهادة يفعل ذلك ضد مصلحة الشخصية الأكيدة وفي محاورة يوثيديموس ينتزع سقراط من يوثيديموس، الذي يعتزم أن يصير رجل دولة، التزاماً أو تعهداً بكثير من الحقائق الأخلاقية المتفق عليها: من الخطأ أن تخدع، من الظلم أن تسرق... إلخ. عندئذ يقدم سقراط سلسلة من الحالات الافتراضية التي تخرق المبدأ العام فلا يجد يوثيديموس فكاً من أن يوافق على أنه قد يبدو أن من الصواب أن تخدع (لكي تنقذ مواطنيك)، وأن من العدل أن تسرق (لتنقذ حياة صديق)... إلخ.

أمثلة من مغالطة العرض المباشر **accident**

- سيارة الإسعاف التي عبرت الآن تستحق مخالفة لأنها كسرت الإشارة الحمراء.

لا شأن لي بنزيف أنفك التعليمات صريحة غير مسموح لأي طالب بالذهاب إلى الحمام إلا بعد جرس الحصة.

لا يُسمح للسيارات بتجاوز حدود السرعة.

سيارات الشرطة هي سيارات إذاً لا يسمح لسيارات الشرطة بتجاوز حدود السرعة. قطع أجساد الناس بالسكين جريمة.

الجراحون يقطعون أجساد الناس بالسكين.

إذاً الجراحون مجرمون

حسنًا ما قلت يا كيفالوس. ولكن لننظر في الفضيلة ذاتها، أي العدالة، فما هي؟ أهى الصدق في القول والوفاء بالدين فحسب؟ ألا ترى معي أن هذين الأمرين ذاتهما قد يكونان صوابًا أحيانًا وخطأً أحيانًا أخرى؟ لنفرض أن صديقًا أودع لدي أسلحة، ثم أصيب بالجنون فيما بعد، أتراني ملزمًا بردها إليه؟ لن يقول أحد إنني ملزم بذلك، أو أنني أكون على حق أو فعلت ذلك كما أن أحدا لن يعتقد بأن من واجبي قول الصدق من كان في مثل حالته. أفلاطون - الجمهورية - الكتاب الأول. - لا تكذب.

إذاً لو سألك مجرم خطير عن مكان ضحيته المستهدفة فلا تكذب عليه. - لا تقتل

ولا حتى النمل الأبيض الذي يهاجم بيتك، ولا أعداءنا القادمين لقتالنا. - الديمقراطية تمنح الجميع حق الاقتراع. إذاً يتبقى السماح للأطفال والمجرمين بالاقتراع.

- ما دامت حرية القول مكفولة للجميع.
إذاً من حقي أن أصرخ حريق. حريق في مسرح مزدحم.
- ما دمت قد تعهدت بحفظ قطتك داخل المنزل عندما تبنيتهما من الجمعية.
إذاً ينبغي ألا تدعها تخرج خارج البيت حتى لو شب فيه حريق. - ما دام الأسبرين مفيداً لمرضى القلب.³⁸
إذاً هو مفيد أيضاً لأخي المريض بالقلب وقرحة المعدة (من المعلوم طبياً أن الأسبرين يفاقم قرحة المعدة).

أمثلة المغالطة العرض المعكوس necident converse

ما دمنا نسمح لمرضى المراحل الأخيرة ومرضى احتشاء القلب بتناول المورفين
إذاً ينبغي أن يُسمح لكل فرد بتناول المورفين
- ما دمت سمحت للطالب س الذي صدمته شاحنة بتقديم بحثه فيما بعد إذاً يجب
أن تسمح للفصل كله بتقديم الأبحاث فيما بعد
ها أنتم ترون هذا الرجل الذي يعيش على السمك المقلي والبطاطس المقلية طوال
حياته ومستوى الكولسترول في دمه أقل من المعدل.
- إذاً أجبنا للمصابين بالجلوكوما باستخدام الماريجوانا الطبية.
- إذاً كل شخص من حقه أن يستخدم الماريجوانا

³⁸ انظر جمهورية أفلاطون دراسة وترجمة د. فؤاد زكريا دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ٢٠٠٣، ص ١٨١-
١٨٢ : وانظر أيضاً إلى تعليق د. فؤاد زكريا على ذلك في دراسته الجمهورية ص ٤٧.

السلّاح السادس والعشرون

مغالطات الالتباس

ambiguity of fallacies

كثيرًا ما يتبدل معنى الكلمات أو التعبيرات أثناء الحديث أو في مساق حجة. قد يحدث ذلك عن غفلة وقد يحدث عن عمد فيحمل الحد معنى معينًا في إحدى المقدمات، ويحمل معنى مختلفًا تمامًا في النتيجة عندما يعتمد الاستدلال على مثل هذه التبديلات يكون مغالطًا بطبيعة الحال، ويُطلق على هذا الفصل من المغالطات مغالطات الالتباس **fallacies of ambiguity**، وهي في أغلب الأحيان مغالطات فجة سهلة الكشف، غير أنها قد تدق في بعض الأحيان وتختفي على متلقيها أو حتى على مرتكبيها.

قد يخلق الالتباس خلطًا خطيرًا حتى لو لم يأت في مساق حجة، ومن الأمثلة المشهورة على ذلك حوادث اصطدام السفن والطائرات من جراء الالتباس في لغة الاتصال في السابع والعشرين من مارس عام ١٩٧٧ لقي ٥٨٣ شخصًا حتفهم عندما اصطدمت طائرتا ركاب على المدرج الذي خيم عليه الضباب في تينيريف بجزر الكناري. قال قائد الطائرة في رسالته اللاسلكية إلى التحكم الأرضي: نحن الآن 2 **the take off** بمعنى نحن في نقطة الإقلاع عن المدرج. إلا أن التحكم الأرضي أخذ الرسالة بمعنى أن الطائرة كانت منتظرة على المدرج. وكانت النتيجة أن قضى

المئات حتفهم في الصدام تبين مثل هذه الحالات أن المشكلات التي تنجم عن الالتباس لا يستهان بها. وهي مشكلات شائعة جدا في الوقت نفسه. في القضايا القانونية على سبيل المثال، وفي التعاملات التجارية والتعاقدات المدنية والاتفاقيات الدولية يشكل الالتباس وتعدد التأويلات للنص الواحد مشكلة عديدة وما تزال مشكلة الانسحاب من أراض، أو الانسحاب من الأراضي تسكن ذاكرة كل منا وهي مشكلة ناجمة عن الالتباس المبيت في صميم اللغة الإنجليزية وأدوات التعريف والتنكير بها.

(1) الإشتراك / إشتراك اللفظ Equivocation

الورع.. ها هو ذا التباس
بوسعه أن يلعب على الكفتين، مرجحا أيا منهما على الأخرى كم
ارتكب من الخيانات زاعما أنها في سبيل الله ولكن هيهات له أن يلبس
شيئاً على رب السماء

مكبث

الفصل الثاني - مشهد ٣

معظم ألفاظ اللغة هي ألفاظ مشتركة *equivocal* لها أكثر من معنى واحد. ولبعض الألفاظ نطاق كبير من المعاني.
يقول أبو حامد الغزالي في كتابه المستصفى

وأما الألفاظ المشتركة فهي الأسماء التي تنطبق على مسميات مختلفة لا تشترك في الحد والحقيقة البتة : كاسم العين للعضو الباصر، وللميزان وللموضع الذي يتفجر منه الماء - وهو العين الفوارة - وللذهب وللشمس وكاسم المشتري القابل عقد البيع، وللكوكب المعروف.³⁹

الغزالي المستصفي ج ١ -

ينشأ الاشتراك نتيجة للتطور التاريخي للغات الطبيعية، والتي نعلم اليوم أنها تقوم على المواضعة **convention** والاتفاق، وأن علاقة الدال بالمدلول فيها هي علاقة اعتسافية (اعتباطية) **arbitrary** لا ضرورة فيها، وأنها تتطور ببطء ونادرا ما تكون التغيرات التي تلحق بها متعمدة من جانب الأفراد أو الجماعات. وقد كان هذا الاشتراك القائم في صميم المعجم اللغوي حرياً أن يهدد الوضوح والإفصاح ويعطل الوظيفة الاتصالية للغة: لولا أن اللغة تتغلب على الالتباس الكامن في ألفاظها بواسطة السياق الصريح الذي يتكفل في أغلب الأحوال، ببيان المعنى المقصود يقول لودفيج فتجنشتين ليس للكلمة الواحدة من كلمات اللغة معنى محدد دقيق، وإنما للكلمة الواحدة، كما هي مستخدمة بالفعل في الحياة اليومية، معان لا حصر لها تتحدد بحسب السياقات والظروف المختلفة التي تُستخدم فيها. فالكلمة مطاطة تتسع استخداماتها وتضيق وفقاً للظروف والحاجات ومثلها مثل أدوات النجار ليس لكل أداة استخدام واحد وإنما استخدامات مختلفة في الظروف والحاجات المختلفة. ولا يوجد بين الاستخدامات المختلفة للكلمة الواحدة عنصر

³⁹ () في تعريفات الجرجاني المشترك ما وضع لمعنى كثير، كالعين لاشتراكه بين المعاني - وضده المترادف أبي ما كان معناه واحداً وأسماء كثيرة، كالليث والأسد.

مشارك محدد، وإنما توجد بينها تشابهات عائلية **family resemblances** متداخلة مندمجة كالتى نراها بين أفراد الأسرة الواحدة.

حصر السياق إذاً من وسائلنا للتغلب على التباس الألفاظ ومن وسائلنا الأخرى أن نستخدم التعريف فتتوضع على الطريقة التى سوف نستخدم بها هذه الكلمة أو تلك فى سياق معين من القول وينشأ الالتباس حين يعجز كل من السياق والتعريف عن نطاق المعاني الخاص بكلمة ما فى معنى واحد بعينه. ونحن حين نقوم بخلط المعاني المختلفة لكلمة أو تعبير، عفوًا أو عن قصد، فإننا إذاً نستخدم اللفظة استخدامًا مشتركًا **equivocally**.. وحين نفعل ذلك فى مساق حجة **argument** نكون قد ارتكبنا مغالطة الاشتراك. **fallacy of equivocation** ذلك أن الحجة لا تكون منتجة منطقياً، ولا تؤدي فعلها كحجة، ما لم تكن ألفاظها تحمل ذات المعنى فى كل مرة ترد فيها، سواء فى المقدمات أو فى النتيجة.

حين أقول لك كن مؤمنًا فقد يعنى ذلك ثق فى رحمة الله وقد يعنى اعتقد فى وجود الله وحين أقول إننى أعتقد فى الرئيس فلان فإن ذلك يعنى أننى أثق فى كفاءة كرئيس، ولكن حين أقول إننى أعتقد فى التلثاقي (التخاطر) فإننى أستخدم التعبير نفسه ولكن بمعنى جد مختلف، وهو أننى أعتقد فى وجود ظاهرة (التخاطر)

كذلك تحمل الألفاظ النسبية من قبيل جيد، قصير صغير.. إلخ، خطر الاشتراك حين يساء استخدامها من ذلك أن النملة الكبيرة تظل حيوانًا ضئيلاً. والفيل الصغير يظل حيوانًا ضخماً والباحث الجيد قد يكون محاضرًا رديئاً

والجنرال القدير قد يكون رئيسًا ضعيفًا، والانتقال من أي حد من هذه الحدود إلى الآخر يعد انتقالًا مغالطًا.

أمثلة أخرى:

(1) كل قانون ينبغي أن يطاع

قانون الجاذبية هو قانون

إذاً قانون الجاذبية ينبغي أن يطاع

(هنا تستخدم لفظة قانون بمعنيين مختلفين). ويسمى هذا الصنف من

المغالطة مغالطة التباس الحد الأوسط

(٢) كل العلوم تؤدي إلى الفهم الأفضل للعالم

إذاً علوم السحر تؤدي إلى فهم أفضل للعالم (حيث تستخدم كلمة

علوم بمعنيين مختلفين)

(٣) كل قتلة الأطفال غير إنسانيين (بمعنى غير رحماء)

إذاً ليس هناك قاتل أطفال ينتمي إلى النوع الإنساني (بمعنى الإنسان

العاقل *homo sapiens*) (للاشتراك طاقات بلاغية هائلة حين يُستخدم

التأثير البياني والشعري والخطابي ومن الأمثلة الماثورة للاستخدام البلاغي

الموفق للاشتراك قول بنيامين فرانكلين:

إذا لم يتعلق بعضنا ببعض فسوف نتعلق على انفراد

we will hang separately ،together If we don't hang

حيث نتعلق الأولى تعني نتضامن، والثانية تعني نشنق، غير أن الحجة صائبة لأننا حقا إذا لم نتضامن في مراحل الصراع أو الثورة فثمة احتمال كبير بأن نفشل ونعدم شنقًا. وباستخدام ذات الكلمة بأكثر من معنى فقد تبلورت الفكرة واستوت في صياغة موفقه تستقر في الذاكرة بسهولة ورسوخ. ومن الاستخدامات الماثورة للاشتراك قول الإمام الشافعي ما جادلت عالما قَطُّ إلا غلبته، وما جادلت جاهلاً قط إلا غلبني!! () ومنها دولة الظلم ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة من الفن ألا يظهر الفن (حيث كلمة فن الأولى تعني art وكلمة من الثانية تعني الصنعة techne) ليس الاشتراك بحد ذاته مغالطًا، غير أنه يبغي شركا لغويًا منصوبًا يجعلنا عرضة للوقوع في المغالطة، وذلك حين ينجح الاشتراك في أن يجعل الحجة المغلوطة تبدو حجة صائبة.⁴⁰

⁴⁰ () بمعنى أنني أغلب العالم بالحجة والدليل بينما يغلبني الجاهل بالصوت والمحك.

(٢) التشابه التباس المبني / اشتراك التركيب)

amphiboly

من الحيل المألوفة للعرافين أن يقدموا تنبؤاتهم بطريقة غامضة تجعلها عصية على الإخفاق - تجعلها غير قابلة المحض

كارل بوبر

تعد العبارة متشابهة **amphibolous** إذا كان معناها غير محدد. نتيجة لتفكك مبناها وتعثر الطريقة التي تتضام بها ألفاظها، بحيث تكون قابلة، بسبب تركيبها. لأكثر من تفسير واحد، أي حمالة أوجه (). قد تكون العبارة المتشابهة صادقة وفقاً لتأويل معين، وكاذبة وفقاً لتأويل آخر. فإن أوردناها كمقدمة على تأويل الصدق واستخلصنا منها نتيجة على تأويل الكذب، نكن قد وقعنا في مغالطة التشابه أو الاشتباه أو الالتباس النحوي أو التركيبي اشتباه المبني **tallacy amphiboly**.

من حيل المنجمين والكهان منذ أقدم العصور أن يصوغوا تنبؤاتهم في صيغ متشابهة غامضة ملتبسة، بحيث تملص من أي شيء كان حقيقاً أن يكذب التنبؤ لو أنه كان محدداً دقيقاً. إنها خُدع تحصينية **immunization stratagems** تجعل النبوءة متمنعة على التكذيب أصلاً وأساساً، وتجعلها مساوقة لكل ملاحظة ممكنة، وموافقة للشيء ونقيضه، ومهما يكن مآل الأمور فإنه سيكون متفقاً مع تأويل معين من تأويلات العبارة وقد دأب الناس بدورهم على أن يسبغوا على النبوءة

التأويل الذي يريدون أن مغالطة التشابه مكيئة في حياة البشر ضاربة في صميم العقل الإنساني.⁴¹

أمثلة أخرى :

(١) لا تقتل نفسك هكذا يا رجل دعنا نساعدك

(٢) يقول الرجل لزميله في بلاد نيام نيام أكلة البشر الزعيم يريدك للغداء.

(٣) إنني ضد الضرائب التي تعطل النمو الاقتصادي، (ماذا يريد هذا السياسي أن يقول: هل يعني أنه مناوئ لكل الضرائب لأنها جميعا تعطل نمو الاقتصاد، أو أنه مناوئ فقط لذلك الصنف من الضرائب التي من شأنها أن تعطل نمو الاقتصاد؟ بوسعك بالطبع أن تقول العبارة وفقا لهواك السياسي وبرنامجك الاقتصادي وتحيزاتك الخاصة، وأن تضرب صفحا عن التأويل المضاد).⁴²

⁴² في المعجم الوسيط المتشابه النص القرآني يحتمل عدة معان غير أن الجرجاني يعرف المتشابه تعريفاً ضيقاً فيقول المتشابه (عندالفقهاء) هو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلاً وضده المحكم. كانت المنطوقات المتشابهات هي عدة كاهنات الوحي في دلفي باليونان القديمة يروي هيرودوت أن الملك كروسوس ملك ليديا أخذ مشورة كاهنة الوحي في دلفي قبل أن يشرع في حربه ضد سيرس (قورش) ملك فارس. فكانت النبوءة إذا ذهب كروسوس ليحارب سيرس فسوف يُدمر مملكة عظيمة.

ابتهج كروسوس للنبوءة، وقد فهم أنها تعني أنه سوف يُدمر مملكة فارس العظيمة. فزحف بجيشه لقتال سيرس ولكنه مني بالهزيمة على يد ملك الفرس، وإذ كتب له البقاء فقد عاد إلى دلفي وشكا مر الشكوى مما لحق به بعد أن تلقى مشورة الوحي، هنالك ردت الكاهنات بأن نبوءة دلفي كانت صادقة تماماً بذهابه إلى الحرب دمر كروسوس مملكة عظيمة - مملكته هو والحق أنك لو أنعمت النظر في منطوق النبوءة فسوف تلاحظ أنها لم تبين بوضوح أي مملكة تلك التي سيلحق بها الدمار. وقد المح هيرودوت إلى أن كروسوس كان ينبغي عليه، لو أنه قطن حقاً، أن يعود ثانية ليسأل الكاهنة أي مملكة تعني. وفي مسرحية مكبث لشكسبير تقول إحدى نبوءات الساحرات كن جريئاً رابط الجأش فاقد الرحمة فلن يستطيع حي وضعته أنثى أن يضر بمكبث، فلما اقتتل مكبث وعدوه ما كدوف قال مكبث محال أن تحاول ليس في طاقتك أن تسفك دمي، أكثر مما في قدرتك أن تطيع في الهواء أثر حسامك اذهب وحارب غيري ممن تمس جسومهم أما جسمي ففي حماية رقية سحرية، لا يحلها إلا رجل لم تضعه امرأة هنالك قال ماكدوف: أنا ذلك الرجل. دع وهم رقيتك السحرية، واعلم أن ماكدوف نزع من بطن أمه نزاعاً. ولم تضعه أمة وضعاً. لقد ولد ماكدوف ولادة أشبه بالقبرصية ولم تلده أمه ولادة طبيعية. حين أدرك مكبث التشابه amphiboly الذي أضاعه صاح قائلًا:

لا يحن بعافر منذ اليوم أن يصدق الشياطين الخداعين الذين يفرنوننا بالفاظ ذات معنيين، فيسرون أذاننا بالمواعيد ثم يجيبون أمالنا - لن أقاتلك

(٤) في مقابل دهان مصنعي فأنا أتعهد بأن أدفع للسيد عطا الله مرزوق مبلغ عشرة آلاف جنية وأن أعطيه سيارتي الفيات فقط إذا انتهى من الدهان قبل يناير (٢٠٠٧) (إذا أنعمت النظر في منطوق هذا التعهد فسوف تجد أنه يحتمل أكثر من ثلاثة تأويلات)

(٥) كان ضرب زيد مبرحا (لا يبين لنا تركيب الجملة ما إذا كان زيد هو الضارب أو المضروب).

(٦) وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به (المعنى إذا وقف على الله مغاير للمعنى إذا وقف على والراسخون في العلم)

(٣) النبر accent

النبر على الأحرف داخل الكلمة (أرسطو)

النبر (الارتكاز التشديد التوكيد) من المغالطات الثلاث عشرة التي بينها أرسطو في عمله الرائد **sophistical refutations On**، وهو بالتحديد من الأغاليط الست المعتمدة على اللغة والتي يقول عنها أرسطو تلك هي الطرق التي قد تعجز بها من أن نعني ذات الشيء باستخدام ذات الأسماء أو التعبيرات النبر، إذًا، عند أرسطو هو ضرب من مغالطة الالتباس **ambiguity** ولكي نفهم ما عناه أرسطو بالنبر ينبغي أن نعلم بعض الأشياء عن اللغة اليونانية المكتوبة في زمنه فإذا كانت اليونانية الآن تحتوي على علامات نبر ثلاث تُستخدم لتحديد النطق فإن هذه العلامات لم يكن لها وجود في الكتابة اليونانية القديمة، وإنما كان يعرفها القارئ الله باليونانية المنطوقة مثلما هو الحال بالنسبة للغة العربية القديمة الخالية من الإعجام أي النقط، والتشكيل. لذا كانت بعض الكلمات تنطق على نحو مختلف بينما تكتب على نحو واحد الأمر الذي يفتح باب الالتباس في اللغة المكتوبة.

مثال ذلك:

إنه في الإنجليزية قد تنطق الكلمات المتشابهة الهجاء بالنبر على المقطع الأول لتدل على الاسم، وبالنبر على المقطع الثاني لتدل على الفعل من ذلك **record** = تسجيل. وفي الإيطالية كلمة **capito** تعني أصل، بينما **capio** بالنبر على حرف تعني فهمت. وفي العربية ومن عنده علم الكتاب تقرأ أيضًا ومن عنده علم الكتاب ()

النبر على الكلمة داخل العبارة تعد حجة ما مخادعة وباطلة إذا تبدل المعنى داخلها نتيجة تبدل النبر على كلماتها أو أجزائها. فإذا ما أتينا بمقدمة تعتمد في معناها على نبر كلمة معينة، ثم استخلصنا منها نتيجة تعتمد على معني الكلمات نفسها منبورة على نحو مختلف، نكون قد ارتكبنا مغالطة النبر **fallacy of accent**.⁴³

أمثلة

(1) ينبغي أن نكون أمناء مع أصدقائنا
ينبغي أن نكون أمناء مع أصدقائنا - فهي بالنبر على كلمة أمناء تعني أننا ينبغي أن نكون أمناء بعامّة وفي المقام الأول، وهي بالنبر على كلمة أصدقائنا تعني أننا في حل من الالتزام بالأمانة مع غير أصدقائنا.

(٢) جميع الناس خلقوا سواسية
جميع الناس خلقوا سواسية فإذا كان التشديد أو النبر، على كلمة سواسية فإنها تعني المساواة بين الناس على الإطلاق. أما إذا كان التشديد على كلمة خُلِقُوا فقد توحى بضدها. أي بأن جميع الناس ليسوا الآن سواسية. بذلك يتيح النبر للناطق أن يرمي إلى السامع باستدلال معين ثم يتنصل منه فيما بعد ويذكر أنه قال ذلك؟
(الاقتراسات المنتزعة من سياقها النبر على عبارات أو فقرات من سياق أعم) يلحق بعض المناطق تلك الاقتباسات بالنبر، باعتبار أن الاجتزاء أو الاقتباس المثبت من سياقه يغير الارتكاز على نحو مضلل بينما يعده البعض مغالطة التباس منفصلة باعتبار أن ما يفعله فقدان السياق هو أكبر من ذلك: إنه السماح بعودة

⁴³ (1) عبد الرحمن بدوي: المنطق الصوري والرياضي، الطبعة الخامسة وكالة المطبوعات الكويت. ١٩٨١، ص ٢٤٩

الغموض الطبيعي للكلمات لكي يؤكد نفسه. ذلك أن السياق، مثلما ألمحنا من قبل هو قوام المعنى ومحدد القصد ومانع الالتباس وفي غياب السياق يختلط حابل المعنى بنابله، ويمكن للمغالط أن يأسر ما شاء من المقاطع السائبة ويرتكز عليها ويحملها أي. معنى يريد!

أمثلة:

(١) في الحملة الانتخابية عام ١٩٦٦ ادعى الجمهوريون أن الجور، نائب الرئيس. قد قال ليس هناك صلة مؤكدة بين التدخين وسرطان الرئة. وإنه لقائلها غير أن سياق عبارته كالتالي بعض علماء شركات الدخان سوف يدعون بصفاقة أن ليس هناك صلة مؤكدة بين التدخين وسرطان الرئة.. غير أن الأدلة الراجحة المقبولة لدى الأغلبية الساحقة من العلماء تقول: نعم، التدخين يسبب سرطان الرئة.

(٢) في ظهر كتابه الأخير ادعى المؤلف فوسيدال أن سيدني بلومثال يقول عنه: يعتبره الكثيرون أنه صحفي جيله: وهي عبارة منتزعة من سياق ينتقد فيه بلومثال المفكرين المحافظين ويقول قاصداً تسفيهم بمثال بين اليمينيين المحافظين فإن واحداً مثل فوسيدال يعتبره الكثيرون أنه صحفي جيله!

(٣) في إعلان للدعاية تخفيضات تصل إلى ٩٠٪ (مع تكبير ٩٠٪ وتصغير تصل إلى أما إذا استعرضت السلع فسوف تجد أن ما وصل تخفيضه إلى تسعين بالمائة هو جانب لا يُذكر من السلع، بينما الغالبية العظمى من التخفيضات هي أقل كثيراً من ذلك. (4) حتى الصدق الحرفي يمكن أن يُستخدم للخداع بالنبر: كان قبطان إحدى السفن ممتعضاً من معاونه الأول الذي كان مخموراً على الدوام أثناء العمل فجعل يكتب كل يوم تقريباً بسجل الأداء المعاون سكران اليوم. فلما تولى المعاون

عملية التسجيل إذ كان القبطان مريضاً، فقد ثأر لنفسه وكتب في السجل القبطان
غير سكران اليوم!
(5) يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة فويل للمصلين.

ألوان أخرى من النبر

يعرف الموسيقيون وقائدو الأوركسترا أننا لو غيرنا الارتكازات في العزف لخلقنا
لحنين مختلفين ويعرف التشكيليون أننا لو غيرنا الارتكازات في اللوحة لخلقنا
دلالتين مختلفتين والنبر في الشعر أيضاً يسمى ارتكازا **letus** إذ تتميز بعض
المقاطع عن بعض بالشدة أو اللين الارتفاع أو الانخفاض ويكون ذلك ناشئاً عن
احتشاد الجهاز الصوتي عند إخراج بعض المقاطع دون بعض. وفي عروض الشعر
العربي يضطلع النبر بدور مهم ما زال قيد الدراسة والبحث. وقد قدم الدكتور
شكري عياد مشروع دراسة علمية بعنوان موسيقى الشعر العربي أفاض فيها في
تبيان تأثيرات النبر على الوقع الموسيقي للشعر (١). ويذهب الدكتور محمد النويهي في
كتابه قضية الشعر الجديد إلى أن النبر يمكن أن ينشئ نظاماً جديداً للعروض
العربي. مثال ذلك أن في العروض العربي بحراً شديداً الارتباط بنظام النبر والتأثر به،
وهو بحر المتدارك أو الخبب فالنبر يلون الإيقاع في بحر الخبب ويخرجه من أسر
النظام الكمي الدقيق ويمضي الدكتور النويهي إلى أبعد من ذلك فيقول أن هذا البحر
ينقسم إلى قسمين عظيمين يكاد كل منهما يكون بحراً مستقلاً إذا استمعنا إلى
النظام النبري الغالب فيه.⁴⁴

⁴⁴ (١) د. شكري محمد عياد: موسيقى الشعر العربي دار المعرفة، القاهرة، يوليو ١٩٦٨

وفي المذاهب والأيدولوجيات تقوم الأولويات مقام النبر بمعنى أننا لو غيرنا ترتيب الأولويات في مذهب أو عقيدة لخرجنا بمذهب آخر وعقيدة أخرى من حيث النتائج والأثر. يعرف ذلك كثير من الأيدولوجيين حتى ليذهب بعضهم إلى أن إصلاح مذهب أو عقيدة ربما تطلب تغيير الأولويات دون مساس بجوهر أي مفهوم فرعي بحد ذاته!

وفي المذاهب والأيدولوجيات تقوم الأولويات مقام النبر بمعنى أننا لو غيرنا ترتيب الأولويات في مذهب أو عقيدة لخرجنا بمذهب آخر وعقيدة أخرى من حيث النتائج والأثر يعرف ذلك كثير من الأيدولوجيين حتى ليذهب بعضهم إلى أن إصلاح مذهب أو عقيدة ربما تطلب تغيير الأولويات دون مساس بجوهر أي مفهوم فرعي بحد ذاته.

السلّاح السّابع والعشرون

مغالطة التركيب والتقسيم

division and composition

تتمثل مغالطة التركيب والتقسيم في الانتقال غير المشروع من خصائص الكل إلى خصائص أجزائه المكونة (تقسيم (division)، أو الانتقال، على العكس، من خصائص المكونات إلى الكل (تركيب (composition) إنها لـ نقلة خاطئة تخرق قواعد الاستخدام اللغوي والمنطقي السليم أن تنسب صفات الكل إلى الأجزاء أو في الاتجاه المقابل، أن تنسب صفات الأجزاء إلى الكل بوصفه كلا ذلك أن خصائص الكل (بوصفه كلا) وخصائص الجزء (إذ يُفرد على حدة ليست دائماً بالشيء الواحد، ولا ينبغي أن نتوقع، تطابقها في جميع الأحوال.

مغالطة التركيب composition

هي مغالطة إضفاء صفات الجزء على الكل. يقع المرء في مغالطة التركيب حين يذهب إلى أن ما يصدق على أفراد فئة ما أو أجزاء كل ما يصدق أيضاً على الفئة (معتبرة كوحدة واحدة) أو على الكل بوصفه كلاً.

ألا تشهد كل يوم مدرباً رياضياً يستورد من الخارج والداخل، خيرة اللاعبين وأعلامهم سعراً، ويشكل منهم فريقاً كل أفرادهم نجوم متألّئة، فإذا بفريق الأحلام هذا يفشل في كل المسابقات فشلاً مستغرباً، لا تفسره مهارات لاعبيه ونجوميتهم ذلك أن الفريق هو الكل العضوي المتألف وليس المجموع الجبري لأعضائه.

يعرف ذلك أيضًا قائدو الأوركسترا المتمرسون فقد تضم الأوركسترا أمهر العازفين قاطبة ثم لا تتألف منهم فرقة ناجحة ربما لأن كل عازف من هؤلاء يكون مأخوذًا أكثر مما ينبغي بعرض براعته بحيث لا يأتي النغم الكلي وحدة متسقة.

كذلك هو الحال في ميادين القتال فقد يعن لقائد عمليات خاصة أنه حين يضم في فوجه أقوى رجال الجيش جميعًا يستوي له أقوى فرق العمليات غير أن قوة الفوج تعتمد على عوامل أخرى غير قوة كل جندي على حده تعتمد على انسجام الأداء وسرعته، والروح المعنوية للفريق وقدرته على العمل تحت أصعب الظروف وأقل الإمدادات.

تكمن المغالطة هنا في عدم القدرة على إدراك أن الجماعة كيان قائم بذاته ومتميز عن أعضائه، ويتصف من ثم بخصائص قد لا تنطبق على الأفراد. ومهما تقدم من بيينة لإثبات جودة هؤلاء الأعضاء، كل على حدة، فإن هذه البيئية غير ذات صلة حين يتعلق الأمر بتقييم الجماعة.

وكثيرًا ما نشهد في حياتنا الواقعية أمورًا تصدق على الأفراد، أو قطاعات من الأفراد، غير أنها لا تعود كذلك إذا توسعنا فيها لتشمل الجماعة بأسرها: خذ الدعم الحكومي كمثال تُدعم الحكومة الحبوب فيستفيد المزارعون، وتدعم الجلود فيستفيد منتجو الجلود.. وهكذا من التسرع رغم ذلك أن تمد تقديرنا الاستقرائي **tion extrapolation** ونقول أن الاقتصاد كله حقيق بالفائدة إذا دعمنا جميع المنتجات ذلك أن المزارعين ومنتجي الجلود لا يستفيدون إلا إذا كانوا ضمن فئة صغيرة تستفيد من الدعم على حساب كل فرد آخر. فإذا ما امتد المبدأ ليشمل الجميع

فإن كل فرد ينال الدعم، وكل فرد يدفع الضرائب للحكومة لكي تقدم الدعم وكل فرد من ثم يخسر الكثير مما يصب في جيب البيروقراطية التي تدير هذه التحويلات! حين تنعم النظر إلى مفهوم الـ Whole نجد لدينا صنفين من الكل هناك الكل البنائي أو التركيبي (whole structured أي الكل المركب من أجزاء مثل: الآلة فريق الكرة العمل الروائي.. إلخ، وهو بالطبع أكثر من مجموع أجزائه. وهناك أيضا الكل غير التركيبي unstructured whole أو الكل التراكمي، وهو كومة من الوحدات أو العناصر التي تؤلف هذا الكل. في هذه الحالة يكون الكل هو مجرد⁴⁵ مجموع عناصره لا أكثر. مثال ذلك حبات الفول في العلبة أو حبات الرمل في حفنة الرمل أو النسخ المفردة في الرزمة وفقا لهذا التقسيم لمفهوم الكل يمكننا أيضا تصور صنفين من مغالطة التركيب

(١) مغالطة الانتقال غير المشروع من خصائص الأجزاء إلى خصائص الكل بوصفه كلاً. مثال ذلك أن نقول كل جزء من أجزاء هذه الآلة خفيف الوزن إذاً هذه الآلة

⁴⁵ وفقا لـ نظرية الأنظمة العامة general systems theory ينطوي العالم على علاقات متبادلة بين جميع الظواهر واعتماد متبادل بين جميع الأشياء فالكانات الحية والمجتمعات والأنساق البينية الكبرى كلها أنساق أو أنظمة تتراتب في هيئة بنيات متعددة المستويات، يتكون كل مستوي من أنظمة تحتية، كل نظام تحتية هو كل بالنظر إلى أجزاءه وهو جزء بالنظر إلى النظام الأعلى الذي يندرج فيه. هكذا تجتمع الذرات فتكون جزيئات، وتتحدد الجزيئات فتكون بلورات أو لتكون في الأحياء بعضيات (أعضاء الخلية)، والتي تتحد لتكون الخلايا. ومن اجتماع الخلايا تتكون الأنسجة والأعضاء التي ترتبط معا لتكون الأجهزة المختلفة ومن تضافر الأجهزة يتشكل في النهاية الكائن العضوي (الإنسان...). ومن أفراد البشر تتكون الأمم، ويمضي التراتب صعوداً فتتكون الأنظمة الأعلى التي تضم معا مكونات حية وغير حية. وتشمل الأنساق البينية والكواكب والأنظمة الشمسية والمجرات.. إلخ.

الأنظمة الأكثر تعقيداً، والتي تقع على مستوي أعلى في التراتب، خصائص لا يمكن وصفها بالصور المستخدمة في وصف مكوناتها أو أنظمتها التحتية الواقعة على مستوي أدنى، دون إغفال جوانب هامة من تلك الأنظمة. مثل هذه الخصائص الجديدة التي تبرز أو تنبثق في التركيبات أو الأنساق الأكثر تعقيداً تسمى الخواص الانبثاقية emergent properties ويتعبّر أبسط حين تجتمع بعض المكونات لتكون نظاماً (نسقاً) تبرز لهذا النظام الأعقد صفات جديدة لا يمكن التنبؤ بها بشكل كامل (في مرحلتنا الراهنة من العلم على الأقل من خلال صفات مكوناتها..).

هكذا تلتفتنا نظرية الأنظمة إلى حقيقة ما تفقنا تواجها على الدوام وهي أننا قلما يتسنى لنا أن نستنبط خواص مفردات أكثر تعقيداً من خواص مكوناتها. فخواص الماء مثلاً (كالبسيولة والميوعة والحمول والتوتر السطحي) هي خواص لا تشبه من قريب أو بعيد خواص الأوكسجين أو الهيدروجين. وهكذا تتجلي لنا مزالق النزعة الرديئة الاختزالية reductionism في أوضح صورة ذلك أن أنساق الطبيعة تنطوي على جدة novelty حقيقية، وأن للمستوي الأعلى من مستويات الوجود صفات جديدة وقوانينها الخاصة التي يجب أن نتوجه إليها مباشرة ونقابلها على أرضها وتدرسها بحقها الشخصي (عادل مصطفى أنثوية العلم. مجلة سطور القاهرة، العدد ٩٧، ديسمبر ٢٠٠٤، ص ٨٥).

خفيفة الوزن أو أن نقول كل مشهد في هذه المسرحية متقن فنياً، إذاً هذه المسرحية متقنة فنياً، أو أن نقول كل قطعة من الأسطول جاهزة للقتال، إذاً الأسطول جاهز للقتال.

(٢) مغالطة الانتقال غير المشروع من خصائص الأفراد أو العناصر إلى خصائص الفئة الكلية التي تضم هذه العناصر. مثال ذلك أن نقول الباص يستهلك بنزيناً أكثر من السيارة الخاصة، إذاً الباصات (كفئة) أكثر استهلاكاً للبنزين من السيارات.

بوسعنا أن نرد هذا الصنف من مغالطة التركيب إلى الخلط بين الاستعمال الإفرادي **distributive** والاستعمال الجمعي **collective** للحدود العامة أو الكلية. الحق أننا نستخدم أحياناً الأسماء العامة، أو حتى كلمة كل نفسها، ونقصد بها كل فرد من الفئة معتبراً على حدة ونستخدمها أحياناً أخرى وتعني بها الفئة ككل. نعم. الباصات تستهلك بنزيناً أكثر من السيارات الخاصة إفرادياً **isatributively** باعتبار كل باص وكل سيارة على حدة، أما من الوجهة الجمعية **collectively** فالسيارات الخاصة أكثر استهلاكاً بكثير نظراً لكثرتها العددية، تكمن المغالطة هنا في القول بأن ما يمكن إسناده إلى اللفظة الكلية على نحو إفرادي يمكن إسناده إليها أيضاً على نحو جمعي.

متى يكون الانتقال من خصائص الأجزاء إلى خصائص الكل مشروعاً؟
الحق أن الانتقال بين خصائص الأجزاء وخصائص الكل يكون مشروعاً في كثير من الأحيان (وربما في أغلبها). إنما نهدف من تحليل المغالطات أن تضبط تفكيرنا في جميع الأحوال، وأن نقف على الأساس المنطقي الذي يجعل نقلتنا الاستدلالية

صحيحة ويمنعنا من النقلات الخاطئة في التأمل وفي الجدل انظر إلى الأمثلة التالية وجميعها صائبة في الانتقال من خصائص الأجزاء إلى خصائص الكل:

جميع أجزاء هذا الكرسي بيضاء

إذاً هذا الكرسي أبيض

جميع أجزاء هذا الجلباب قطنية

إذاً هذا الجلباب قطني

كل جزء من هذه الآلة حديدي

إذاً هذه الآلة حديدية

ما الذي يجمع بين هذه الخصائص أبيض للكرسي، قطني للرداء، حديدي

للآلة، ويجعل الانتقال مشروعاً من الجزء إلى الكل؟

يردنا هذا السؤال إلى تقسيم للخصائص من حيث كونها

- مطلقة أو نسبية

معتمدة على البنية أو مستقلة عن البنية

الخصائص المطلقة هي التي لا تنطوي على مقارنة صريحة أو ضمنية، بشيء آخر، أو

بمعيار أو محك. مثال ذلك أسماء الألوان، أو الخامات المصنوع منها شيء ما أو

الصفات المتعلقة بالشكل أو الحقائق الثابتة مثل قابلية الاشتعال أو السمية أو

قابلية

الأكل.. إلخ. أمثلة الخصائص المطلقة أبيض أحمر، قطني دائري، مربع، سام، قابل

للاشتعال...

الخصائص النسبية هي التي تنطوي على مقارنة صريحة أو ضمنية، بشيء

آخر، أو بمعيار ما، مثل وزن الشيء ومثل المقاسات (الطول والعرض والعمق والحجم... إلخ)، ومثل القوة السعر، صفات الشخصية المظهر... إلخ.
الخصائص المستقلة عن البنية: **structure-independent properties**
مثالها

أخضر، نحاسي، ثقيل خفيف قوي
الخصائص المعتمدة على البنية: **structure-dependent properties** مثالها
جيد رديء مثلث، مربع، قوي قابل للأكل..
خلص بعض المناطق إلى أن الانتقال بين صفات الكل وصفات الجزء لا تكون
مشروعة إلا في حالة الخصائص المطلقة المستقلة عن البنية، وفيما عدا ذلك من
الخصائص يكون الانتقال عرضة لخطأ التركيب والتقسيم.

أمثلة أخرى لمغالطة التركيب
جميع أجزاء هذه الآلة خفيفة الوزن
إذاً هذه الآلة خفيفة الوزن
- جميع مكونات هذا العقار رخيصة
إذاً هذا العقار رخيص

كلا العددين ٣،١ هو عدد فردي

٣،١ هما كل أجزاء العدد ٤

إذاً العدد ٤ هو عدد فردي

الذرات لا لون لها

الكرة مكونة من ذرات

إذا الكرة لا لون لها
الصوديوم والكلور كلاهما سام للإنسان.
إذا كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) سام للإنسان
- الهيدروجين غاز قابل للاشتعال، والأكسجين غاز يساعد على الاشتعال إذا المادة
المكونة من اجتماعهما (الماء) ينبغي أن تكون غازًا هائل الاشتعال
أعرف أنك تحب الحليب، وتحب التمر، وتحب السمك
وقد خلطها لك جميعًا في هذا الطبق الذي تشتهيته
- الفيل يأكل أكثر مما يأكله الفأر أضعافا مضاعفة
إذا الفيلة (كفئة) تأكل أكثر مما يأكله جميع الفئران على الأرض
القنبلة النووية أكثر تدميرًا من القنبلة العادية
إذا القنابل النووية التي ألقيت في الحرب العالمية الثانية خلقت دمارًا أكثر مما
خلفته جميع القنابل الأخرى.
- كل عضو في المحكمة العليا لديه تحيزاته الشخصية
إذا قرارات المحكمة ككل هي النتاج المحتوم لهذه العناصر الشخصية (لاحظ أن
فكرة القرارات الجمعية ذاتها هي أن تجمع المعرفة يمهد لحكم أقرب إلى الصواب من
حكم أي عضو واحد من المجموعة إذ يفكر بمفرده)
أفاد أحد أعضاء المجلس بأن فرض تعريفه على اللحوم سوف يفيد منتجي
اللحوم، وفرض تعريفه على الفحم سوف يفيد عاملي المناجم، وفرض تعريفه
على لعب الأطفال سوف يفيد منتجي اللعب، وبالتالي فإن فرض تعريفه على كل
السلع سوف يفيد منتجيها، وبالتالي سوف يفيد المجتمع ككل (لاحظ أن جميع

المنتجين هم أيضا مستهلكون، وبالتالي فإن فرض تعريفه على كل شيء قد يكلف الناس إجمالياً، أكثر مما يفيدهم. كما أنه يفضي إلى مضاعفات وخيمة على التجارة الدولية وعلى الإنتاج المحلي.

- جميع أجزاء هذا الشكل مثلثة
إذاً هذا الشكل مثلث!

مغالطة التقسيم

division

مغالطة التقسيم هي ببساطة، مقلوب مغالطة التركيب أو ظلها أي إضفاء خصائص الكل على المكونات، أو الانتقال غير المشروع من خصائص الكل إلى أجزائه المكونة. يقع المرء في هذه المغالطة حين ينسب إلى أفراد جماعة شيئاً لا يصدق إلا على الجماعة كوحدة، أو حين يظن أن ما يصدق على الكل لا بد له من أن يصدق أيضاً على أجزائه.

يمكننا تصنيف هذه المغالطة أيضاً، وفقاً لتصنيف مفهوم الكل إلى كل تركيبي بنيوي وكل تراكمي غير بنيوي، إلى نوعين:-

(1) مغالطة الانتقال غير المشروع من خصائص الكل بوصفه كلاً إلى خصائص أجزائه المكونة مثال ذلك أن تقول: هذه الآلة ثقيلة، أو معقدة أو ثمينة، إذاً هذا الجزء أو ذاك من الآلة هو بالضرورة ثقيل (أو معقد أو ثمين). أو أن تقول أن سكن الطلاب ضخم جداً، إذاً غرفة هذا الطالب المقيم في هذا السكن لا بد من أن تكون غرفة كبيرة.

(٢) مغالطة الانتقال غير المشروع من خصائص الفئة الكلية إلى خصائص الأفراد أو العناصر المكونة لهذه الفئة مثال ذلك أن تقول: أن طلاب الجامعة يدرسون الطب والهندسة والقانون والأسنان والعمارة، إذاً هذا الطالب الجامعي أو ذاك يدرس الطب والهندسة والقانون والأسنان والعمارة ذلك أن طلاب الجامعة من الوجهة

الجمعية **collectively** يدرسون فعلاً كل هذه الأفرع، غير أن من الخطأ أنهم إفرادياً **distributively** يدرسون كل هذا. وكثيراً ما تبدو الحجج المعتمدة على هذه المغالطة شبيهة جداً بالحجج الصائبة، وذلك لأن من الحق أن ما يصدق إفرادياً على الفئة الكلية يصدق أيضاً على كل عضو فيها إذا كانت الجماعة من مثلاً هم من الأطباء، فمن البين أن هذا العضو أو ذاك في هذه الفئة هو (بالضرورة طبيب) ومن ثم ينبغي التفتن إلى المغالطة الخفية التي تنتقل من صفة تصدق جمعياً على فئة كلية وتلصقها بكل فرد من أفراد هذه الفئة مثال ذلك: (التعليم في الأردن رفيع المستوى، إذاً هذا الخريج الأردني رفيع المستوى) كثيراً ما تستخدم مغالطة التقسيم لجلب شرف شخصي إلى حوزتنا بفضل انتمائنا لفئة تستحق التقدير. مثال ذلك أن أقول لك: المصريون نوابغ في الطب منذ أقدم العصور، إذاً دع لي هذا المريض وكن مطمئناً، وكثيراً ما تستخدم بنفس القياس لجلب الخزي إلى مناوئنا بسبب انتمائهم لفئة موصومة بشيء معين.

أمثلة أخرى لمغالطة التقسيم

العدد 4 عدد زوجي

٢،١ هما كل أجزاء العدد ٤

إذاً ٢،١ هما عددان زوجيان

الكرة زرقاء

إذاً الذرات التي تكون الكرة هي أيضاً زرقاء

الخلية الحية هي مادة عضوية

إذاً المواد الكيميائية المكونة للخلية لا بد من أن تكون أيضاً مادة عضوية.

- كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) مادة قابلة للأكل
- إذاً كل من الكلور والصوديوم هو مادة قابلة للأكل
- القنابل التقليدية أحدثت دماراً أكثر مما أحدثت قنبلتا هيروشيما وناجازاكي
- في الحرب العالمية إذاً القنبلة التقليدية أشد تدميراً من القنبلة النووية.
- هذا الجدار القرميدي طوله عشرة أقدام
- إذاً قوالب القرميد في هذا الجدار طولها عشرة أقدام.
- المخ قادر على التفكير والوعي
- إذاً كل خلية مخية قادرة على التفكير والوعي.
- مجلس الوزراء متردد في اتخاذ القرار
- إذاً الوزراء مترددون في اتخاذ القرار. (لاحظ أن المجلس، معتبراً ككل، قد
- يكون متردداً لا لشيء إلا لأن نصف أعضائه يرون بحسم عكس ما يراه
- النصف الآخر بحسم مثله)
- يستطيع النمل أن يدمر شجرة
- إذاً هذه النملة تستطيع أن تدمر شجرة
- الشعراء في مصر ينقرضون
- إذاً الشاعر مسعد عبد العاطي ينقرض.

إثبات التالي

affirming the consequent

العبارة الشرطية **conditional** في العبارة التي تضع شرطاً **condition** (يسمى المقدم **antecedent** ثم تمضي) في التالي **consequent** (لتحدث عما يلزم عن هذا الشرط، أي لتحدث عما يكون عليه الحال إذا ما تحقق هذا الشرط. وفي مغالطة إثبات التالي يتم الانتقال في الاتجاه العكسي، من إثبات التالي إلى إثبات المقدم.

في كتابه المنطق الصوري والرياضي يقول د. عبد الرحمن بدوي يقع المرء في هذه الأغلوطة حينما يعتقد أن الشرط ولازمه (أي المقدم والتالي) في القضية الشرطية منعكسان، أي أن بوسعه أن يعكس القضية فيمضي من التالي إلى المقدم.

مثلاً هو بعضي من المقدم إلى التالي: كأن يقول

إذا كان الحكم النيابي صالحاً لمصر لبقى فيها مدة طويلة

وما دام الحكم النيابي قد يبقى في مصر مدة طويلة

إذاً هو حكم صالح لمصر وترتكب هذه الأغلوطة في كل حالة نعتقد فيها أن نظرية ما صحيحة لأن نتائجها التي لا بد أن توجد إذا كانت صحيحة هي نتائج موجودة - فنظن أن التحقيق **tion Verifica** كاف للبرهنة على صحة النظرية والاستنتاج في هذه الأحوال لا يكون صحيحاً إلا في الحالة التي نجزم فيها بأن هذه

النظرية وحدها هي التي تفسر حدوث هذه النتائج. وفيما عدا ذلك لا يكون الاستنتاج مفيداً لليقين⁴⁶.

: يرى البعض أن هذا في حقيقة الأمر هو أساس المنهج العلمي: فإذا كانت النظرية العلمية أيلزم عنها التنبؤ ب، فإن كل ملاحظة صادقة للتنبؤ ب تزيد من احتمال صدق النظرية أ

إذا صدقت النظرية أ لوجد التنبؤ ب

التنبؤ ب موجود

إذاً النظرية أ صادقة

وهو كما ترى مأزق حقيقي تقع فيه نظرية التحقيق **verification** (أو التأييد **confirmation**) فمهما جمعنا من ملاحظات عن ب التي تلزم عن أ فسوف يظل هناك احتمال قائم أبداً بأن تأتي الملاحظة القادمة مكذبة للنظرية أ.

والآن انظر إلى الحجة التالية:

إذا كان شيء ما إنساناً فهو إذاً فان

سقراط إنسان

إذاً سقراط فان

إنها بالطبع حجة صائبة تماماً ولا غبار عليها البتة - ولكن انظر إلى

الحجة القادمة التي يتم فيها عكس القضية والمضي من إثبات التالي إلى البرهنة

على المقدم:

إذا كان شيء ما إنساناً فهو فان

⁴⁶ () عبد الرحمن بدوي : المنطق الصوري والرياضي، ص ٢٤٦.

سالي فانية

إذا سالي إنسان

وهنا يتبدي الخطأ بوضوح، فالحق أن سالي قد تكون قطعة، فانية بكل تأكيد.
ولكنها ليست إنساناً. وانظر إلى الحجة التالية:

إذا كنت أنا أطول من سلمى، لكنت سلمى قصيرة

سلمى قصيرة

إذا أنا أطول من سلمى

ومن الشائق حقاً أن دراسة أجريت على الأشخاص غير المدربين في المنطق قد
كشفت أن أكثر من ثلثي المشاركين يقبلون مثل هذه الحجج المغلوطة⁴⁷ إنها حجج
تتشبه بالحجة الأولى الصحيحة التي صورتها:-

إذا كان أ كان ب، وما دام هناك أ، إذاً هناك ب

أو بتعبير آخر: إذا أ إذاً ب

أ

إذاً ب

غير أنها تختلف عن هذا اختلافاً مهماً، لأن صورتها كالاتي

إذا كان أ كان ب، وما دام هناك ب، إذاً هناك أ

أو بتعبير آخر: إذا أ إذاً ب

ب

إذاً أ

⁴⁷ Stephen Law: The Philosophy Gym, Headline. Book Publishing, London, 2003, p. 275

فالمشكلة هنا هي وجود افتراض مضمّر مفاده أن أ فقط هي التي يلزم عنها ب وهو افتراض لم يرد في القياس. لذلك إن قياس الحجة بترك الاحتمالات مفتوحة لأشياء أخرى يلزم عنها ب. يمكن أن يُترجم هذا إلى الصورة التالية:

إذا أ إذا ب

إذا ج إذا ب

ب

إذا أ

وهو كما ترى قياس بين الخطأ، ولا يصح عكس القضية الشرطية إلا إذا أخذت صورة: إذا وفقط إذا، إذا ب **if, and only if, A then B**

يندر أن ينخدع أحد بهذه المغالطة حين تأتي في صورة صارخة فجّة، غير أنها قد تخفى على أحد بهذه المغالطة حين تأتي في صورة صارخة فجّة، غير أنها قد تخفى على أظن الناس عندما تأتي متسرّبة بنصوص جليّة أو مشحونة بعواطف قويّة. وكثيراً ما تصادف هذا الخطأ المنطقي في الإعلانات التلفزيونية والخطب والسياسة. إذا كنت فتى رياضياً جذاباً قوي الشخصية فسوف ترغب بشراء سيارة BMW

وباقى القياس مضمّر تقديره.

أنت ترغب بشراء سيارة بي أم دبليو

أنت، إذا فتى رياضي جذاب قوي الشخصية

ومن الثابت المسجل تاريخياً أن كلا الطرفين في المناقشات عن الإرهاب في بريطانيا قبل تفجيرات ٧ يوليو ٢٠٠٥ كانا يستخدمان هذه المغالطة. فقد كان بعض أعضاء

الحكومة البريطانية يُحاج بأن القوانين البريطانية المضادة للإرهاب كافية لمنع أي هجمات إرهابية، ومن حيث أنه لم تحدث هجمات إرهابية في بريطانيا، إذاً القوانين البريطانية المضادة للإرهاب كافية:

إذا كانت القوانين المضادة للإرهاب كافية فلن تحدث إذاً

هجمات إرهابية

لم تحدث هجمات إرهابية.

إذاً القوانين المضادة للإرهاب كافية.

هكذا استخدم أعضاء الحكومة البريطانية حجة إثبات التالي **affirming the**

consequent، والتي تبين خطأها في ٧ يوليو ٢٠٠٥. أما الطرف الآخر، أنصار

الحريات المدنية، فقد حاجوا بأنه لا حاجة لبريطانيا إلى قوانين جديدة، لأن

الإرهابيين لا يستهدفون سوى الولايات المتحدة. وكان تبريرهم لذلك هو أنه لو كان

الإرهابيون معنيين بمهاجمة بريطانيا لحدثت هجمات إرهابية، وهو ما لم يحدث:

إذا كان الإرهابيون معنيين ببريطانيا لحدثت هجمات إرهابية

لم تحدث هجمات إرهابية .

إذاً الإرهابيون غير معنيين ببريطانيا

وهو أيضاً مثال لـ إثبات التالي **affirming the consequent** الذي تبين

خطؤه في

السابع من يوليو ٢٠٠٥.

أمثلة أخرى لمغالطات إثبات التالي

- إذا كنت في الإسكندرية فأنا في مصر.

أنا في مصر

إذا أنا في الإسكندرية.

- إذا كانت الطاحونة تلوث مياه النهر لزادت حالات موت الأسماك.

حالات موت الأسماك في ازدياد.

إذا الطاحونة تلوث مياه النهر (من الواضح أن موت الأسماك يمكن أن يحدث

لأي سبب آخر، كاستخدام المبيدات الحشرية).

- أنت تكذب في قولك، وأنت لا تجيد الكذب فيحمر وجهك دائما عندما ترتكبه.

وها هو وجهك متورد وأنت تتحدث.

إذا سقط المطر لا بتل الرصيف.

الرصيف مبتل

إذا لا بد من أن يكون المطر قد سقط (قد تكون البلدية قد غسلت الرصيف

للتو)

- إذا كان ستيفن كينج هو الذي كتب الأناجيل لكان كاتباً رائعاً

ستيفن كينج كاتب رائع

إذا ستيفن كينج هو الذي كتب الأناجيل

- جميع الفصامين يتصرفون بطريقة غريبة.

هذا الشخص يتصرف بطريقة غريبة.

إذا هذا الشخص فصامي.

- إذا كان هذا المتهم أهلاً للمحاكمة

فسوف يجب بالتأكيد عن ٨٠٪ على الأقل من أسئلة هذا الاختيار

هذا المتهم أجاب عن ٨٧٪٪ من أسئلة الاختيار.
إذاً هذا المتهم أهل لمحاكمة (بالطبع قد يكون فاقدا للأهلية لدواع أخرى لا
يحصرها الاختبار).

- إذا حضرنا مباريات الكرة بجميع مستوياتها لقضينا على ظاهرة الشغب في
الملاعب

القضاء على ظاهرة الشغب في الملاعب أمر مرغوب
إذاً حظر المباريات جميعاً أمر مرغوب
- إذا حضرنا كل علاقة جنسية لقضينا على مرض الإيدز
القضاء على مرض الإيدز أمر مرغوب
إذاً حظر العلاقات الجنسية أمر مرغوب
- إذا كان لسالي جراء فإنها بالضرورة كلبة أنثى
سالي كلبة أنثى
إذاً سالي لها جراء

إنكار المقدم

the antecedent denying

قلنا إن القضية الشرطية هي العبارة التي تضع شرطاً (يسمى المقدم **antece dent**) ثم تمضي في (التالي **consequent**) لتتحدث عما يكون عليه الحال إذا ما تحقق هذا الشرط، أي ما يلزم عن هذا الشرط. وفي مغالطة إنكار المقدم تقرر. المقدمة الأولى عبارة شرطية ثم تقوم المقدمة الثانية بإنكار مقدم هذه العبارة الشرطية (أي إنكار اللازم الذي يترتب على الشرط). وبعبارة أخرى: يقع المرء في مغالطة إنكار المقدم إذا قام في قضية شرطية ينفي المقدم واستنتج من ذلك نفي التالي، كما في المثال الآتي:

إذا كنت نائماً فإن عيني تكون مغمضة

أنا لست نائماً

إذاً عيني ليست مغمضة

وصورته:

إذاً إذا ب

لا أ

إذاً لا ب

إن حقيقة أن عيني تكون مغلقة أثناء النوم لا تمنع احتمال أن أغلقها وأنا في تمام اليقظة. غير أن هذا النوع من الاستنباط قد يكون خادعاً جداً إذا كان مطموراً في حجة أكثر تعقيداً: وذلك بسبب الخلط بين معنى إذا ومعنى إذا فقط إذا فالحق أن

الحجة السابقة تكون صائبة إذا كانت المقدمة الأولى تقرر أنني لا أغلق عيني إلا عندما أكون نائماً.

يكثر استخدام هذه المغالطة من قبل المحامين، إذ يدعون أن غياب دليل معين هو برهان على براءة المتهم. فإذا اختفى الشخص س. مثلاً، والذي تشير الأدلة إلى أن المتهم قد قام بقتله، فإن المحامي قد يدفع بأنه من دون جثة بالإمكان إثبات القتل. إذا عثر على جثة س فقد يكون موكلي قد قتله

لم يعثر على جثة س

إذاً موكلي لا يمكن أن يكون قد قتل

وفي كما ترى مغالطة يعبر عنها بالمبدأ المأثور

غياب الدليل ليس دليلاً، وإن تكن المغالطة أعقد من ذلك.

أمثلة أخرى لمغالطة إنكار المقدم:

كل الطيور لها أجنحة

الخفافيش ليس من الطيور

(إذاً الخفافيش ليس له أجنحة) (بالطبع كون الطيور جميعاً ذوات أجنحة لا يمنع

أن تكون هناك مخلوقات أخرى، كالحشرات والخفافيش، ذات أجنحة).

- سعيد يلعب الشطرنج دائماً على الغداء يوم الأربعاء.

وبما أن اليوم هو الخميس

إذاً من المحال أن سعيداً يلعب الشطرنج الآن.

(بالطبع لا شيء يمنع سعيداً من أن يلعب الشطرنج في الأيام الأخرى).

إذا كانت السماء تمطر فإن الرصيف يكون مبتلاً.

السماء لا تمطر منذ أسبوع.
إذا الرصيف لا بد من أن يكون جافا.
(بالطبع ليس هناك استبعاد لأن يكون الرصيف قد غسل للتو).
- إذا كنت في الإسكندرية فأنا إذا في مصر.
أنا لست في الإسكندرية
إذا أنا لست في مصر
- كل الطماطم حمراء (إذا كان شيء ما هو طماطم فلا بد من أن يكون أحمر).
هذا ليس من الطماطم
إذا هذا ليس أحمر
- إذا كانت سياساته ناجعة فإن البطالة سوف تنكمش
ولكن سياساته غير ناجعة
إذا البطالة لن تنكمش
(بالطبع قد تكون هناك أسباب تفضي إلى انكماش البطالة رغم سوء
السياسات)
- إذا كان هذا الاختبار قائماً على معايير مخادعة فسوف يكون إذاً معياراً غير
صادق
ولكن المعايير ليست مخادعة
إذاً فالاختبار صادق.

ذنب بالتداعي association by guilt

يقع المرء في هذه المغالطة حين يذهب إلى أن رأيا ما باطل بالضرورة بالنظر إلى معتنقيه، أو أن دعوى معينة كاذبة لا لشيء إلا لأن أناسا يبغضهم يقبلونها ويأخذون بها: فيعتمد إلى رفض الدعوى لأنها مرتبطة في ذهنه بما لا يجب. تستمد هذه المغالطة سطوتها من ميل فطري لدى البشر جميعًا: فالإنسان لا يحب أن يُقرن بمن لا يحب، لكأنما الحق أو الباطل ينتقل بالتداعي association من أصحاب الشيء إلى الشيء، أو من أنصار الرأي إلى الرأي. يتخذ هذا الاستدلال الصورة التالية:

من الثابت أن أناسًا (أنظمة جماعات...) يبغضهم الشخص س يقبلون الدعوى ص
إذا ص كاذبة

غني عن البيان أن هذا استدلال خاطئ فاحش الخطأ:

إن نفور المرء من أن يقرن بمن يبغضهم هو أمر سيكولوجي لا دخل له بصدق القضايا، ولا يبرر رفض أي دعوى. إن سفلة الناس يعتقدون (شأنهم شأن عليتهم) بكروية الأرض: فهل ينال ذلك من هذه الحقيقة؟ أو هل ينبغي أن يسوءنا الاقتران بهم حين نعتقد في هذا الأمر اعتقادهم؟!

كانت المكارثية ذات يوم صيغة خاصة من مغالطة ذنب بالتداعي⁴⁸: إذا كان الشخص، أو المنظمة أو الرأي، يقرن على نحو ما بالشيوعية، وكان الاقتران يعقد من

⁴⁸ عرضنا في مغالطة الاحتكام إلى الجهل ad ignorantiam الرذيلة التي كان يرتكبها السيناتور جوزيف مكارثي، وهي: نقل عبء البينة أو تأسيس الادعاء على عدم وجود أدلة تكذب الادعاء!..

خلال فكرة مشتركة. من ذلك أن دعاة الحقوق المدنية، مثل مارتن لوثر كنج. كانوا يهتمون بالشيوعية، بالنظر إلى أن الشيوعيين يؤيدون، هم أيضا، الحقوق المدنية، ولتبيان هذا الخطأ نعيد صياغة هذه الحجة في القياس التالي:

جميع الشيوعيين من دعاة الحقوق المدنية

مارتن لوثر كنج من دعاة الحقوق المدنية

إذاً مارتن لوثر كنج شيوعي

وهو قياس خاطئ صورياً، وكثير من الأمثلة الأخرى لمغالطة ذنب بالتداعي تقع في نفس الخطأ.

أمثلة أخرى:

(1) كان النازيون دعاة لليوجينيا (تحسين النسل) eugenics

إذاً لا بد من أن يكون تحسين النسل شراً مستطيراً.

(2) كان هتلر نباتياً vegetarian

إذاً النباتية اثم ينبغي اجتنابه

(3) كيف تؤيد ملكية الدولة للصناعات الحيوية؟

ألا تعلم أن ستالين أيضاً كان

يفعل ذلك؟

(4) كيف تضيف الثوم إلى الثريد (الفتة)؟

ألا تعلم أن اليهود أيضاً يفعلون ذلك؟

(5) لم أؤيد أبداً للدكتور حسان لعمادة الكلية

أعرف أنه أجدر المرشحين وأكثرهم كفاءة ونزاهة، ولكن أعرف أيضا أن
الخنزيرين سلمان ومؤنس يؤيدانه ويصوتان له⁴⁹.

⁴⁹ Stephen Law: The Philosophy Gym, Headline. Book Publishing, London, 2003, p. 275

السلّاح الثامن والعشرون

مغالطة التأصيل

fallacy etymological

يوشِكُ هَوَاةٌ قُلٌ وَلَا تَقُلْ أَنْ يُغَادِرُوا النَّاسَ وَهِيَ لَا تَقُولُ وَلَا تَقُولُ
اللغة هي... ما يقوله الناس!

ثمة اعتقاد خاطئ يقر في أذهان الكثيرين مفاده أن المعنى الحقيقي لأي كلمة يجب أن يلتمس في الأصل التاريخي الذي أتت منه الكلمة، أو ما يسمى في اللسانيات بـ التأصيل **etymology** وهو اعتقاد فيه تبسيط مُفرط لطبيعة اللغة ومنشئها وقوانينها المسيرة.

من ذلك أن كلمة فنان تأتي من كلمة فن وهو اللون (في لسان العرب: قال أبو منصور واحد الأفنان إذا أردت بها الألوان فن). قد تلقى هذه المعلومة ضوءاً ما على استخدامنا الحديث لكلمة فن وكلمة فنان، غير أنه ضوء شحيح واهن لا يغني كثيراً غناء في دراستنا لمعنى الفن وفلسفته وتجلياته وتذوقه وتقويمه ووظيفته في الزمن المعاصر والأزمة السالفة وليس ما يمنع أن ينبري متحذلق بتسفيه كل أدب شفاهي مروي، باعتبار أن كلمة **literature** (أدب) مشتقة من الكلمة اللاتينية **litera** التي تعني الحرف الأبجدي (المكتوب).

ولا ما يمنع أن يجبهنا متحذلق آخر بأن التعليم لا ينبغي أن يكون إلزامياً

باعتبار أن كلمة **education** (تعليم) مشتقة من الكلمة اللاتينية **educere** التي تعني يغريه بالكلام بحرية، وقد تفيد معنى الملاطفة والاجتذاب كمقابل للقسر والإرغام يعني ذلك إذاً أن كلمة **prevent** (يمنع) كان ينبغي لها أن تعني يسبق أو يستبق لأنها مشتقة من الكلمة اللاتينية **prae** وتعني قبل وكلمة **venire** وتعني يذهب أو أن كلمة **nice** كان ينبغي أن تكون لفظة ازدراء وقدح لأنها مشتقة من كلمة فرنسية قديمة تعود إلى القرن الثالث عشر وتعني أحمق أو غبي.

إنما يعول مستخدمو اللغة على السياق لاستشفاف المعنى المقصود للكلمة⁵⁰، ولا يفكرون كثيراً في التأصيل **etymology** أي رد الكلمة إلى أصلها التاريخي، والذي قد لا يكون واضحاً على الإطلاق وبخاصة إذا كان مؤسساً على لغة أجنبية أو لغة قديمة بائدة. تتناسى مغالطة التأصيل أن اللغة ليست كيانا كلسياً ثابتاً، وأن هناك تغيرات كثيرة تعترى اللغة منها التغير الصوتي والتغير النحوي، والتغير الدلالي (وهو ما يعيننا في هذا المقام). والتغير الدلالي **semantic change** أنواع عديدة منها ما يعرف بالانحدار الدلالي **semantic deterioration** وهو تغير يلحق بمعنى اللفظة فيكسبها دلالة سلبية، مثال ذلك ما حدث لكلمة **notorious** التي كانت في الأصل تعني مشهور ثم انحدرت دلالتها وصارت تعني مشهور أي مشهور بشيء قبيح وكلمة **dogmatic** التي كانت تعني موقن أو راسخ الاعتقاد وصارت الآن تعني جازم متصلب غير عقلائي في اعتقاده. وتقابل ظاهرة الانحدار الدلالي ظاهرة التحسن الدلالي **amelioration** حيث تكتسب اللفظة دلالة إيجابية أو يزيلها ما كان لها في الأصل من دلالة سلبية. مثال ذلك كلمة **minister** (وزير) فقد

⁵⁰ أو يرجعون إلى التعريف الصريح لرفع الالتباس

انظر تفصيل ذلك في مغالطة الالتباس fallacy of ambiguity

كانت قديماً تعني خادم (وما تزال تُستعمل كفعل بمعنى يسعف أو يعين أو يقدم خدمة). وكلمة nice سالفة الذكر والتي كانت تعني قديماً غبي أو أحمق. وهناك أمثلة أخرى يخطئها الحصر.

كان منهج اللسانيات التاريخية في القرن التاسع عشر- وما قبله يعتمد على تتبع السببية التاريخية التي تفسر- الظاهرة اللغوية بناءً على أسباب تاريخية وكان التأصيل. أي دراسة أصل الكلمات وتطورها هو وسيلتها المفضلة، يشير جون لاينز Lyons. في كتابه اللغة واللسانيات مدخل إلى أن إحدى المدارس الإغريقية في القرن الخامس الميلادي كانت تقول أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة طبيعية وليست اصطلاحية، وأنها اتخذت المنهج التأصيلي سبيلاً لإثبات أن أصل الارتباط بين الدال والمدلول في كلمة ما هو أصل طبيعي وليس اصطلاحياً. وابتاع هذا النهج فإنهم في الواقع يبحثون عن الحقيقة الخافية على الناظر العادي في العلاقة الظاهرة بين الدال والمدلول. وبعد تحليل عميق للتغيرات التي حدثت لمبنى كلمة ما أو لمعناها بغرض اكتشاف أصل الكلمة، ثم، بناءً على ذلك، معناها الحقيقي فإنهم يصلون إلى حقيقة من حقائق الطبيعة.

لقد كانت المسألة المهمة التي أثارها الإغريق والتي تركت بصماتها على الدراسات اللغوية اللاحقة حتى عصرنا الحاضر، تتعلق بطبيعة اللغة ونشأتها. فقد رأى بعضهم، ومنهم أفلاطون أن اللغة ظاهرة طبيعية، وأن الكلمات وأصواتها جزء لا يتجزأ. من المعنى بينما رأى الفريق الآخر، ومنهم أرسطو أن اللغة ظاهرة اجتماعية وأن أصواتها رموز اصطلاحية ليس لها بالمعاني علاقة طبيعية أو مباشرة وقد نشأت عن هذا الاختلاف النظريتان المعروفتان النظرية التوقيفية والنظرية الاصطلاحية

أو (التواضعية)، واللذان امتد الجدل فيهما حتى العصر الحاضر. وقد نشأ عن النظرية الأولى نظريات متعددة عن أصل اللغات جميعاً منها: أن اللغة توقيف ووحى من الله ومنها أن أصل اللغات جميعاً يرجع إلى محاكاة أصوات الطبيعة أو أصوات الحيوانات إلى آخره، ووصل الأمر ببعض إلى أن يقول أن للصوت بحد ذاته قيمة تعبيرية⁵¹ وقد تأثر العرب بكتلتا المدرستين، واتخذ بعضهم مثل ابن فارس في القرن الرابع الهجري، موقف المدافع عن النظرية التوقيفية واتخذ آخرون، مثل ابن جني، النظرية الاصطلاحية، يقول ابن جني أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف كان ابن فارس يستشهد في نظريته التوقيفية بالآية الكريمة وعلم آدم الأسماء كلها: أما ابن جني فيؤول الآية بأن المقصود بكلمة علم هو أقدر أي أن الله أعطى آدم القدرة على الكلام والتسمية وترك له الوضع والاصطلاح بالنسبة للتفاصيل⁵².

51 د/محمد علي يونس مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة طرابلس ليبيا ص ٦٢
د. نايف خرما أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة الكويت، عدد رقم ٩ سبتمبر ١٩٧٨، ص ٩٦

52 المرجع السابق، ص ٩٨

John Lyons, Language and Linguistics: An Introduction, (Cambridge: Cambridge University Press, 1981), p. 55. (...) د محمد محمد يونس على مدخل إلى اللسانيات دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس الجماهيرية الليبية ٢٠٠٤ ص ٦٣

غير أن ما تكشف للتأويلين وسلم به اللسانيون عامة في الوقت الحاضر هو أن معظم الكلمات في معجم أية لغة لا يمكن أن تعزي إلى أصولها. وقد انتكس المنهج التاريخي بعد دعوة فرديناند دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣) إلى الفصل بين الدراسات التزمنية والدراسات التاريخية، وتكريس المبدأ اعتباطية العلامة اللغوية arbitrariness of signs أي (العلاقة الاعتسافية بين الدال والمدلول) علي نحو نهائي حاسم

يقول دي سوسير في محاضرات في علم اللغة العام التي جمعها تلامذته بعد وفاته أن علاقة الدال signifier بالمدلول signified هي علاقة اعتباطية أو تعسفية arbitrary فكلمة أخت مثلاً ليست مرتبطة بأية علاقة باطنة مع السلسلة المتتابعة من الأصوات أ، خ،ت التي تستعمل كدال بالنسبة لهذه الفكرة. إذ يمكن تمثيلها بسلسلة أخرى من الأصوات. والدليل على ذلك هو الفروق القائمة بين اللغات، بل وجود لغات مختلفة: فللمدلول ثور الدال، ث ور في محيط معين EOB،u،f فيما وراءه. فإذا كان الرمز symbol كالأسد الشجاعة والميزان للعدالة) مرتبطاً بمعناه بعلاقة طبيعية لا تنفصم، فإن العلاقة بين الدال والمدلول في العلامة اللغوية لا تقوم على أية رابطة طبيعية

إن المشكلة التي يقع فيها أنصار المنهج التأصيلي هي ما سماه لاينز مغالطة التأصيل **etymological fallacy**، ذلك أنهم يحتجون بأن كلمة ما تعود إلى أصل إغريقي أو لاتيني أو عربي أو غيره ولذا فإن معناها ينبغي أن يكون مطابقاً لما كانت عليه في الأصل. ويبدو زيف هذه الحجة في أن الافتراض الضمني بوجود صلة حقيقية أو مناسبة بين المبنى والمعنى، وهو ما تقوم عليه هذه الحجة، لا يمكن التحقق منه (٥٣). وشبيه بهذا ما يفعله بعض الباحثين عندما يفسرون المعنى الاصطلاحي المفهوم ما بمعناه اللغوي مع أن احتمال ألا يكون المعنى الاصطلاحي مرتبطاً بالمعنى اللغوي أمر وارد. وقد سبق لابن تيمية (٥٧٢٨هـ - ١٣٢٨م) وابن قيم الجوزية (٧٥١هـ - ١٣٥٠م) أن اعترضوا على استخدام أنصار المجاز المنهج التاريخي في التمييز بين الحقيقة والمجاز مع صعوبة التثبت من أصل اللفظ وعدم وجود ما يفيد تاريخياً بسبق أحدهما على الآخر⁵³.

قطيعة مع التقليد اللغوي السائد، ولفت الانتباه إلى أهمية الدراسة الوصفية التي تقتصر على النظر إلى حالات اللغة وضرورة استبعاد العامل التاريخي عند دراسة حالة من حالات اللغة فاللغة عند سوسير هي مجرد نسق أو نظام وتؤدي وظيفتها باعتبارها بنية أو نسقاً لا ينطوي في ذاته على أي بعد تاريخي من ذلك مثلاً أن تاريخ كلمة ما كثيراً ما يكون بعيداً كل البعد من أن يفيدنا في فهم المعنى الراهن لهذه الكلمة.

⁵³ المزيد من التفصيل في هذا الجانب اللغوي الهام انظر كتاب فرديناند دي سوسير علم اللغة العام ترجمة الدكتور يونيل يوسف عزيز بيت الموصل، توزيع الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨

وتبلغ المغالطة التأصيلية مداها حين تعمل أدواتها التاريخية في المصطلح العلمي أو التكنيكي، وتحاول أن تفهم المصطلح الفني المتخصص بمعناه اللغوي الدارج، وهو ما يمكن أن نطلق عليه ابتذال المصطلح **vernacularization**، أن اللفظ اللغوي العادي حين يوضع بين هلالين ويتحول إلى مصطلح علمي، فإنه يفارق داره وينسى ماضيه ويكتسي معنى جديدًا قد لا تكون له أي علاقة بمعناه اللغوي الدارج، وبالتالي لا يجدي نفعًا تنقيبنا عن أصله وفصله ولا يقربنا إلى فهم المصطلح في وضعه الجديد. يقول جاستون باشلار في كتابه المادية العقلانية أن اللفظ عندما يوضع بين مزدوجتين فهو بيرز وتحدد نعمته، أنه يأخذ فوق اللغة العادية نغمة علمية، ما أن يوضع لفظ من ألفاظ اللغة العادية بين مزدوجتين حتى يكشف عن تغير في منهج معرفة تتعلق بميدان جديد للتجربة. وبإمكاننا أن نذهب حتى القول من وجهة نظر الباحث الإستمولوجي أن هذا اللفظ علامة على قطيعة وانفصال في المعنى، وإصلاح للمعرفة⁵⁴.

وبعد: فحين يحاج المرء بأن دعواه صائبة لا لشيء إلا لأن الأصل اللغوي نفسة للكلمة يفيد ذلك - فإنه يقع في ضرب من الاستدلال الدائري **circularity**، وفضلاً عن ذلك فإن افتراض أن الكلمات يجب أن تظل لصيقة بمعناها التاريخي الأول هو افتراض ينطوي على إغفال عبثي للطبيعة الاصطلاحية للغة وتقييد لا مبرر له لنموها وتطورها. إن اللغة لفي صيرورة دائمة وتحول دائم، وهناك ألف سبب يلح على الألفاظ أن تخرج من جلدها وتكتسي معاني جديدة غير ذات صلة بمعناها القديم، وما دامت اللغة في تغير مستمر فمن الطبيعي أن تواكبها في ذلك علوم

⁵⁴ محمد سبيلا وعبد السلام بتعيد العالي اللغة - من سلسلة دفاتر فلسفية نصوص مختارة، الطبعة الثانية، دار توفال للنشر الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٨، ص ٤٦

اللغة المنوط بها رصد الظاهرة اللغوية وضبط حركتها، وأن يكون نهج العلوم اللغوية توترًا محسوبًا بين المعيارية والوصفية: معيارية تحفظ اللغة من التحلل والانهيـار، ووصفية تفتح لها آفاقًا للتطور والارتقاء.

السلح التاسع والعشرون

الاحتكام إلى الجهل

appeal to ignorance؛ amignorati ad

كان جحا غزير الشعر فسأله أحد جلسائه مداعبا كم عدد شعرات رأسك يا جحا؟ فأجابه جحا دون تردد: عددها واحد وخمسون ألفا وثلاثمائة وتسع وستون شعرة. فقال له جليسه متعجبا: وكيف عرفت ذلك فأجابه جحا: إذا كنت لا تصدقني فقم أنت وعددها.

بديهي أن جهل المجلس بعدد شعرات جحا من جراء الاستحالة العملية لعددها، لا يقوم دليلا على أن عددها هو ٥١,٣٦٩ شعرة، إن جحا في هذا السياق يقرر أمرا ويثبت حكما ومن ثم فإن عبء البينة **burden of proof - onus probandi** في ذلك يقع عليه. ومكمن الخطأ هنا هو أن جحا يريد أن يعني نفسه من هذا العبء ويضعه على عاتق جليسه دون وجه حق، ويحمله على أن يؤدي له عملة نيابة عنه!

تفيد مغالطة الاحتكام إلى الجهل **ignoratiam ad** أن شيئا ما هو حق بالضرورة ما دام أحد لم يبرهن على أنه باطل. والعكس أيضا صحيح: أي أن شيئا ما هو باطل بالضرورة ما دام أحد لم يثبت بالدليل أنه حق. في كلا الحالين يؤخذ غياب الدليل مأخذ الدليل، ويتم التذرع بغياب المعلومات التي تثبت شيئا ما كدليل على بطلان

ذلك الشيء، أو الحاجة بأنه ما دام الخصم لا يستطيع أن يدحض دعوى ما فإن هذه الدعوى هي إذاً حق بالضرورة.
الجهل جهل والجهل ليس دليلاً على شيء إلا على أننا نجهل.

تحقيقات مكارثي: مغالطة أربكت أمة!
من يعتذر إنما يتهم نفسه

مثل فرنسي

من أشهر الأمثلة على مغالطة **ignoratiam ad** تلك التحقيقات التي كان يقوم بها السيناتور جوزيف مكارثي **Joseph Carthy** في أوائل الخمسينات من القرن المنصرم في سلسلة من جلسات الاستماع التليفزيونية وجه مكارثي تهمة الشيوعية إلى عدد كبير من الأشخاص الأبرياء في مناخ ارتياحي يُذكر بمطاردة الساحرات **witch hunt** في القرون الوسطى لم تكن تلك الاتهامات قائمة على أساس ولا مستندةً إلى دليل وإن كانت بالغة الضرر شديدة الإيذاء كان مكارثي يظهر في تلك الجلسات حاملاً حقيبة منتفخة بالملفات الخاصة بالمتهمين. غير أنه في معظم الحالات لم يكن يقدم بينة حقيقية، وكان الشخص يتهم على أساس أنه ليس في ملفات مكارثي ما يدحض ميوله الشيوعية عن إحدى تلك الحالات يقول مكارثي في اجتماع مجلس الشيوخ عام ١٩٥٠: ليس لدي معلومات وغيره في هذا الشأن عدا ما ورد في التقرير العام للوكالة من أنه لا يوجد في الملفات ما يثبت أنه غير متصل بجهات شيوعية⁵⁵

⁵⁵ Douglas N. Walton: The Appeal to ignorance, or Argumentum ad Ignoratiam (+) ، .Argumentation, 1999, 13: p. 367

كان مكارثي في هذه الحالة متورطاً في مغالطة **ignoratiam ad** : لقد نقل عبء البرهان **burden of proof**، وبدلاً من أن يبرهن على ادعائه بالدليل فإنه يؤسسه على عدم وجود أدلة تُفند الادعاء وهي مغالطة لأن مكارثي ينطلق في حجته من مقدمة تفيد غياب المعرفة (أي تفيد الجهل إلى نتيجة إيجابية تفيد أنه بذلك قد عرف، أو أثبت، أن الشخص المعني مُدان بالميول الشيوعية. أن التهمة التي يوجهها مكارثي هي تهمة خطيرة يتحتم أن تحمل عبء البينة وألا تلصق بشخص لمجرد أنه لا يملك أدلة تدحضها.

هب أن واحداً من ضحايا مكارثي أذعن من الموقف الاتهامي وشرع يثبت براءته من الميول الشيوعية بشق الوسائل، فجعل يدلنا جدولته اليومي والجماعات التي يلتقي بها في تعاملاته المهنية والأنشطة التي ينخرط فيها في إجازته الأسبوعية، والأماكن التي يتواجد بها في حله وترحاله. إنه لو فعل ذلك فإنه يفتح على نفسه طوفاناً من المساءلات والاستجابات من جانب مكارثي، ويستهدف المزيد من الشبهات ويظهر في النهاية بمظهر المذنب المريب.

يحذر واتلي **Whately** من هذه الاستراتيجية الموبقة في الجدل ويشبهها بتصرف الجيش الذي يمثل حصناً منيعاً يستطيع الدفاع عنه كل الاستطاعة، فإذا به يبرز طواعية من حصنه ويتبعثر في ميدان، مفتوح فيأتيه أعداؤه من كل صوب ويمزقونه كل ممزق كذلك الأمر في الجدل: فإذا فاتك لحظة أن تستمسك بخلو جانبك حين يكون على خصمك عبء البينة، ورحت بدلاً من ذلك تنسج حججاً إيجابية قد تكون ضعيفة) لكي تبرئ ساحتك وتثبت براءتك، فإنك بذلك تُسلم سلاحك الأقوى بلا داع وتستبدل به سلاحاً أضعف. يقول المثل الفرنسي من يعتذر إنما

يتهم نفسه **cune s'ac, s'excuse qui** يعني ذلك أنك تولي ظهرك للوائحين وتتخذ مظهر المذنب تجاه الاتهامات الموجهة ضدك أن تحمل نفسك عين الدليل حيث كان واجبك الوحيد هو أن تتحدى خصمك أن يبرهن هو على اتهاماته لك برهانا ساطع⁵⁶

أمثلة أخرى:

(١) ليس هناك دليل على أن الأشباح (العفاريت) غير موجودة

إذاً الأشباح موجودة

(٢) - أعتقد أن بعض الناس لديها قوى نفسية خارقة

وما دليلك على ذلك؟

دليلي أنه لا أحد استطاع أن يثبت أن الناس لا تملك قوى نفسية خارقة
لاحظ أننا لسنا. بصدد نفي وجود الأشباح أو نفي وجود قوى خارقة إنما ننفي أن تكون الحجة الواردة صائبة منطقياً. إن ما يميز هذا الصنف من الحالات هو أن من الصعب أن تعرف ماذا عساه أن يكون دليلاً على مثل هذه الدعاوي أو دليلاً ضدها. فيها هنا مشكلة خاصة بقابلية التحقق **verifiability** : لأنه لا توجد _ فيما يبدو _ أي ملاحظة إمبيريقية قابلة للتكرار بحيث تفي بمعايير البيئة العلمية في مثل هذه الحالات تنطوي أسئلة الأشباح والقوى الخارقة إذاً على عدة أخطاء منطقية، غير أن أبرز أخطائها هو الاحتكام إلى الجهل (التذرع بالجهل) **ignorantiam ad**. إنها حجج لا تقدم دليلاً حقيقياً، بل تستغل غياب أدلة مضادة لكي تقفز إلى نتيجة

⁵⁶ ().Douglas N. Walton: Burden of Proof , Argumentation 2 (1988) p. 135

عريضة لا تقوم على ذلك الصنف من البيئة الذي يتوجب التماسه لكي تحظى مثل هذه النتيجة بالقبول.

متى تكون الحجة المستفادة من الجهل غير مغالطة؟

(1) يبدو أن هناك أحوالاً كثيرة يكون فيها الاحتكام إلى الجهل *ad ignoratiam* مقبولا تماماً كموجة للفعل الحصيف مثال ذلك اتباع مبدأ السلامة في تناول الأسلحة فإن كنت لا تعرف (تجهل) ما إذا كان السلاح ملقماً بالذخيرة أم لا فإن عليك أن تتعامل معه على أنه ملقم، وأن تفتح خزائنه قبل أن تلوح به لكي تستوثق من أنه غير ملقم)⁵⁷.

(2) في كثير من الأحوال يكون من المقبول عملياً أن تنتقل من واقعة أن شيئاً معيناً لم يتم العثور عليه إلى استنتاج أن هذا الشيء لا وجود له. شريطة أن يكون البحث جاداً وقميناً في حسابنا باكتشاف الشيء من ذلك أن الأدوية الجديدة يتم اختبارها على الحيوانات كلقوارض للتثبت من أنها مأمونة غير سامة هنا يؤخذ غياب الدليل (على سمية الدواء) مأخذ الدليل على أنه مأمون للإنسان). ونحن في مثل هذا السياق لا نستند إلى الجهل بل إلى المعرفة (معرفتنا بأنه لو كان للنتيجة التي تهمنا أن تنجم لنجمت في حالة ما من حالات الاختبار وهو ما لم يحدث)⁵⁸

كذلك في موقف اتهام شخص أو دولة بإحراز شيء محظور فإن إرسال مفتشين مؤهلين للبحث عن ذلك الشيء والذي نفترض أنه قابل للكشف ومستحيل إخفاؤه عادةً، وحقيقة أنهم فشلوا في العثور عليه بعد مدة كافية، ليمثل دليلاً معقولاً على عدم وجود ذلك الشيء.

⁵⁷ Ibid. p. 308

⁵⁸ Ibid. p. 369

(3) في مجال التاريخ يسمى هذا الصنف من الحجة **ex silentio** بحكم الصمت. مثال ذلك أن نقول أنه لم يكن من عادة الرومان أن يقلدوا الأوسمة لشخص بعد وفاته. وذلك بناء على الدليل السلبي بخصوص هذه الأوسمة. فالكتابات المدونة وشواهد القبور لم تسجل قط تقليد أية أوسمة لجنود ماتوا في الحرب، بينما تسجل حالات كثيرة لجنود تقلدوا الأوسمة أحياء بعد الحرب. هكذا يمكننا أن نحاج على أساس سلبي بأنه لو كان مثل ذلك التقليد موجوداً لتبدى لنا بشكل أو بآخر في الشواهد القائمة. وحيث أنه لا يوجد أي شاهد على ذلك فإن بإمكاننا، بواسطة حجة الصمت **ex silentio** أن نستنتج أن من المقبول بعامة أن الرومان لم يقلدوا أحداً وساماً بعد وفاته⁵⁹.

(4) وفي مجال البحث العلمي يطلق اسم الدليل السلبي **negative evidence** على ذلك الصنف من البيئة حيث تلمس نتيجة معينة بالاختبار فلا تحدث. تعد البيئة السلبية في العلم غير عديمة القيمة إلا أن الأبحاث التي تسجل نتائج إيجابية تحظى بقبول أكبر مما تحظى به الأبحاث التي تسجل نتائج سلبية ويميل العلماء بصفة عامة إلى نشر أبحاثهم الإيجابية. ولعل هذا ضرب من ضروب الانحياز القائمة في مرفق البحث العلمي، والذي يجعله أميل إلى التركيز على تحصيل نتائج إيجابية. ذلك أن النتائج السلبية هي أيضاً نتائج، ولها فوائد ليس أقلها أنها تعصم المؤسسة العلمية من تبديد الجهد والمال في أبحاث لا طائل منها.

(5) وفي مجال الحاسوب ومجال العلوم الاجتماعية تُعرف الحجة المستقاة من الجهل باسم الاستدلال القائم على افتقاد المعرفة - **lack of knowledge in ference**.

والذي يتم عندما تلتمس معلومة معينة في قاعدة البيانات فلا يعثر عليها. ومن ثم يعقد الاستدلال السلبي بأن هذه القضية كاذبة بالاستناد إلى القرائن من ذلك أن برنامجا حاسوبيا يسمى الأستاذ **Scholar** وجه إليه هذا السؤال: هل تنتج جويانا المطاط؟ إن الأستاذ يعرف حق المعرفة أن بيرو وكولومبيا تنتجان المطاط، ويحيط علمًا بكل شيء عن إنتاج المطاط في أمريكا الجنوبية ومن ثم فإن لديه أسبابًا وجيهة للاعتقاد بأنه لو كانت دولة ما منتجة كبرى المطاط أعرفها. غير أن الأستاذ ليس لديه علم بما إذا كانت جويانا تنتج المطاط أم لا أي ليست القضية ولا نفيها داخلًا بشكل صريح في قاعدة بيانات الأستاذ، فما هو الجواب الذي ينبغي على الأستاذ أن يجيبه؟ يجب الأستاذ كما يلي: أن لدي من العلم ما يجعلني أميل إلى الاعتقاد بأن المطاط ليس من المنتجات الزراعية لجويانا. إنه يعقد استدلال غياب المعرفة فيرى أنه ما دامت جويانا ليست في قاعدة بياناته كمنتج المطاط فإن له أن يستنتج بدرجة متوسطة من الثقة أن جويانا لا تنتج المطاط.

والآن هل هذا الاستدلال القائم على افتقاد المعرفة هو احتكام إلى الجهل **ad ignoratiam** بالمعنى المنطقي لهذا التعبير؟ ليس هناك اتفاق بين المناطق بهذا الشأن فالبعض يذهب إلى أنه احتكام غير مغالط إلى الجهل، بينما يرى آخرون أنه في حقيقة الأمر، احتكام إلى المعرفة ذلك أن الأستاذ يحوز معرفة إيجابية عن منتجي المطاط بأمريكا الجنوبية أمكنه في ظلها أن يستبعد جويانا.

الانغلاق الإبستيمي: epistemic closure

حين أقول إن قائمة المحطات التي يقف عندها هذا الديزل السريع في القاهرة وبنها، وطنطا ودمنهو، والإسكندرية، فإن بوسي عندئذ أن أستنتج أنه لا يقف عند كفر الدوار، وذلك لأن اسم هذه البلدة لم يرد في قائمة المحطات. وبعبارة أخرى يمكننا أن نفترض أن قاعدة البيانات هنا كاملة أو تامة (مغلقة إبستيميا epistemically closed)، باعتبار أنه لو كان ثمة محطات توقف إضافية أوردت في القائمة المدرجة. يفيد مبدأ الانغلاق الإبستيمي أنه إذا كان س حقا لعرفته أو ما دمت أعرف أنه لا يمكن أن تكون س حقا دون أن أعلم بذلك، فإن لي أن أستنتج من غياب س أن س كاذبة، أو إذا كانت س صادقة لورد ذلك في قاعدة بياناتي، ولكن س لم ترد في قاعدة بياناتي، إذاً س كاذبة.

ومن أمثلة الانغلاق الإبستيمي قوائم أسماء الناجحين في الامتحانات. إنها مغلقة تماماً من الوجهة الإبستيمية، ومن ثم فمن لم يرد اسمه في القائمة فهو راسب لأنه لو كان ناجحاً لورد اسمه في القائمة.

الاستدلال بالقرينة presumption

على أن الانغلاق الإبتسمي لا يكون تاماً في أغلب الأحيان. ورغم ذلك يظل للاستدلال العملي مجاله، كما في مثال برنامج الأستاذ: فنحن لا نتوقف عن الاستدلال في حياتنا العملية الملحة، بل تبقى لدينا ضروب من الاستدلال في ضوء الغايات العملية التي نتوخاها، وبدرجات متفاوتة من اليقين.

من هذه الاستدلالات العملية ما يعرف بالاستدلال بالقرينة **presumption** وهو فعل كلامي **speech act** يقع موقعا وسطا بين الإقرار (أو الإثبات) **assertion** وبين مجرد الافتراض **assumption** أنه ضرب من الاستدلال المقبول عمليا يتيح لنا أن نستنبط شيئا، بصفة مبدئية، وعلي نحو قابل للإبطال **defeasible** من واقعة معينة في الأحوال المعتادة. مثال ذلك أن نقول أن من يتغيب أكثر من سبع سنوات دون تفسير يعتبر في عداد المتوفين، ونشفع ذلك بعبارة ما لم يثبت عكس ذلك **till proved otherwise**، بمعنى أنه استنتاج ظاهر الوجهة يؤخذ به ما لم ينقض بدليل **prima facie** أي أن له قوة مفترضة تظل قائمة ما لم تُنقض باعتبار أعلى.

يستند الاستدلال بالقرينة على مفهوم عبء البينة. فالسمة المحورية لهذا الاستدلال هي أنه يعكس عبء البينة وينقلها إلى الطرف الآخر. فالدواء الذي تبين أنه غير سام للقوارض يعد مأمونا للإنسان مبدئياً، ولا تسقط عنه هذه الصفة ما لم يثبت بالدليل أنه سام للإنسان. ذلك أنه قد ينقذ حياة المرضى وقد يسعفنا في العلاج، ومن

الحكمة العملية **phronesis** أن نجيز استعماله في ضوء معرفتنا المتاحة، ما لم يبرز لنا دليل جديد في المستقبل يشير إلى أضرار للدواء لم تكن بحسباننا. وفي مجال العقل العملي نحن نسترشد بمجموعة من القواعد الأخلاقية حين تدعونا مواقف الحياة إلى الفعل الفوري ولا تتيح لنا وقتاً للتفكير والتروي: لدينا قاعدة أخلاقية ألا نقتل ولا نكذب ولا نفشي الأسرار إلخ. إنها قواعد قابلة للإبطال أو الإلغاء **defeasible** بمعنى أنها تظل نافذة ملزمة ما لم تنقض بحجة عكسية ساطعة. إنها تضع عبء البينة على من يريد نقضها في موقف معين. مثال ذلك أن هناك قاعدة أخلاقية ضد الكذب أن إطاعة هذه القاعدة ليست بحاجة إلى تبرير خاص. غير أن هناك ظروفاً قد يجوز فيها أن يكذب المرء، عندئذ تكون البينة عليه أي أن، عليه أن يبرر كذبه بالحجة⁶⁰

وفي مجال القضايا الجنائية يقع عبء الدليل على الادعاء، وعلى الدفاع أن يبين الثغرات أو نقاط الضعف في حجة الادعاء وليس عليه أن يثبت براءة المتهم ابتداءً لأن الأصل براءة الزمة). ذلك مثال المبدأ القائل البينة على من ادعى **He who asserts must prove**. والحكمة في ذلك الانحياز المبدئي إلى جانب المتهم) هي أن الدليل في القضايا الجنائية قد يكون ظنياً لأنه يقوم على إعادة بناء أحداث الماضي، وهو أمر يعتمد بالضرورة على الحدس والتخمين ومن ثم فاحتمال الخطأ قائم، لذا يقوم المشرع بتقنين الجدل القانوني بطريقة من شأنها أن تقلص حالات إدانة أشخاص أبرياء إلى أدنى حد ممكن، حتى لو كان ذلك يكلفنا إفلات أشخاص

⁶⁰ وليم جيمس إيرل: مدخل إلى الفلسفة، ترجمة د. عادل مصطفى المشروع القومي للترجمة المجلس

مذنبين من العقاب في أحيان كثيرة، باعتبار أن الظلم الحاصل من إدانة بريء واحد يفوق الظلم الحاصل من تبرئة عدة مذنبين.

وفي القضايا المدنية يقع عبء البينة على المدعي⁶¹: فإذا ادعى شخص، على سبيل المثال، أن مؤسسة للغسيل الجاف قد ضيعت بدلته، فإن عليه أن يبرز إيصال الاستلام كدليل وفي حالة عدم وجود إيصال لديه وعدم وجود إيصال في سجلات المؤسسة فإن الدعوى تسقط لغياب الدليل أما أن يحاج المدعي بأن المؤسسة ليس لديها ما يثبت عدم استلامها للبدلة فإنه عندئذ يقع في مغالطة الاحتكام إلى الجهل **argumentum ad ignoratiam**.

⁶¹ هنال استثناءات لهذه القاعدة، واختلافات بين المدونات القانونية في بعض الحالات.

سرير بروكرست (البروكرستية)

(Procrustean bed Procrusteanism)

ترى كم تيسوس يلزمننا اليوم لكي نبرأ من تحيزاتنا المكيئة ونعدل
منطقنا المقلوب؟

كان بروكرست، في الميثولوجيا اليونانية، قاطع طريق يعيش في أتيكا. وكانت له طريقة خاصة جدا في التعامل مع ضحاياه. فقد كان يستدرج ضحيته ويضيفه ويكرم وفادته وبعد العشاء يدعوه إلى قضاء الليل على سريره الحديدي الشخصي أنه سرير لا مثيل له بين الأسرة إذ كان يتميز بميزة عجيبة هي أن طوله يلائم دائما مقاس النائم أيا كان غير أن بروكرست لم يكن يتطوع بتفسير كيف يتأق لسريه أن يكون على مقاس الجميع على اختلاف أطوالهم. حتى إذا ما اضطجع الضحية على السرير بدأ بروكرست عمله، فجعل يربطه بإحكام ويشد رجله إن كان قصيرا ليمطهما إلى الحافة، أو يبتزهما بترتا إن كان طويلا ليفصل منها ما تجاوز المضجع، حتى ينطبق مع طول السرير وظل هذا دأبه إلى أن لقي جزاءه العدل على يد البطل الإغريقي ثيسوس Theseus الذي أخضعه لنفس المثلة، فأضجعه على السرير ذاته وقطع رقبتة تماما، لينسجم مع طول سريه.

يشير مصطلح سرير بروكرست Procrustian bed أو البروكرستية (Procrusteanism) إلى أية نزعة إلى فرض القوالب على الأشياء أو الأشخاص

أو النصوص...) أو إلى الحقائق وتشويه المعطيات وتلفيق البيانات لكي تنسجم قسراً مع مخطط ذهني مسبق، إنها القوة الجبرية والتطابق المتعسف والانسجام المبني، إنه افتئات على الواقع قلما يفلت من غضبة المنطق وانتقام الحقيقة.

ألوان من البروكرسنية البروكرسنية التأويلية

حين نفرض على النصوص توقعاتنا وتحيزاتنا وإسقاطاتنا المسبقة، دون أن نكلف خاطراً بمراجعة هذه الإسقاطات في ضوء ما يبرز أمامنا في فعل القراءة حين نحرس النص ونفرض عليه ما ليس فيه فثم البروكرسنية التأويلية. وعسى أن يعي ذلك بعض النقاد الذين يفرضون قوالبهم على الأعمال الأدبية أو الفنية ويلبسونها المعنى الذي يتلبس بهم، أو المذهب الفني الذي يستحوذ على اهتمامهم وعسى أن يفهم ذلك هوة المعجزات العلمية الذين لا يخشعون لجلال النص القرآني، ويريدون أن يحشروا الأكبر في الأصغر! وأن يُفرغوا النص من بلاغة kerygma الحقيقي ويجندوه فيما لا يقصده ولا يعنيه.

البروكرسنية الإكلينيكية

حين يخذل الطبيب المبتدئ أمام الحالة، فيرهن ذهنه لتشخيص مسبق وكيف عليه الأعراض والعلامات ويلوي بها لتأتي على مقاس تشخيصه حين يمضي من التشخيص إلى العلامات بدلاً من أن يتجه من العلامات إلى التشخيص، فإنه يرتكب خطأ البروكرسنية الإكلينيكية. وما كان للواقع العنيد أن يرضخ لحيل العقل والتواءاته ويدخل طواعية في قوالب مسبقة لا تلائمه ولا تحكمه إنك لا تجني من الشوك العنب وأكبر الاحتمال أن يؤدي التشخيص الخطأ إلى العلاج الخطأ، ومن ثم إلى تفاقم المرض وتردي المال.

الاستخبارات البروكرسنية

حين توغر الإدارة السياسية لمرق الاستخبارات بأن يفصل لها معلومات استخباراتية على مقاس قرار سياسي مبيت بدلاً من أن يكيف القرار السياسي وفقاً لمعلومات استخباراتية نكون بإزاء صنف خبيث من البروكرسنية ربما تؤدي بمرتكبها قبل أي طرف آخر.

بروكرسنية العولمة الثقافية

يطمح دعاة العولمة إلى صب الثقافات جميعاً في قالب واحد، ظنا منهم أن إزالة الحواجز بين الأمم وتدفق الأفكار والمعلومات والبشر عبر الحدود من شأنه أن ينشر قيم التسامح والحرية وفهم الآخر، وأن يدمج البشر في ثقافة عالمية متجانسة لم يتفطن هؤلاء إلى أن الانفتاح والاجتياح يثير في النفوس أيضاً غريزة المحافظة والانكماش والتجمد والبحث عن حدود الذات وتدعيمها لإثبات الهوية وتجنب الانتحاء هكذا انبعثت مع العولمة نزعات الانفصال والتفكك الداخلي وظواهر التطرف والعنف والانتماءات الأولية القبلية والإثنية والطائفية، وتفككت دول في الشرق والغرب وواجهت دول أخرى خطر التفكك لم يقدر دعاة العولمة الأوائل سطوة الثقافات المحلية والنزعات القومية والأصولية ومقاومتها للتغيير، وإلى الأثر العكسي لقوى العولمة: مزيد من التفكك والحروب الطائفية والعرقية وتصاعد قوى اليمين المتطرف وانتشار التزم والإرهاب وصحوة الانتماءات البدائية الهاجعة.

البروكرسنية السياسية تعتمد البروكرسنية السياسية إلى صب المواطنين جميعاً في قالب واحد، تعميماً للخير والتماسا للعدالة. تتجذر البروكرسنية السياسية في

مذهب الماهية **essential**⁶² الفلسفي، وهو الرأي القائل بأن للأشياء خصائص ماهية **essential properties** أي خواص ضرورية بمعزل عن تصنيفاتنا وتعريفاتنا للإنسان من ثم. ماهية حقيقية تميزه عن غيره من الكائنات قد تكون هذه الماهية هي الروح العاقلة (الإنسان حيوان عاقل)، وقد تكون هي الميل إلى الحياة في تجمعات مدنية (الإنسان حيوان مدني... إلخ) المهم أن هناك ماهية ثابتة محددة للإنسان بها يكون إنسانا وبدونها يكون أي شيء آخر. هناك مثال أفلاطوني أو صورة أو فكرة **iden** أزلية للإنسان ينبغي على الإنسان الحقيقي الأَرْضِي أن يسعى إلى تجسيدها ويقترّب منها، كل أولئك أفكار ميتافيزيقية مأمونة، لا ضير أن يتداولها الفلاسفة فيما بينهم ويختلفوا حولها على مقاعدهم النظرية الوثيرة.

يبدأ الخطر، رغم ذلك، حين تقع مثل هذه الأفكار في أيدي (أو بالأحرى رؤوس) السياسيين أولي البأس وذوي القدرة على استخدامها في الواقع الحي ووضعها موضع التنفيذ. حين يقع للطاغية المثالي (**dealist**) تصور واضح عما تكونه الطبيعة البشرية فقد يرى نفسه مضطراً إلى فرضها بالقوة على رعاياه وصبهم في قالبها ضربة لازب وسحق كل من تحدّثه نفسه بالتمرد على هذا القالب الأزلي الواحد.

هكذا ينشأ ما يسميه أنتوني فلو **Antony Flow**، مؤلف كتاب سياسة بروكرست ب البروكرستية الاشتراكية **socialist Procrusteanism** أو العدالة المحافظة **conservative justice**. إنها ضرب من اليوتوبيا الاجتماعية تريد أن تفرض

⁶² انظر المزيد عن العولمة الثقافية في كتابنا العولمة من زاوية سيكولوجية دار النهضة العربية، بيروت. ٢٠٠٦، ص ٥٣-٢١

التجانس على الناس، وتفرض المساواة المطلقة على المواطنين، فتأخذ من البعض وتعطي البعض الآخر حتى يعتدل الميزان⁶³

إن أنتوني فلو هو بمثابة ثيسوس معاصر يريد أن يحطم البروكرستية بأن يكشف زيفها وتهافتها ويفضح طبيعتها المؤذية المظلمة ويخرجها إلى وضوح النهار الأمر هذا ليس مجرد مبدأ شخصي يدعو إليه من يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، أو ربما بتقديم مثال في التضحية والبر (على طريقة ليو تولستوي مثلاً) ولكنه منهج سياسي وإداري يراد فرضه على نطاق هائل بقوة الآلة الحكومية الجبارة

لم يقف جنون البروكرستيين السياسيين عند حد:

- فمنهم من لم يقنع بإعادة توزيع الثروة على الأفراد بالعدل والقسطاس، فذهب إلى ضرورة تحطيم نظام الأسرة - منبع التفاوت بين الناس ومعدل اللامساواة وحصنها الحصين ومنهم من ذهب إلى ضرورة فرض المساواة المعرفية **cognitive equality** فلا ينبغي أن يعرف شخص أكثر مما يعرف الآخرون.

- بل ذهب بعضهم إلى ضرورة تحسين النسل (اليوجينيا **eugenics**) لاجتثاث التفاوت من المنبع. من البيولوجيا! من السخرية أن البروكرستية يمكن أن تبلغ مأربها وتشفي صدرها ب المساواة في الجهل بقدر ما تقضيه بالمساواة في العلم، وأن تقضي وطرها بالإساءة بقدر ما تقضيه بالإحسان أن مذهب المساواة هو عماد الرفاه، وعماد الضنك أيضاً، ما لم يُستبدل به مبدأ آخر من مبادئ الواجب

يذهب أنتوني فلو إلى أن مثل المساواة في الحرية وتكافؤ الفرصة لا تتفق مع مثل المساواة في الحالة المعيشية أو في النتيجة (وهي البروكرستية الحقيقية). يبدو أن

⁶³ Antony Flew: Politics of Procrustes, Buffalo: Prometheus Books, 1981.

هناك توترًا معينًا بين بعض القيم التي نصبو إليها وتود أن تحققها جميعًا، بحيث أن الترتيبات الاجتماعية التي تدعم إحداها من شأنها بالضرورة أن تنال من الأخرى ثمة توتر بين العدل والكفاية الاقتصادية، وتوتر بين المساواة (في الحال) والحرية ويبقى أن نختار القيمة الأكثر أهمية للمجتمع والأولى من ثم بالتحقيق⁶⁴.

تقوم الفكرة الديمقراطية على أن الناس سواسية قانونيا وسياسيًا. صحيح أنهم خلقوا غير سواسية في المواهب الطبيعية، إلا أن هذا التفاوت ليس حجة على المساواة وإنما هو حجة لها فالمساواة أمام القانون ليست حقيقة موضوعية ولا قانونًا طبيعيًا. إنما هي مطلب سياسي قائم على قرار أخلاقي، ولا علاقة لها البتة بالنظرية القائلة بأن الناس ولدوا سواسية بالطبيعة، بل إن المساواة في الفرصة هي التي تضمن وترعى التفاوت العقلي بين بني البشر، لأن مساواة الفرصة تضمن للمواهب الفردية حق التميز والنمو وتحمي أصحاب المواهب من أن ينالهم اضطهاد ممن يقلون عنهم موهبة.

في رواية تيسوس لأندرية جيد يقول تيسوس بعد أن أسهب في تبين طريقته في فرض المساواة وقد استمع بيريتوس لهذه الخطبة التي القيتها على السادة، فقال لي إنها خطبة رائعة، ولكنها سخيفة. وكان يعلل ذلك بأن المساواة بين الناس ليست طبيعية بل ليست شيئًا يبتغى. فمن العدل أن يتفوق الأخيار على طغام الناس بما تحوّلهم الفضيلة من امتياز وهؤلاء الطغام إذا لم تثر بينهم التنافس والتزاحم والغيرة ظلوا هامدين حامدين أشبه شيء بالماء الراكد الآسن فليس لهم بد من حافز إلى

⁶⁴ يقول كارل بوبر: لو أن هناك شيئًا من قبيل الاشتراكية المقترنة بالحرية الفردية أوردت أن أكون اشتراكيًا فليس أجمل من أن يعيش المرء حياة متواضعة بسيطة في مجتمع مساواة، غير أنني أنفقت رمنا قيل أن أدرك أن هذا لا يعدو أن يكون حلما جميلا، وأن الحرية أهم من المساواة، وأن محاولة تحقيق المساواة من شأنها أن تهدد الحرية، وأن الحرية إذا فقدت فلن يتمتع فاقدها حتى بالمساواة.

العمل.. وسواء أردت أم لم ترد فإن هذه التسوية الأولى التي تطمح إليها وهي تكفل للناس جميعاً تكافؤ الفرص ليسعوا إلى الحياة من مستوى واحد، ستنتهي قطعاً إلى الاختلاف والتفاوت فتنشأ طبقات تتأثر بما يميز الأفراد به من الكفاية وحسن البلاء ستنشأ طبقة العامة الشقية والأرستقراطية السعيدة.

وفي كتابه الكلاسيكي نظرية في العدل **a theory of justice** يطرح جون رول (1921) John Raml نظرية ربما تكون أهم نظريات العقد الاجتماعي المعاصرة وأبعدها أثراً. فيصور المجتمع العادل بأنه ذلك المجتمع الذي سوف تختاره الكائنات العاقلة لو أنها حملت على اختيار المؤسسات والقوانين من وراء حجاب من الجهل **behind a veil of ignorance** - أي دون أن تعلم ما ستكونه مراكزهم الاجتماعية الفعلية. قد يسبق إلى الظن أن لمثل هذه الكائنات حرية عندئذ أن تختار حالة من المساواة المطلقة كأفضل رهان لها. إلا أن رول يبدي هنا بغير ذلك، ويقنعنا بالحجة أن هؤلاء المتعاقدين الأصليين الذين حجب عنهم الحقيقة هم حريون أن يختاروا (ويُعدوه عدلاً) نظاماً اجتماعياً ينطوي على تفاوت في الثروة ما دام هذا التفاوت يجعل أقل المواطنين حظاً هو أفضل حالاً مما يكون عليه تحت أي توزيع بديل بذلك يمكن أن تقوم حجة باتباع طريقة رول بأن الرأسمالية التنافسية في نظام عادل رغم أن بعض الناس فيها أغنى من الآخرين بما لا يقاس إذ أن الأقل حظاً في هذا النظام سيكون أسوأ حالاً وأشد فقراً لو أنه كان في نظام آخر أكثر مساواة (ولكن أقل في الكفاية الاقتصادية)⁶⁵

⁶⁵ Earle, W. J., Introduction to Philosophy. McGraw-Hill, Inc. 1992, p. 199

وعلى ذكر نظريات العدل والبروكرسية الاشتراكية تقفز إلى الذهن أبيات للعقاد تترجم شطراً كبيراً من هذا النقاش السياسي المحتدم. يقول العقاد _ على طريقته في استقصاء المعنى _:

إِنَّا نُرِيدُ إِذَا مَا الظلم حاق بنا عدل الأناسي لا عدل الموازين
عدل الموازين ظلم حين تنصبه على المساواة بين الحر والدون
ما فرقت كفة الميزان أو عدلت بين الحلي وأحجار الطواحين

بروكرسية الإدراك الحسي

لشمة عنصر بروكرستي في كل إدراك حسي، وربما في كل إدراك ذهني على الإطلاق. فالإحساس البصري المحض، على سبيل المثال، لا يقدم لنا أكثر من بقع فسيفسائية مبعثرة، هي المعطيات الحسية (sense data (sensa ثم يأتي المخطط الذهني schema، أو النموذج أو الجشطت، فيُضفي هيئة ومعنى معيناً على هذا الهلام الحسي الغفل ونحن في إدراكنا الحسي لا نملك إلا أن نملاً الفراغات ونسد الثغرات ونسبغ الكمال على الأشكال الناقصة، ونضفي الاتصال على المنفصل والاستمرار على المنقطع.. إلى آخر تلك الآليات التي فصلها الجشططيون في سيكولوجية الإدراك.

المخطط الذهني أو البناء الذهني mental construct أو النموذج المرشد هو شرط ضروري للإدراك فنحن في حقيقة الأمر لا نرى موضوعات محددة من مثل البشر والحيوانات والأشجار والموائد والكراسي... بل نرى بقعا لونية مشتتة، ومن هذه الخامات الحسية نستدل عندئذ على العالم المعتاد أو نشيده. الإدراك الحسي إذًا هو في حقيقة تشييد ذهني mental construction تضطلع فيه قوالب العقل المسبقة (أسرة بروكرست) بدور محوري وقد أشار الفيلسوف الأمريكي شارلس

ساندر بيرس إلى أن الإدراك الحسي هو ضرب من التأويل أو الاستدلال. فالأمر الملفت في الخدع **illusions** البصرية جميعاً هو أن نظرية معينة لتأويل الصورة تبدو معطاة في الإدراك بوضوح تام. وحين تنكشف لنا للمرة الأولى تبدو خارجة تماماً عن سيطرة النقد العقلي شأنها شأن أي إدراك حسي.

تلك هي البروكرسية المقدرة على الكائن البشري والمبينة في كل إدراك يدركه. والتي تجعلنا نرى ما نتوقع أن نراه. ذلك أن إدراكنا يعتمد تماماً على مخططاتنا التصويرية، وهذه الأخيرة تعتمد بدورها على خلفياتنا الاجتماعية والثقافية: على

نظرياتنا؟ يقول نلسون جودمان ليست هناك من بريئة، المادة الخام الرؤية لا يمكن استخلاصها من المنتج النهائي قد تتغير مخططاتنا وتتطور، قد تنفع وتستبدل، قد توحى بها أو ترشدها عوامل من كل صنف غير أنه دون مخطط ما فلن يكون هذا ما عناه نوروود رسل هانسون **Hanson**. بقوله، الذي أصبح من مآثرات فلسفة العلم الجديدة. الإدراك محمل بالنظرية **Perception in theory aden** خلفياتنا النظرية تصوراتنا واعتقاداتنا وتوقعاتنا، تؤثر فيما نراه أو على الأقل في كيفية رؤيتنا له. ويجرنا ذلك تلقائياً إلى الحديث عن بروكرسية الملاحظة العلمية.

بروكرسية الملاحظة العلمية على الرغم من أن الواقع قائم هناك بمعزل عن الملاحظ، فإن إدراكنا للمواقع منكر بنظرياتنا التي تحدد طريقتنا في نقص الواقع يشمل ذلك إدراكاتنا ويشمل أيضاً أدواتنا العلمية التي هي امتداد لإدراكاتنا. مثال ذلك أن حجم التلسكوبات كان دائماً يشكل ويعيد تشكيل فكرتنا من حجم الكون. فحين نصب إدفين هويل تلسكوباته الجديدة في جنوب كاليفورنيا أتاح

للفلكيين لأول مرة تمييز النجوم المفردة في المجرات الأخرى. هنالك تبين أن تلك الأشياء الغائمة المسماة سلمًا، والتي كنا نحسبها ضمن مجرتنا، هي في الحقيقة مجرات منفصلة.

في القرن التاسع عشر كان قياس الجمجمة **craniometry** يحدد الذكاء بأنه حجم المخ، وابتكرت أجهزة معينة لقياس الذكاء على هذا التعريف واليوم يعرف الذكاء بأنه⁶⁶:

كفاءة الأداء في مهمات معينة بقيسها جهاز آخر هو اختبار الذكاء يوضح سير أرثر ستانلي هذه المشكلة بتشبيه حاذق فلنتصور أن عالما في الأسماك **ichthyologist** يستكشف الحياة في المحيط، فيلقي بشبكة في الماء ثم يُخرج تنوعة سمكية. وإذا يقوم بفرز صيده فإنه يمضي على الطريقة المعتادة للعلماء وينظم ما اكتشفه فيصّل إلى تعميمين:

ليس هناك كائن بحري يقل طوله عن بوصتين

جميع الكائنات البحرية لها خياشيم

في هذا الأنالوجي يرمز الصيد إلى مادة المعرفة التي تشكل العلم الطبيعي وترمز الشبكة إلى الأدوات الحسية والفكرية التي نستخدمها في تحصيل المعرفة وترمز عملية إلقاء الشبكة إلى الملاحظات.

قد يعترض مشاهد بأن التعميم الأول خاطئ فهناك كائنات بحرية كثيرة أقل طولًا من بوصتين، كل ما في الأمر أن شبكتك غير مكيفة للإمساك بها. غير أن عالم الأسماك يرد على هذا الاعتراض بازدراء قائلاً كل ما لا يمكن إمساكه بشبكتي هو.

⁶⁶ انظر في ذلك فصل نسبوية الإدراك الحسي في كتابنا صوت الأعماق، دار النهضة العربية بيروت ٢٠٠٤، ص ٢٤٧، ٢٢٨

بحكم طبيعته ذاتها (pso taste) خارج عن النطاق المعرفي لعلم الأسماك وليس جزءًا من مملكة الأسماك التي عرفت بأنها الموضوع المعرفي الذي ينصب عليه علم الأسماك أو، باختصار ما لا يمكن لشبكتي أن تمسك به فهو ليس سمكًا. كذلك الحال بالنسبة للتلسكوب والذكاء ما لا يراه تلسكوبي ليس موجودًا هناك. وما لا يقيسه اختباري ليس ذكاء، من البديهي أن المجرات موجودة، والذكاء موجود. الخطب أن طريقة قياسنا وفهمنا لها تتوقف بشدة على أدواتنا المتاحة.

بروكرسنية البحث الأكاديمي

كلما طال الأمد على البحث الأكاديمي ترسخت فيه معايير معينة للدراسة، تتحول في النهاية إلى سرير بروكرستي علينا أن نطوع له عملنا وننتقي ملاحظتنا وبياناتنا بحيث تفي بالمعايير وتأتي على مقاس السرير.

مغالطة المقامر gambler's fallacy

تنطوي مغالطة المقامر على خطأ في فهم فكرة الاحتمالات **probability** وفكرة الأرجحية⁶⁷ **odds** ونحن نرتكب هذه المغالطة عندما نظن أن ما وقع في الماضي له تأثير على الأرجحية أو الاحتمالات الحالية، حين نرمي قطعة العملة رمية ترجيح فإن احتمال الصورة في كل رمية هو ٥٠ واحتمال الكتابة ٥٠ ولا صلة لاحتمالات كل رمية بالرمية السابقة عليها ولا بأية رمية أخرى على الإطلاق. فإذا رمى شخص ست رميات كانت جميعاً صورة واستنتج من ذلك أن الرمية القادمة لا بد لها من أن تكون كتابة لأن الكتابة طال غيابها ولا بد أنها الآن متوقعة أو مرجحة جداً، يكون هذا الشخص قد ارتكب مغالطة المقامر. ذلك أن نتائج الرميات السابقة لا ضغط لها البتة على الرمية السابعة. فالرمية السابعة لديها احتمال ٥٠٪ للكتابة و٥٠٪ للصورة مثلها مثل أي رمية أخرى.

أمثلة

1- لقد اشترت ثمانية بطاقات حظ الأسبوع الماضي ولم تكن بينها أي بطاقة راجحة وحيث أن فرص الكسب هي واحد لكل تسعة فإن بطاقتي القادمة ستكون راجحة على الأرجح.

⁶⁷ الأرجحية **odds** تعني نسبة النجاح إلى الفشل، والاحتمال **probability** يعني نسبة المحاولات الناجحة إلى المجموع الكلي للمحاولات

2- أما زلت تشتري أوراق اليانصيب هذه؟

- نعم لقد ظللت أشتريها بانتظام لمدة سنتين ولم أربح. إذاً لماذا تحرص على شرائها؟!

- حسن بما أنني لم أربح حتى الآن، فإن الوقت قد حان لكي أربح عاجلاً. أما زلت مصمماً أن تراهن على الحصان فارس؟ لقد خسر ثلاثة من سباقاته الأربعة الأخيرة.

لذلك سوف أراهن عليه الآن، لقد راجعت السجلات وعرفت أن فارس قد ربح نصف سباقاته في العامين الأخيرين وحيث أنه خسر ثلاثة من سباقاته الأربعة الأخيرة فلا بد من أنه سيفوز في هذا السباق.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- بالتأكيد، لقد حان فوزة الآن

في كل مثال من الأمثلة السابقة يأخذ شخص احتمال وقوع حدث خلال مدة من الوقت، ويلاحظ أنه خلال الشطر الأول من تلك المدة كان الحدوث الفعلي لأقل بكثير من المتوقع، فيستدل من ذلك على أن حدوث سيكون أكثر احتمالاً في بقية المدة وهو استدلال مغلوط بالنظر إلى مفهوم الاحتمالات والأرجحية وقد تمضي المغالطة أيضاً في الاتجاه المقابل فيفترض المرء أن الحدوث الزائد عن المتوقع لا بد من أن يؤدي إلى انخفاض احتمالية فيما سيأتي، وذلك لكي تتحقق الاحتمالات وتستوي الأمور في نصابها:

- أشتري بطاقات الحظ ثانية هذا الأسبوع؟

- نعم

أي الأرقام سوف تختار؟

-حسن إن الأرقام التي كثر فوزها حتى الآن هي ٧٢، ٢٨ لذا فلن أختارها بكل تأكيد، فقد آن لها أن تتلقي نصيبها من الخسارة لمدة غير قصيرة.

وصفوة القول في المقامرة أن ما حدث حتى اللحظة الآنية هو شيء لا يقدم ولا يؤخر في احتمالات السحبة القادمة، ولا يؤثر على أرجحيتها، بحد ذاتها، مثقال ذرة من التأثير فاحتمال الصورة في رمية العملة القادمة هو ٥٠٪ مهما تكن النتائج السابقة، واحتمال فوز أي رقم في اليانصيب الأسبوعي للمملكة المتحدة هو واحد إلى أربعة عشر مليوناً.

المظهر فوق الجوهر

style over substance

وسرى في فؤاده زُخْرُفُ القَوْل يراه مستعذبا وهو داء

شوقي

بني الآداب مرتكم قديما زخارف مثل زمزمة القباب

المعري

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل

الجاحظ

البيان والتبيين

ليس بالأمر جديرا كل من ألقى خطابا

أو رأى أمةً فاختل بالجهل اختلابا

شوقي

"ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا"

قرآن كريم

يقع المرء في هذه المغالطة عندما يولي أهمية زائدة للأسلوب الذي تم به عرض حجة ما، بينما يهملش أو يتغافل مضمون الحجة ومحتواها الطلاء دائماً رونق يموء ما تحته، ورؤاه تشغل العين عن تبين الثغرات والتشققات والتجاعيد والأخاديد والبيان دائماً سحر يعمل عمله بمعزل عن الفحوى، والقول سحر يفتن المرء عن المقول. هكذا يقر في روع الناس أن مظهر الحجة ينم عن جوهرها ويضيف إلى مفادها ومؤداها. ويؤثر بطريقة ما في تحديد قيمة صدقها.

القسم الثاني

سلاح الحيل والجدل المرائي

يلاحظ الناظر إلى عالم اليوم أن التواصل أضحى سمته ووصفه، وأن الإقناع مراده ومطلبه وأن الحوار نهجه وطريقته، وأن الحجة آله وسلاحه.

فهذا محام زاده الحجة، إن هو عدمها فوت على نفسه فرصة حقيقية وخسر قضيته، وذاك سياسي يدافع عن برنامج الحزبي بشتى الوسائل، واصفا كل معترض بشتى النعوت، وثالث إنسان عادي بنى حياته اليومية على الحيل والمكائد، وقس على هذا المنوال في تحديد أصناف الناس وطبائعهم، وعليه يمكن التسليم بأن من النظار من لا يقصد إلا نصره الحق، ومنهم من ينصر ما اعتقده بغير دليل، وصنف ثالث لا يبالي فيما صرف كلامه، فتراه يستجمع حججه دون مراعاة مدى صحتها ومشروعيتها.

وعليه، لما كان الهدف من كل عملية حجاجية هو الاقتناع، وجب الالتزام بمجموعة من الضوابط النظرية حتى لا ينفلت الخطاب ويخرج به عن المخاطب عن سياق

القول، وعن قصد المتكلم، ولتلافي مثل هذه الانزلاقات وجب الاحتراز من أي استخدام لحجة بأغراض تموهية وتضليلية.

ذلك أن سمة المغالط تكمن بالأساس في استناده إلى أساليب تضليلية و تموهية تقوم على الإخفاء والتعتيم، مع ذلك يحاول أن يجريها مجرى منطقيا حتى يخدع الخصم ويجعله يأتي بفعل زميم، أو يظهر بمظهر مضحك، كل هذا يقتضي العمل على تبيان المقصود من كل كلام موجه لغيرنا، بنفس الكيفية التي نحن مطالبون بتدبر كل كلام يتوارد علينا.

فمن تلفظ بلفظ فعليه تحديد المعنى الذي قصد إليه، لأن ذلك هو السبيل لتلافي أي تغاير بين المقصود والمفهوم، وبالجملة، وجب على العارض، كما على المعارض أن يجتهد في ضبط اللفظ وتهذيبه وصيانتة من كل ما يمكن أن يخل بمعناه ويعيق عملية الفهم والإفهام ما دام مبتغى المغالط هو الإيقاع بخصمه، فإن عماده استخدام سبل ترغيبية وترهيبية قادرة على صرف الخصم عن الهدف الحقيقي، وهو ما يجعلنا نلخص سمته الأساس في كونه شخصا يظهر خلاف ما يبطنه، سائلا أم مجيبا. فهو قادر بأساليبه التدليسية والتمويهية على إلباس الكذب صفة الصدق، والباطل صفة الحق.

فقد يأتي بحجة مقبولة ظاهريا لكنه في الباطن يراعي حجة أخرى مموهة وهدفا آخر تغليظيا.

فأعظم سلاح المغالط هو التلبيس والتدليس، أي ديدنه أن يعتمد الحجج الملتوية المرائية وأن يدع المستقيمة منها.

ولما كان الإنسان أثر لتلك المرائية وهرع إليها، لما في طبعه من أنانية ومحبة للذات، إذ ليس عنده أوغل في المهانة من رؤيتها منكسرة ذليلة.

ولما عرف به من ميل إلى الخديعة والمكيدة، ولما أحطت به في طريق قويم الحجج وصائبها أضيق، وإن طريقا ملوي الحجج وكاذبها أرحب وجب فحص هذا النمط من الحجج المرائية والمموهة قصد الوقوف على طبيعتها، ومن ثم، تحديد سبل نقضها. ذلك أن كل معتمد على حجج مموهة يفرض علينا خيارين.

الخيار الأول:-

إما أن نبين مكنم المغالطة، فنقطع عليه مكالمته

الخيار الثاني:-

وإما أن نحاربه في ذلك، ونعمل على التصدي له ونقض مغالطته. وما دام الأمر كذلك فقد بان أن أهمية المغالطات للاقتدار على نقضها والتصدي لمختلف أساليب التضليل والتغليظ.

فعلى ناقض المغالطات أن يكون داريا بأصول وضوابط الصناعة، وأن يمتلك قدرات تحليلية وتقويمية تمكنه من اكتساب مختلف آليات العرض والاعتراض. فمن علمها وعمل بها نجح في أن يقطع على المغالط تدليس، وربما عكسه ضده، وقلب الحجة عليه.

ولئن كان من يجهل القانون لا يغير، فإن من يجهل هذه الحيلة أو المغالطات أولى به أن يغلب ويهزم، فمن أتقن هذا النوع من الجدل وأجاد أساليبه، فالنصر حليفه سواء في ذلك أكان محقا أو مخطئا.

وبيان ذلك أن يقال أن الحق ما قويت حجته وأن الباطل ما ضعفت حجته.
وبالتالي فمن حاز قوة الحجة فقد حاز الحقيقة، ومن عدم قوتها فقد عدم الحقيقة.
ثم أنه لما كان الإنسان شديد الاعتداد بنفسه مداحاً لها ثناء عليها، فإنه يميل إلى
تصور نفسه المالك الوحيد للحقيقة وليس طرفاً في بنائها.
فالحقيقة ما يراه ويعتقده هو، لا ما يعتقده غيره لكن ماذا لو كان هو حال الطرف
الآخر؟

ففي مثل هذا الوضع قد يتعصب كل طرف لموقفه ويدعي أنه وحده من يملك
الحقيقة، ليتحول الحاجب بموجب ذلك إلى عراك وخصام قد تحضر فيه كل أنواع
القذف والشتم والخروج عن التعفف وحدود اللياقة والاحترام.
إن من يجادل في مثل هذا الظرف لا يجادل لأجل الحقيقة، بل لأجل دعواه، صادقة
كانت أو كاذبة ولتحقيق مبتغاه يلجأ إلى مختلف أساليب الوعد والوعيد والترغيب
والترهيب فما دام الهدف هو النصر والغلبة، فلا يقبل أحد ولا يرضى أن ينكشف
بمظهره الضعيف والمغلوب.

حيل الحوار

يلاحظ الناظر إلى عالم اليوم أن التواصل أضحي سمته ووصفه، وأن الإقناع مراده ومطلبه وأن الحوار نهجه وطريقته، وأن الحجة آله وسلاحه فهذا محاور زاده الحجة إن هو عدمها فوت على نفسه فرصة حقيقية وخسر المجادلة، وذلك سياسي يدافع عن برنامج الحزبي بشتى الوسائل، واصفا كل معترض بشتى النعوت، وثالث إنسان عادي بنى حياته اليومية على الحيل والمكائد، وقس على هذا المنوال في تحديد أصناف الناس وطبائعهم، وعليه يمكن التسليم بأن من النظار من لا يقصد إلا نصرة الحق، ومنهم من ينصر ما اعتقده بغير دليل، وصنف ثالث لا يبالي فيما صرف كلامه، فتراه يستجمع حججه دون مراعاة مدى صحتها ومشروعيتها.

وعليه، ما كان الهدف من كل عملية حجاجية هو الاقتناع، وجب الالتزام بمجموعة من الضوابط النظرية والعملية حتى لا ينفلت الخطاب ويخرج به المخاطب عن سياق القول، وعن قصد المتكلم، ولتلافي مثل هذه الانزلاقات، وجب الاحتراز من أي استخدام لحجة ما لأغراض تمويهية وتضليلية.

ذلك أن سمة المغالط تكمن بالأساس في استناد إلى أساليب تضليلية وتمويهية تقوم على الإخفاء والتعتيم، ومع ذلك يحاول أن يجريها مجرى منطقيا حتى يخدع الخصم ويجعله يأتي بفعل زميم، أو يظهر بمظهر مضحك، كل هذا يقتضي العمل على تبيان المقصود من كل كلام موجه لغيرنا، بنفس الكيفية التي نحن مطالبون بتدبير كل كلام يتوارد علينا.

فمن تلفظ بلفظ فعليه تحديد المعنى الذي قصد إليه، لأن ذلك هو السبيل لتلافي أي تغاير بين المقصود والمفهوم، وبالجملّة، وجب على العارض، كما على المعارض أن يجتهد في ضبط اللفظ وتهذيبه وصيانتته من كل ما يمكن أن يخل بمعناه ويعيق عملية الفهم والإفهام ما دام متبغى المغالط هو الإيقاع بخصمه، فإن عماده استخدام سبل ترغيبية وترهيبية قادرة على صرف الخصم عن الهدف الحقيقي، وهو ما يجعلنا نلخص سمته الأساس في كونه شخصا يظهر خلاف ما يبطنه، سائلا كان أم مجيبا. فهو قادر بأساليبه التدليسية والتمويهية على إلباس الكذب صفة الصدق، والباطل صفة الحق.

فقد يأتي بحجة مقبولة ظاهريا لكنه في الباطن يراعي حجة أخرى مموهة وهدفا آخر تغليظا.

فأعظم سلاح المغالط هو التدليس والتلبيس، أي ديدنه أن يعتمد الحجج الملتوية المرائية وأن يدع المستقيمة منها.

ولما كان الإنسان أثر لتلك المرائية وهرع إليها، لما في طبعه من أنانية ومحبة للذات، إذ ليس عنده أوغل في المهانة من رؤيتها منكسرة ذليلة ولما عرف به من ميل إلى الخديعة والمكيدة، ولما أحطت به من أن طريق قويم الحجج وصائبها أضيّق، وأن طريق ملوي الحجج وكاذبها أرحب وجب فحص هذا النمط من الحجج المرائية والمموهة قصد الوقوف على طبيعتها، ومن ثم تحديد سبل نقضها.

ذلك أن كل معتمد على حجج مموهة يفرض علينا خيارين:

إما أن نبين مكن المغالطة فنقطع عليه مكالمته وإما أن نجاريه في ذلك، ونعمل على التصدي له ونقض مغالطته.

وما دام الأمر كذلك فقد بانت أهمية العلم بالمغالطات للاقتدار على نقضها والتصدي لمختلف أساليب التضليل والتغليظ.

فعلى ناقض المغالطات أن يكون داريا بأصول وضوابط الصناعة، وأن يمتلك قدرات تحليلية وتقويمية تمكنه من اكتساب مختلف آليات العرض والاعتراض فمن علمها وعمل بها نجح في أن يقطع على المغالط تدليله، وربما عكسه ضده، وقلب الحجة عليه.

ولئن كان من يجهل القانون لا يعذر، فإن من يجهل هذه الحيل أو المغالطات أولى به أن يغلب ويهزم، فمن أتقن هذا النوع من الجدل وأجاد أساليبه، فالنصر حليفه سواء في ذلك أكان محقاً أو مخطئاً.

وبيان ذلك أن يقال أن الحق ما قويت حجته وأن الباطل ما ضعفت حجته. وبالتالي فمن حاز قوة الحجة فقد حاز الحقيقة، ومن عدم قوتها فقد عدم الحقيقة ثم إنه لما كان الإنسان شديد الاعتداد بنفسه مداحاً لها ثناء عليها. فإنه يميل إلى تصور نفسه المالك الوحيد للحقيقة وليس طرفاً في بنائها. فالحقيقة ما يراه ويعتقده هو، لا ما يعتقد غيره لكن ماذا لو كان هذا هو حال الطرف الآخر؟

ففي مثل هذا الوضع قد يتعصب كل طرف لموقفه ويدعي أنه وحده من يمتلك الحقيقة ليتحول الحجاج بموجب ذلك إلى عراك وخصام قد تحضر فيه كل أنواع القذف والشتم والخروج عن التعفف وحدود اللياقة والاحترام.

وإن من يجادل في هذا الظرف، لا يجادل لأجل الحقيقة، بل لأجل دعواه صادقة كانت أو كاذبة ولتحقيق يلجأ إلى مختلف أساليب الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فما

دام الهدف هو النصر والغلبة، فلا يقبل أحد ولا يرضى أن ينكشف بمظهر الضعيف والمغلوب.

رد على هذا أن إثباتنا قد يكون صادقا ولكن حجتنا ضعيفة أو كاذبة، وبالمقابل فإن إثبات الخصم قد يكون كاذبا، ولكن حجته قوية، ولهذا تنشأ فينا قناعة تفضي بضرورة مهاجمة الخصم.

وخلاصة القول

أنه لا حقيقة إلا بالحجة. فمن عقل الكلام عقل حجته، ومن كلم العقل فقد تكلم بحجج مقنعة.

فأنا أقف في هذا الكتاب البسيط على نماذج من الحيل التي يُستند إليها عندما تتنازع الأطراف المتحاجة وضعا معينا فقد يسعى كل طرف أو أحدهما إلى النيل من خصمه فاعتماد مختلف الوسائل المتعلقة بالأقوال والأحوال.

وتتفرع سبل التخليط إلى تلك التي تبني على اللغة باستخدام حيل لغوية من قبيل إخفاء القصد واستغلاق العبارة واستعمال مقدمات كاذبة.

وطي بعضها وإخفاء محل الكذب، وغير ذلك من السبل الكفيلة بجعله يمرر خطابه ويجعل حجته مقبولة على الأقل ظاهريا.

أما النمط الثاني فيقوم على استخدام أساليب سلطانية من قبيل التهجم على الشخص والاستعانة بالسلطة والجمهور، وغيرها من الأساليب القائمة على الإكراه المادي والمعنوي.

وبالجملة نصنف سبل التغليظ إلى تلك التي تركز على الاستعجام والاستغلاق والتمويه، وأخرى تقوم على التغالب والاستعلاء، وعليه يتبين أن قارئ هذا الكتاب يدرك مدى أهمية معالجة موضوعات المغالطة، وبهذه الطريقة التي أعالج وأؤكد على أن الغرور هو السمة الأساس عند الإنسان وأنه لو اعتمد على النزاهة الفكرية وانشغل بالحقيقة لما كان هناك داع لمثل هذا الكتاب.

ولكن السعي الدؤوب إلى إثبات الذات وعدم النزاهة الفكرية وعدم انشغال الناس بمطلب الحقيقة بعكس أهمية هذا الكتاب.

-فلو كنا نزهاء لما بحثنا عن الحقيقة، ولكن الناس ميالون إلى الثثرة وإلى الكلام قبل التفكير، وإلى إظهار عكس ما يبطنون حتى عندما يظهر كذب ما يدعون. إن مثل هذا الكتاب يجد تبريره الأول في ضرورة العودة إلى الاهتمام بدراسة الحاجج بما هو فاعلية جدلية أمرها أن تجمع بين الفهم والإفهام، والإقناع والاقتناع في نصر الحقيقة وإحقاقها.

وكون الحجج والأدلة والبراهين هي المهمة الأساسية لكل من يعمل في حقل القانون عموماً ولا يجب علينا أن نغفل أن كل هذا هو الأدوات الحقيقية لرجل القانون والتي يجب أن يكون على دراية بها لكي يكون العمل منظماً مرتباً لا عشوائياً بدون غاية أو هدف.

فإن ما نشهده من تحول إبستمولوجي يقطع مع اليقينية، لتبني النسبية فلا شيء نسبي، إنما فرض العقل الحديث أنه بني على اليقين والمطلق، وهو ما ليس يرتضيه العقل النقدي المعاصر الذي شأنه المراجعة المستمرة، والذي ديدنه التصحيح والتعديل المتوازيين، فإن استعاد الوهم والخطأ مكانتهما وهجر الهامش لينافسا

الحقيقة على المركز لذلك منهج الدحض والقابلية للتكذيب عند كارل بوبر الذي اعتبر كل نظرية علمية قابلة للتنفيذ، من حيث أن المغالطات هي الأخرى أقدر على تبكيث الدعوى وتسفيهاها، إذا لا دعوى إلا وممكن تنفيذها، فكان أن عاد أهل الاختصاص إلى السفسطة وأعلامها فأنصفوهم اذا هم ظلموا، وأكبروهم إذا هم نجسوا، وبعثهم إذا هم أميتو.

إن هذه العودة تجدها مثلاً عند المدارس الهولندية في كتاب السفسطات من منظور تداولي جدلي، كانت الغاية منه عند إيملر وخروتندروست إدماج السفسطة في الحوار النقدي بعد إجراء التحويلات اللازمة عليها، وتلافيها عندها مبلان في كتابه السفسطات، وعند وودز ووالتون في كتابهم الحجج منطق السفسطات هذا ما يبين أهمية المغالطات ولزوم إملاء العناية بها - إن الحوار النظاري من أهل الاختصاص نوعان:-

أحدهما قائم على التعاون وفيه نستند إلى مسالك عقلانية نقدية أمرها أن توصلنا، أن نحسن التزامنا بضوابطها، إلى تحصيل المطلوب، وذلك هو الحوار أو التفكير النقدي عند المدارس الهولندية وصاحبها فإن أمبرن وخروتندروست. أما الآخر فحوار يقوم على الإعجاب والتغالب والاستعلاء وأن نقصد فيه إلى الإقناع إما بالحجة المغلطة المضللة، أو باعتماد طرق القوة والعنف والإكراه المادي والمعنوي.

ذلك هو الحوار المموه أو قل الجدال المرائي أو المشاغي فنبدأ في هذا الكتاب بوضع تعريف للجدال فنقول أن الجدال المرائي: هو فن للمحاكمة سبيله أن يجعلنا دائماً على صواب، أي بما هو مشروع وغير مشروع أي يجمع الوسائل المتاحة

فأفاد هذا أمرين قام أحدهما على الآخر وتعاركا بأيديهما أن هذا الجدل قصده الغلبة ومرامه الانتصار.

والآخر أن من بغى دينك، استوسل المشروع من الأمور وغير المشروع منها واحتال وكاد لما الأمر، كذلك استسفر عنه واستفهم، فكان منتهى الفهم أن وجد الكبرياء الفطرية للكائن الآدمي شأنها أن لا تقبل أن يظهر إثباتا كاذبا، وأن لا تقبل أن يكون إثبات الخصم صادقا - أن يغلب المرء ويهزم، فتلك هي الذلة والشماتة، لذلك ترى الواحد منا يفرغ الجهد ما أمكنه ذلك ذودا عن كبريائه وصونا لها، فيعتمد إلى صادق الحجة وصحيحها أو قل مستقيمتها إن هو آنس من خصمه ميلا إلى الحق وإيثارا له أو يتحجج إلى كاذب الحجة وخطئها أو قل ملوئها، إن هو لقي من الخصم تعسرا واعتياصا.

والذي عند الرجل هي أن الحقيقة ملك لذاك الذي حصل على حجته مستقيمتها وملتويها، وإن الحجة سلاح دأبه أن يفرض الحقيقة فرضا وينتزعها انتزاعا، وقوة ديدنها أن تضع الحقيقة وضدها الباطل وفي هذا عمق نظر عظيم درك. فإن كان نيتشه أعمل تقويضه ومطرقته في مواضع الفلسفة أو قل أصنامها، فكان أن استفرد برأي في الحقيقة غريد عجيب لما أعدها إنتاجا بل صناعة بيد الأقوياء أي مفعولا لإرادة القوة، فإن هذه الفكرة تجد حضورها التكويني إذ لا وجود للحقيقة إلا تلك التي تملك قوة الحجة أو قوة السلطة أو هما معًا.

إن الجدل إذاً، إن حقق أمره تبين أنه فن أن نكون دائما على صواب ومحقين في ادعاءاتنا وفن لتمرير الدعاوي على أنها صادقة، فهو إذاً ليس ينشغل بالحقيقة الموضوعية مثلما هو الأمر عند أرسطو، ما دامت هذه الأخيرة ليست وجودا وإلا

امتنع الحوار وكف البحث والاستقصاء، ولما قامت للفلسفة قائمة، بل إنها وجود بعدي بقيمة التماور ويناشاء الجدل، وإن كان أرسطو قد فصل بين الجدل (الحقيقة المشهورة) والسفسطة أي (المغالطات) فإنني قد وصلت بينهما. لذلك نجد الكثير من الحيل التي أوردتها في هذا الكتاب مأخوذة من كتاب الجدل والسفسطة لأرسطو.

لما علمت سابق العلم أنه ليس يميز بينهما لوحدة غرضهما ومشارك مقصودهما. وأعدد في هذا الكتاب 38 حيلة شأنها أن تنصر الدعوى (الحق) أو تحق نقيضها (الباطل) وهي المعروفة عند أرسطو باسم المواضع الجدلية في كتاب الجدل، المواضع المغالطية أو الأمكنة المغلطة في كتاب المغالطات، المواضع الخطائية في كتاب الخطابة

ويؤاخذ على اهتمامه بالجانب النظري وإغفاله الجانب التطبيقي العملي، هذا الجانب الذي انصرفت عناية صاحبا إليه يقول:-

أكب أرسطو في الطوبيقا بروحه العلمية المعتادة، على تأسيس الجدل بطريقة جد منهجية ونسقية الأمر الذي يستحق إعجابنا وإن كان الهدف _وهو هنا عملي بالطبع_ لم يتحقق فعلا.

لا يبدو لي أنه بلغ هدفه، وقد حاولت معالجته بشكل مغاير وبالجملية فإن هذه الحيل جميعها تؤول إلى أسلوبين هما:-

1-الحجة على الموضوع

2-الحجة على الذات

وإلى طريقين:-

دحض مباشر

ودحض غير مباشر

ينقسم إلى العكس والحجة الفرعية بالنسبة للأسلوبيين، أعتقد أنهما وردا على التوالي عند أرسطو في كتاب الجدل باسم تبكيت الحجة وتبكيت الخصم. ولكنني أود أن أثير ذلك الإبهام واللبس بل الخلط أحيانا في بعض المفاهيم المحصورة العدد، نذكر منها خاصة *hominem* إذ أن جل الكتابات تكاد تتفق على أن معناه التوجه إلى شخص الخصم والطعن فيه، أو هو بتعبير أحد الباحثين في مجال الحجج ذلك المسلك الحجاجي الذي يقوم على القدرح في شخص المخالف في الرأي.

وقد بُني هذا الفهم، حسب ما نظن، على اجتهادات دوجلاس ووالتون وتأويلاته. وبعد كل هذا التمهيد لما يحتويه هذا الكتاب الذي يتضمن مضمون فكرة الدفاع وسبله والأسلحة التي يجب على المحامي استخدامها لكونها صلب عمله ومناطق المواجهة التي تحتتمها عليه طبيعة عمله مدافع عن موكله أيا كانت أسبابه ودواعيه كما أن الذي يحتويه هذا الكتاب هو: مجموعة من القواعد الأساس غاية في الأهمية في كتابة المذكرات وكافة الأوراق القانونية.

أولا: حرب الكلام

إن هذا الفن من الحوار الذي هو المطارحة، لا شيء جد مألوف وأيضا جد عاد أكثر من هذا التجاوز بين متجادلين أو أكثر، والذي خلاله تتقرر سيطرة أحدهما.

ومع ذلك يتطلب هذا الاختبار لقدراتنا على الإقناع في علاقتنا بالغير ومعرفة بأصول لغتنا.

وبالتالي منطقاً معيناً.

هدف هذا الكتاب بالتحديد هو: التشبث بطريقة ممارسة الخطاب التي أهملها كل رجال القانون تماماً في الواقع منذ منطق بول رويال ونقد العقل الخالص إلى ظهور المنطق المعاصر مع فيرجه، وكذلك تحليله للقضايا المعربة عن حقيقة أو أسلوب صحة تقترب موضوعيته من اليقين الرياضي، هو من اليوم فصاعداً المقبول، أما القضايا الاحتمالية والمرجحة، والصادرة عن الرأي أو المسكوكات (الصور النمطية) فمستثناة من الفحص المنطقي، بقدر ما لا تستطيع أن تقدم أي قيمة أو ميزة علمية.

ومع ذلك، يجب الاتفاق على أن معظم العبارات التي نعبر عنها في علاقتنا بالغير هي أكثر بعداً عن الصرامة العلمية أو الفلسفية في الغالب، الناس مكرهون في المطارحة أو في أسوأ منازعة على تقديم شبه الحجة أو ظل بينة ما. في الواقع، الكل مدفوع بالرغبة في تأكيد أفكاره أو آرائه دونما كثير اهتمام بالتفكير والصرامة.

وحدهما من يجتلبان قوة الإقناع وإظهار الشعور بالتفوق على المخاطب في هذا الصدد ليس يزي أي وهم فيما يتعلق بغرور الناس:

لو كانوا جميعهم يستطيعون النزاهة الفكرية بالانشغال أولاً: بالحقيقة فلن يكون ثمة مبرر لتأليف هذا الكتاب، لكن الحاجة الدائمة إلى أن نكون على صواب بأقل ثمن، أي دونما كثير تدقيق ودونما بحث عن البيانات المحسوسة.

أليس شيئاً آخر غير أن التعبير عن فساد النوع الإنساني؟
من الساذج إذاً الاعتقاد أن الرغبة في الحقيقة سبيلها أن تظل مستمرة في الناس
باقية، وأنهم فقط مضايقون بمنطق قاصر ومعرفة ناقصة بقوانين المنطق.
إن ما يهيمن في الحوار هو من طبيعة أخرى:-

وهي إرادة إثبات الذات وتغليب ما نسميه الكبرياء الفطرية على حساب رؤية يقينية
وموضوعية نسبياً للأشياء أن ممارسة الخطاب تتم في شروط غريبة تماماً عن كل
انشغال نظري وفلسفي، ومعظم الأبطال لا يترددون في اللجوء إلى كل أشكال عدم
النزاهة الفكرية وفاسد الطوية.

محضور متحاورين من هذا النوع، أولئك أنفسهم الذين نواجههم يومياً، لا يكون
حال المنطق مهم فقط، لكنه محكوم عليه بالفشل أيضاً.

وبالتالي يظهر مطلب الحقيقة بوصفه أقل هموم معظم الناس شأنًا، خاصة
السياسيين كخطباء يجهلون اليوم حتى السفسطة فالموقف ونحن في الحالة هذه
وباتجاه الوضعية المفروضة والتي نحن في الغالب مساهمون فيها، ولكنه يسير بعكس
كل ما علمه التقليد السقراطي.

ولا يتعلق الأمر هذه المرة بإيجاد الحكم الصحيح عبر اللونجوس، وبالتلصص
تدريجياً من باثوس الخطاب.

بالمقابل يوصي فيلسوفنا التوصية الوقحة بالإقامة في مواقف الغير، وبتبني طريقة
استدلاله أحياناً لأجل استخدام ضعفه.

علاقة القوى هذه غريبة عن الجدل هذا الفن الحوارى المدشن من طرف أفلاطون، ولكنها تمثل في الواقع جدلا مرثيا (مشاغبيا) أي فنا للمطارحة نتيجة الغلبة أو قل هزيمة الآخر.

يحد هذا الفن بأنه تطبيقي خالص. بشكل يجعله خاليا من كل غاية نظرية أو تأملية وما دام الغير بكثرة الاستدلالات المضللة والإثباتات الأكثر أو الأقل تحكيمية، يربكنا، ويردنا إلى الدفاع، فإن الحل الوحيد هو التأقلم مع لعبة اللغوي ليس لأجل اكتشاف حقيقة ما، بل لإيجاد حجة تجرد الخصم من سلاحه، وبالنظر إلى ضرورة أن تكون على صواب بطريقة ما، ورفض ترك المحاور يسيطر عليك بخطاب مموه، يجب اللجوء إلى استراتيجيات مخصصة ومعدة لإنقاذنا من الزلل.

تطلب هذه الوضعية إذاً تقنية، حيلة ومهارات خاصة لأجل التخلص من الفخاخ القولية التي ينصبها لنا الغير، أحيانا دونما خبيث نية.

إنه لمن المفيد إذاً تشكيل سلسلة من وضعيات المطارحة وتبادلات الحجج، نستطيع من خلالها تحديد ما أسميه الحيل وهي تشترك في هذا مع الاستراتيجية العسكرية التي هدفها الوحيد المتبع هو غلبة الآخر بتجريده من السلاح التجريد الأتم.

ليست الحيلة قاعدة منطقية، ولا تقنية براجماتية خالصة لمكان التخلص من اللامناسب، ولكنها طريقة للمسك بخطاب الغير متلبسا لأجل ترذيله، فلقد أخذت العديد من الأمثلة من أرسطو وشيشرون وكانتليان، هؤلاء المنظرين الأوائل لسلطة القول.

كشكل الحيل الثمانية والثلاثون المعروضة في هذا الكتاب موضعاً، بالمعنى القديم، أي مجموعة من المواضع الخاصة، والمواضع المشتركة، يشير كل منها إلى حالة خاصة

من أسلوب صراع المطارحة كان من الممكن، بالتأكيد، أن تكون اللائحة جد طويلة، ويمكن للقارئ دون شك، فضلا عن الحالات الواقعية التي يتورط فيها تكملتها بالاستناد إلى نصوص الخطابة أو السفسطة القديمة، لكن أيضا بالاستناد إلى بعض كتاب القرن التاسع عشر، مثل بالتازارجراسيان (كتاب إنسان الحكمة خاصة)

يبدو أن تأثير هذا الكاتب في هذا المؤلف قطعيا. حيث أن الامر يتعلق بإيجاد الحدة الأكبر للكلمة، اللفظ اليقين الذي يمكن في أية لحظة أن يحول إلى صالحنا وضعية أصبحت مزعجة إنما الكلمات والحجج خناجر قاتلة نصلها، على الأقل من خلال السخرية أو بالكشف عن حماقة مبالغ في أمرها.

هذه المبارزات الكلامية، في نظري عارية عن كل أمانة ومن كل نبل، ما دامت ستصل إلى درجة أن تحثنا على اللجوء إلى إهانة المحاور لما يوشك أن يفرض حججه. إنه لصحيح أن رأي الفيلسوف هو أيضا بعيد قدر الإمكان عن إنسانية، إذ أن لسان حاله أن الحقيقة الوحيدة المثل هي انتصارنا الخاص، حتى لو كان يعرف أكثر من غيره أن السيد الحقيقي للعبة هو في النهاية اللغة وإمكاناتها غير المتناهية.

ثانيا: الجدل المرائي

إن الجدل المرائي هو فن للماحكمة، سبيله أن يجعلنا دائما على صواب، أي بما هو مشروع وغير مشروع (أي بجميع الوسائل المتاحة، في الواقع، يمكن أن. -يستعمل المنطق والجدل في الغالب كمترادفين عند القدماء، وعند المعاصرين أيضا.

2- سيكون مصطلح مرأى (مشاغي) كلمة صعبة جدا للدلالة على نفس الشيء.
ضم أرسطو (حسب ديوجين الايرسي ص 7، الى 28)
الخطابة والجدل اللذين يهدفان إلى الاقناع ثم الأناطيقا (التحليل) والفلسفة
وغايتهما الحقيقية.
الجدل هو فن الخطاب الذي بواسطة ندحض شيئا ونرفضه بأدله، وهذا من خلال
أسئلة وأجوبة.
(المتناقشين - ديوجين اللايرسي، 4، (حياة أفلاطون) ميز ارسطو بالتأكيد: أ)
المنطق أو الأناطيقا. كنظرية أو منهج للوصول إلى استنتاجات معتبرة ومتبناة على
أنها صحيحة - احتمالية (الطوبيقا | الفصل أو 12) دون أن يكون قد برهن على
أنها كاذبة)
ولا على أنها صادقة (في ذاتها ولذاتها) لان هذا ليس هو المهم، وإلا فأى شيء هو فن
أن نكون على صواب، أن لم تكن في أعماقنا على صواب أولا؟
إذاً، أنه فن الوصول إلى ظاهر الحقيقة دون الاهتمام بموضوع المطارحه.
لهذا كما قيل في البدايه، ميز ارسطو النتائج المنطقية والجدليه، كما تمت الاشارة
إليه للتو، ثم 3) الاستنتاجات المرائية (المشاغبية) التي تكون فيها الصورة النهائية
صحيحة، لكن الدعاوى نفسها، الماده، ليست صادقة، غير أنها تبدو كذلك وأخيرا
4) الاستنتاجات السفسطائية (السفسطة).
التي تكون فيها الصورة النهائية كاذبة بيد أنها تظهر صحيح.

هذه الأشكال الثلاثة هي، في الواقع، جزء من الجدل المرائي ما دامت تسعى جميعها ليس إلى الحقيقة الموضوعية، بل إلى الحقيقة الظاهرة دون الاهتمام بها، وبالتالي إلى أن نكون دائما على صواب.

لم بنشر كتاب الاستنتاجات السفسطائية إلا فيما بعد زبشكل منفصل لقد كان اخر كتاب في الجدل.

نكون_موضوعيا_ على صواب فيما يتعلق بالمجادلة نفسها، ولكننا مخطئون كليا في نظر الأشخاص الحاضرين، وأحيانا كذلك حتى بالنسبة لأنفسنا في الحقيقة لما يدحض الخصم حجتي، وبما أن هذا يعني دحض إثباتي نفسه، الذي قد يكون مع ذلك مدعما بحجج أخرى، في هذه الحالة بالطبع، العلاقة تنعكس عند خصمي: إنه على حق مع أنه مخطيء موضوعيا. ومن ثم فالحقيقة الموضوعية لقضية ما وصحة هذه الأخيرة بالنسبة إلى إقرار المعارضين والمستمعين بها، هما شيئان متميزان كثيرا (الأخيرة يرتبط الجدل).

ما مصدر هذا؟

لا شك أن مصدره الدونية الطبيعة للنوع البشري لو لم يكن الأمر كذلك، كنا نزهاء أكثر، فلن نبحت، في أي مجادلة، إلا عن الحقيقة دون الاهتمام بمعرفة إذا كانت مطابقة للرأي الذي دافعنا عنه بداية أو لرأي الخصم الذي لن تكون له أهمية أو قل سيكون ثانويا.

ولكن ذاك الاهتمام هو منذ الآن، فصاعدا الأساس، فالكبرياء الفطرية سريعة الانفعال لاسيما فيما يخص الملكات العقلية، إذ ليست تقبل أن يظهر إثباتنا كاذبا، وليست تقبل أن يكون إثبات الخصم صحيحا بالتالي كل واحد يلزمه ببساطة أن

يجد كي لا يعبر إلا عن أحكام صحيحة، وهذا ينبغي أن يحث على التفكير أولاً ثم على الكلام ثانياً.

لكن الكبرياء الفطري (الطبعي) عند معظم الناس مصاحب دائماً بحاجة إلى الثرثرة وعدم النزاهة الفطري فهم يتكلمون قبل أن يفكروا وحتى لو هم نبهوا قبل فوات الأوان إلى أن إثباتهم كاذب وأنهم كانوا على ضلال، عمدوا إلى حفظ ماء الوجه عبر إظهار العكس أن سعيهم إلى تحصيل الحقيقة، التي يجب.

بدون شك أن تكون الدافع الوحيد الذي يحركهم خلال إثباتهم دعوى ما يفترض أنها صادقة ينتفي كلياً أمام مصالح كبريائهم: فالصادق وجب أن يظهر كاذباً والكاذب صادقاً.

ومع ذلك فعدم النزاهة نفسه، والإلحاح على الدفاع عن دعوى تبدو لنا أنفسنا كاذبة بالفعل يمكن أن يكون معذوراً: إنا غالباً ما نكون في البداية مقتنعين الاقتناع كله بحقيقة إثباتنا، ولكن ها هي حجة خصمنا يلوح أنها ستدحضه، وإذا نحن تخلينا في الحال عن الدفاع عنه، غالباً ما نكشف فيما بعد أننا كنا على صواب، وأن دليلنا كان كاذباً، لكن إثباتنا كان بالإمكان أن ينهض على دليل أقوى. إن الحجة المنقذة لم تخطر ببالنا فوراً.

وعليه، ينقدح فينا المبدأ الذي يقول بوجوب مهاجمة حجة الخصم حتى ولو بدت صحيحة وحاسمة، متيقنين أن صحتها ليست إلا ظاهرية، وأنه ستجد خلال المطارحة حجة قادرة على دحضها، أو على أن تؤكد حقيقتنا بطريقة أو بأخرى. وبالتالي، نحن شبه مجبرين على أن نكون كذلك بهذه الطريقة، يتعاوض ضعف ذكائنا وفساد إرادتنا تعاضداً تبادلياً، ينتج عن هذا، على العموم، أن الذي يناقش لا

يتصارع من أجل الحقيقة وإنما لأجل دعواه، كما لأجل الدين والبلد ويتصرف بحسب ما هو مشروع وما ليس بمشروع، ما دام _ كما بينا _ ليس يمكنه أن يقوم بغير ذلك على العموم، سيسعى كل واحد إلى الدفاع عن قضيته حتى لو بدت له حينئذ كاذبة أو مشكوكا فيها.

أما فيما يتعلق بسبل تحقيق.

يوصي ميكافيلي الأمير بالاستفادة من كل لحظات ضعف جارة لمهاجمته، وإلا فإن هذا الأخير يمكن أن يستفيد من اللحظة التي يكون فيها الأمير في وضعية ضعف.

إذا سادت النزاهة، والبراءة، فالأمر مختلف لكن، بما أنه لا يمكن التعويل على هاتين الفضيلتين، ما وجب تطبيقهما ما دام لا يثاب على فعلهما.

الأمر نفسه في المطارحة : إذا اعترفت بصواب خصمي بمجرد أن يلوح على أنه على حق، فإنه احتمال ضئيل أن يسلك بالطريقة نفسها نحوي.

سيتعامل بالأحرى بما هو غير ذلك، فتتوقف في جزء منها على استعداداته الشخصية للدهاء والدناءة هذا ما تعلمنا إياه من التجربة اليومية للمطارحة لكل جدلة (ديالكتيكية) الطبيعي، كما له منطق الطبيعي. لكن الأول بعيد كل البعد على أن يقودنا بكل أمان كالثاني فليس من السهل على أي شخص أن يفكر أو يستنتج بعكس قوانين المنطق، والأحكام الكاذبة كثيرة والاستنتاجات الكاذبة قليلة. وإذا لم يظهر شخص بسهولة، نقصا في المنطق الطبيعي يمكن على العكس أن يظهر نقصا في الجدل الطبيعي إنها هبة من الطبيعة ليست بالقسمة العادلة (تشبه في هذا ملكة الحكم بما هي قسمة غير عادلة في حين أن العقل هو في الحقيقة قسمة

عادلة) إنه غالبا ما يحدث، ولو أننا على صواب، أن نقحم ارتباكا أو ندحض بواسطة حجة مموهة، أو العكس وذاك الذي يخرج منتصرا من المجادلة، غالبا ما يدين بنصره ليس فقط بصحة حكمه لما كان يدافع عن دعواه، وإنما أيضا للمهارة والبراعة اللتين دافع بهما الدعوى.

هنا وكما الأمر في جميع الحالات، نعتبر الفطري (الطبيعي) المرشد الأفضل مع ذلك، بالتمرس والتفكير في أشكال المهارات القادرة على رد الخصم أو تلك الوظيفة من طرفه لرد الآخر، يمكن أن تكون لنا حظوظ كبيرة لكي نصبح معلمين في هذا الفن، وعليه رغم أن المنطق ما كانت له منفعة عملية حقيقية، فإن للجدل منفعة. ويبدو لي أيضا، أن أرسطو قد اعتبر منطقة المسمى بالأنالوطيقا (التحليلات) أساسا. كتأسيس مشروع بيرنفاس، ويجب إذاً أن أقوم بالأمر نفسه. من السهل القول أنه يجب البحث عن الحقيقة فحسب دون ذلك إرادة تبجيل دعوانا، لكن بما أنه لا يمكن افتراض أن الخصم سيقوم بالأمر نفسه، وجب الانصراف عن ذلك. إضافة، إذا كنت مستعدا للتنازل مع ذلك عن دعوي فحصتها بعمق قبلا، بمجرد أن يظهر أن الآخر على صواب، ممكن أن يحدث بسهولة، أي أن اتنازل عن الحقيقة لاتبني الخطأ، متأثرا بانطباع عابر وإعداد للجدل، ومعتبرا هذا الأخير العنصر الأهم، فالمنطق يهتم أساسا بصورة الدعاوي المقدمة، والجدل ببالغ الدقة، كما فعلت أنا: هو يشير بالتأكيد إلى المطارحة كهدف أساس، ولكن أيضا إلى البحث عن الحقيقة، وفيما بعد، استطرد قائلا إننا نبحت فلسفيا الدعاوي حسب الحقيقة، وجدليا حسب المظهر أو حسب إقرار ورأي الآخرين.

لا بد أنه كان على وعي بالتمايز الواضح بين الحقيقة الموضوعية لدعوى ما وطريقة فرضها أو جعلها مقبولة. ومع ذلك فهو لا يميز بينهما بوضوح تام لأجل ألا يعزوا للجدل إلا هذه الغاية الأخيرة.

ومن جهة أخرى، في كتابة التبيكات السفسطائية أجهد نفسة لتمييز الجدل (الديالكتيك) عن السفسطة وعن المراد (المشاغبة) سيكون الفرق هو أن الاستنتاجات المرائية (المشاغبية) أو السفسطائية كاذبة (هاتان الاخيرتان تختلفان فقط من حيث غايتهما :

فيما يتعلق بالسفسطة، فهو الاعتماد الذي يمكن استخلاصة منها، والنقود التي يمكن ربحها بهذه الطريقة معرفة ما إذا كانت دعاوي ما صادقة من حيث مضمونها، هي دائما جد معرضة للشك في أن نتمكن من أن نستخرج منها معيارا فارقا وذاك الذي يشارك في المناقشة هي الأقل جدارة لامتلاك يقين تام حول هذا الموضوع، حتى نتيجة المطارحة ليست تنبئنا الكثير حول هذه النقطة.

يجب علينا إذاً أن نجمع تحت مصطلح الجدل الأرسطالي السفسطة، والمرائية (المشاغبية) والمتحنية (أو فن امتحان الأفكار) وتعريفه بوصفه فنا أن نكون فعلا على صواب، لكن بالنظر إلى عقلية الناس هنا غير كاف في ذاته، وبالنظر إلى فاهميتهم فإن هذا ليس من هذا المنطق، فالقواعد التي يحددها لهذا أحسن وسيلة بالتأكيد هي.

أولا: أن نكون فعلا على صواب، لكن بالنظر إلى عقلية الناس، نجد أن هذا غير كاف في ذاته، وبالنظر إلى فاهميتهم فإن هذا ليس من هذا المنطق، فالقواعد، التي يحددها لهذه الغاية غالبا ما تكون مختلطة بالقواعد المحددة للغاية الأخرى.

وعليه يبدو لي أنه لم يؤد مهمته بشكل صحيح.

ولتأسيس الجدل تأسيسا صارما، وجب اعتباره على الخصوص بوصفه فنا أن نكون على صواب، دونما انشغال بالحقيقة الموضوعية (التي هي مهمة المنطق) الأمر الذي سيكون طبعاً وبالأحرى أسهل متى كنا على صواب بالنسبة لموضوع المجادلة نفسه.

لكن الجدل، بما هو كذلك، وظيفته فقط أن يعلم كيف نقدر على التصدي للهجمات.

ضروريا قطعاً، يتوجب إذاً، أن اليها حيلة أخرى التي وبما انها مستقلة عن الحقيقة الموضوعية، يمكنها أيضاً أن تستعمل عندما نكون، موضوعياً على ضلال. بالنسبة لمعرفة ما إذا كان الأمر كذلك، فليس هناك أبداً يقين حول هذا الموضوع أعتقد إذاً، أن الجدل ينبغي أن يتميز بوضوح أكثر عن المنطق أكثر مما فعل أرسطو:

يجب أن نترك للمنطق الحقيقة الموضوعية بقدر ما هي صوريه، زحصر الجدل في فن أن يكون دائماً على صواب لكن لا يجب، بخلاف أرسطو، أن نفصل كثيراً الجدل عن السفسطة وعن المراء (المشاعبة) ما دامت هذه التفرقة تتوقف على الحقيقة الموضوعية المادية التي لا تقدر أن نعرف عنها أي شيء محدد مقدماً، ونحن مجبرون أن نقول مع يونس بيلات ما هي الحقيقة ؟

لأن الحقيقة في قعر البئر، مثل لديموقريطس وديزجين اللايرسي ص 72، IX من الهين القول أن المطارحة لا يجب أن تهدف إلى أي شيء غير إظهار الحقيقة، لكن المشكل، هو أننا لا نعرف بعد أين توجد، وندع أنفسنا ننخدع بحجج الخصم وحججنا الخاصة.

فضلا عن ذلك، قيل فهم الامر، لنتفق على المفاهيم بما اننا إعتدنا، إجمالاً إعتبار كلمة جدل مرادف كلمة منطق سنسمي مبحثنا الجدل المرأى يجب دائماً الفصل بعناية بين موضوع مبحث ما وموضوع المباحث الأخرى.

مهما كانت طبيعتها، وخاصة للهجمات غير النزيهة وأيضاً كيف يمكننا بدورنا مهاجمة ما يثبتة الآخر دون أن نتناقض مع أنفسنا وخاصة دون أن ندحض.

في هذا المقام، يجب الفصل بوضوح بين (اكتشاف الحقيقة الموضوعية الصدق الموضوعي) وبين تمرير الدعاوي التي نقدمها على أنها صادقة.

إن الأول هو عملية مختلفة تماماً.

إنه صنعة القدرة على الحكم والتفكير، والتجربة وهذا ليس يشكل موضوع فن خاص أما الثاني، فإنه الجدل نفسه.

لقد حدد هذا الأخير باعتباره منطق المظهر، وهو أمر غير صحيح، لأنه لن يساعد في مثل هذه الحالة إلا على الدفاع عن دعاوي باطلة مع ذلك حتى عندما نكون على صواب، فإننا بحاجة للجدل للدفاع عن وجهة نظرنا، ويجب معرفة الحيل غير النزيهة لمواجهتها، لذا ينبغي أن نرجع كثيراً إليها نحن أيضاً، إطاحة للخصم بالأسلحة نفسها، لهذا السبب على الجدل أن يضع الحقيقة الموضوعية، بكل بساطة، الحرص على الدفاع عن قضايانا ودحض قضايا الطرف الآخر من قواعد هذا الصراع، لا نغير الحقيقة الموضوعية اهتماماً، لأننا نجهل في معظم الأوقات أين وجودها.

غالبا ما لا نعرف، نحن أنفسنا، إن كنا على صواب أم لا، غالبا ما نعتقد أننا على حق بينما نحن مخطئون، وكثيراً ما يعتقد الطرفان معا أنهما على حق لأن الحقيقة في قعر

البئر في بداية المطارحة، كل واحد يعتقد عموماً أنه يمتلك الحقيقة ثم يشرع الطرفان في الشك، ونهاية المجادلة⁶⁸، هي وحدها التي بإمكانها إظهار الحقيقة وتأكيدهما، إذاً ما كان للجدل أن يرتبط بهذا، ومثاله أن المدرب على المسابقة ليس يتساءل لمعرفة من كان على حق أثناء الخصام الذي سبب المباراة، بل ما يهمه هو الإصابة والتفادي وهذا ينطبق أيضاً على الجدل بما هو مشادة فكرية متى أدركنا هذا بطريقة أكثر وضوحاً، أمكن اعتباره مبحثاً مستقلاً، لأنه إذا نحن وضعنا كهدف الحقيقة الموضوعية الخالصة، فإننا نعود إلى المنطق المحض.

وفي المقابل، إذا نحن وضعنا كهدف استعمال دعاوي كاذبة، فإننا نكون في السفسطة الخالصة وفي الحالتين، يفترض أننا عرفنا قبلاً ما هو صادق أو كاذب موضوعياً. والحال هذا من النادر معرفة الأمر مقدماً المعرفة الوثقى.

إن التصور الصحيح للجدل هو إذاً على صواب في المطارحة وبالتالي، فهو مصطلح مرء (مشاغي) سيكون هو الجدل المرئي (المشاغي) إنه جد نافع، وإنه دون حق أهمل في الأزمنة المعاصرة.

لا يمكن للجدل إذاً أن يكون سوى خلاصة ووصف لهذه الأشكال من المهارة هبة الطبيعة، والتي يستعملها معظم الناس في المطارحة، عندما يدركون من غير اللائق، في مجال الجدل العلمي، كما نتصوره، هي إعداد وتحليل الحيل عديمة النزاهة (حيل المكر والخديعة) في المطارحة بهدف -في المجادلات الحقيقية- المقدرة على معرفتها حالاً وإبطالها.

⁶⁸ عبارة لديمقريطس، ديوجين اللايرسي 72. يحدث مراراً أن يتخاصم شخصان، وإن كلا منهما ينصرف إلى حال سبيلة مع رأي الآخر

لأجل هذا السبب ما وجب على الجدل أن يقبل كغاية، باعتبار تعريفه، سوى فن أن نكون دائماً على صواب، ليس الحقيقة الموضوعية ولو أنني أنجزت أبحاثاً متقدمة، فأنا لا أعلم إن كان أحد قد قام بشيء أيا كان في هذا المنحى:

يتعلق الأمر بحقل لا يزال بكراً. وصولاً إلى أهدافنا، وجب النهل من التجربة، وملاحظة كيف استخدمت هذه الحيل أو تلك من قبل هذا الطرف أو ذاك، خلال المجادلات التي تثيرها غالباً علاقات الناس فيما بينهم، ثم رد أشكال المهارة هذه، التي تعاود الظهور تحت أشكال مختلفة، إلى مبدأ عام وكذلك إنشاء بعض الحيل العامة التي من المحتمل أن تكون نافعة فيما بعد، سواء في ذلك لاستعماله الخاص أو لإبطالها عندما يستخدمها الطرف الآخر يمكن اعتبار التالي محاولة أولية⁶⁹.

ثانياً أساس الجدل

قبل كل شيء، يجب الانصراف إلى الأساس في كل مطارحة، أي ما يحدث في الواقع. الخصم عرض دعوى (أو نحن أنفسنا لا يهم). ولدحضها هنالك أسلوبان.

أولاً: الحجة على الموضوع (الشيء)

ثانياً: الحجة على الذات أو سابق التنازلات

بمعنى أن نبين إما أن هذه الدعوى غير متوافقة مع طبيعة الأشياء، أي الحقيقة الموضوعية المطلقة، وإما أنها تتناقض مع إثباتات أخرى أو مع تنازلات الخصم، أي الحقيقة الذاتية النسبية. في الحالة الأخيرة⁷⁰.

⁶⁹ حسب رأي ديوجين اللايرسي، من بين العديد من الكتابات الخطابية ليتوفر اسطس التي اختفت جميعها، كان يوجد منها واحد معنون ب جدل حول نظرية المطارحة هنا حقاً مقصدنا.

⁷⁰ يقترح مراد وهبة في معجمة الفلسفي ترجمتها ب حجة شخصيه، فيخلط بينها وبين اد فيرو نيم.

2- وللتفرقة بين الحجة على الموضوع والحجة على الذات

نأخذ المثال التالي: شخص يدافع عن فكرة أن البحر أزرق لدحضها بـ (الحجة على الموضوع) يتعلق الأمر فقط بحجة نسبية لا صلة لها بالحقيقة الموضوعية. نشرح له أن ماء البحر لا لون له، وأن زرقته ناتجة عن انعكاس لون الغلاف الجوي الذي يمتص ألوان الطيف السبعة ما عدا اللون الأزرق فالدحض هاهنا يتوجه إلى موضوع المجادلة أو الشيء المتجادل عليه.

ولدحضها

ب (الحجة على الذات).

نسأله بداية: هل وضعت يوما لونا ما في ماء البحر؟

يجيب: نعم

اللون الأصفر، ثم نستفسر تثنية: ما كان لونه؟

فيرد: اللون الأصفر

ونشرع في بيان أن الألوان منقسمة إلى ألوان أساس وألوان ثانوية وأنه بالأساس نحصل على الثانوية بطريق المزج والخلط بين لونين أو أكثر، ثم نسأله ما اللون الذي نحصل عليه بالخلط بين الأزرق والأصفر؟ فيجيب هو اللون الأخضر.

ها قد حصلنا على تنازلات الخصم وإقراراته، وبقي لنا أن نعكسها ضده هكذا: أنت قلت مزج اللون الأزرق والأصفر ينتج عنه اللون الأخضر، وبما أنك أضفت اللون

ونحن نقترح ترجمتها بالحجة على الذات لاعتبارين : أولهما أن ترجمنا بالذات لان الذات حماة افكار ، وان مقصودنا من ايراد الحجة دحض الافكار أو ما يمثلها، وليس بالانسان لانة يشمل الفكر والجسد. وثانيهما | أن ترجمنا للدلالة على المناقضة والمخالفة. فيما يخص دلالة حرف الجر (علي) انظر كتاب : منطق الكلام، حمو النقارى، الدار العربية للعلوم 2010 ص50

الأصفر إلى ماء البحر وهو فرضيته أزرق اللون فقد لزم ضرورة أن يصير لونه أخضر، وقد اعترفت أن لونه كان أصفر، فهو إذاً لم يكن أزرق. قد تحصل إذاً أن ماء البحر ليس بأزرق.

أما (مايير) فيفرق بينهما هكذا يمكن دوماً أن نخصص زاوية للهجوم ومباشرة المشكل بالتركيز على الأفراد وعلاقتهم – أنه منهج الحجة على الذات باختصار، وبشكل عام يمكن أن تجري المسألة بطريقتين:-

أحدهما: يتمثل في أن تعمل على السؤال نفسه.

والآخر: على العلاقة بين المخاطب ومحاوره.

من هاهنا المظهر الأساس للتفرقة الشهيرة بين الحجة بالذات والحجة على الموضوع⁷¹.

ثانياً: الطريقتان

1| دحض مباشر.

2| دحض غير مباشر.

1| الدحض المباشر

يهاجم الدحض المباشر الدعوى من أسسها

2| الدحض غير المباشر

يهاجم الدعوى من نتائجها

⁷¹ أنظر :

<Adrem Michel meyer qu est ‘ – ce que l ‘ argumentation ,libraire j vrin ,2008,p,58

ان الحجج الصناعية المحايدة لفن الخطابة أو قل مبادئها ثلاث حسب ارسطو هي الباث (طباع الخطيب ومزاحة)، الملتقي (الاستعدادات التي يوضع عليها المستمع)، اللوغوس (الخطاب ذاتة) (انظر عالم الفكر، العدد 2، المجلد 40، اكتوبر ديسمبر

2011، ص29 وكذلك كتاب الخطابة لارسطو، ترجمة عبد القادر قنيني ص15 أو بتعبيرنا :-

المخاطب ويعتبر مايير في كتابة ما هو الحجاج ؟ أن الحجة على الموضوع هي الخطاب اما الحجة على الذات فيمثلها المخاطب.

فيبين الدحض المباشر أن الدعوى غير صادقة
ويبين الدحض غير المباشر أن الدعوى يمكن أن تكون صادقة.
ففي حال الدحض المباشر يمكننا القيام بأمرين
1| إما أن نبين أن أسس إثبات الخصم كاذبة (نفي الكبرى، نفي الصغرى)
2| وإما أن نسلم بالأسس، ولكن نبين أن الاثبات لا يمكن أن ينتج عنها.
نحن نهاجم إذاً النتيجة، صورة النتيجة
أما في حال الدحض غير المباشر

1| إما أن نستعمل العكس.
2| وإما الحجة الفرعية.
العكس: نسلم بصدق قضية الخصم، ونبين حينئذ ما ينتج عنها لما في علاقة مع
قضية صادقة ونستعملها مقدمة لنتيجة والتي تظهر عندئذ نتيجة كاذبة ما دامت
تتناقض إما:
أ| لنتيجة، والتي تظهر عندئذ نتيجة كاذبة ما دامت تتناقض إما مع طبيعة الأشياء
إذ هي ناقضت حقيقة أكيدة تماما، فإننا قد أربكنا الخصم.
ب| وإما مع الإثباتات الأخرى للخصم نفسه، وإذاً فهي كاذبة⁷².

الحجة الفرعية (المثال المضاد)

⁷² هو اثبات قضية ما بإثبات أن نقيضها يقود إلى نتيجة باطلة، مثلا، شخص ينكر أن يكون أرسطو منطقيا، ونحن نريد إثبات نقيض هذه القضية، أي، أن أرسطو منطقي، فنقول : أرسطو هو مؤلف الاورجانون، فإن لم يكن أرسطو منطقيا، لم يكن مؤلف الاورجانون (نتيجة)، وهذا خلق. لكن أرسطو هو مؤلف الاورجانون، إذاً أرسطو منطقي (سقراط في هيباس الكبير ونصوص أخرى)
وبالتالي، الدعوى أيضا كاذبة، لانه من مقدمات صادقة لا يمكن أن تستنبط إلا قضايا صحيحة، ولو أن تلك المستنبطة من مقدمات كاذبة ليست دائما كاذبة.

دحض القضية الكلية من خلال العرض المباشر لحالات معزولة متضمنة في أقوال الخصم، والتي لا يمكن أن تنطبق عليها القضية الكلية، حتى أن هذه ليس يمكن أن تكون إلا كاذبة.

هذا هو البناء العام، وهيكل كل مطارحة

نتوفر إذاً على مبحث هيكله، لأن هذه ما تؤول إليه في الواقع كل مطارحة: لكن كل هذا يمكن أن يحدث واقعياً أو ظاهرياً فقط، ومع أسس حقيقية أو غير حقيقية، وكما في هذا الموضوع، ليس من السهل امتلاك بعض اليقين، فالمجادلات طويلة ومستعرة.

أثناء البرهنة، لا نستطيع كذلك أن نميز الصادق من الظاهري، ما دام هذا التمييز ليس أبداً محدداً من قبل الخصوم أنفسهم لهذا أشير إلى الحيل دون الأخذ بعين الاعتبار واقع أن نكون مصيبين موضوعياً أولاً، لأنه لا يمكن معرفة ذلك بإتقان، وأن هذا لا يمكن أن يتقرر إلا بفضل المطارحة.

فضلاً عن ذلك يجب في كل مطارحة أو محاجة (تدليل طبيعي) الاتفاق حول أمر ما، مبدأ يتم من خلاله الفصل في المشكل المعروض: فليس يمكن مجادلة شخص ينكر المبادئ

Centra negantem princeps non est disputandum >

الحيل القانونية

الحيلة الأولى الاتساع

الاتساع هو تمديد إثبات الخصم إلى ما وراء حدوده الطبيعية وتأويله بأبلغ طريقة عامة ممكنة، وفهمه بأوسع معنى ممكن، والمبالغة فيه.

وفي المقابل، يلزم تقليص إثباتنا إلى المعنى الأكثر حصراً، وإلى أضيق الحدود الممكنة، لأنه كلما صار إثبات ما عاماً، كان أكثر عرضة للهجمات. شأن المدافعة هاهنا أن تفرض بوضوح موضوع النقاش

Le punctus status controversiae

المثال الأول

قلت أن البريطانيين أول شعب في فن الدراما، والخصم أراد أن يجرب حجة فرعية، رداً معروفاً أن لا أهمية لهم بالموسيقى، وإذاً في الأوبرا.

عارضته مذكراً

أن الموسيقى ليست جزءاً من الدراما، فهذا المصطلح لا يعني إلا التراجيديا والكوميديا.

هو يعرف هذا جيداً ويحاول فقط أن يعمم إثباته حتى يشمل جميع أشكال العروض المسرحية، وإذاً الموسيقى، وهذا لأجل أن يكون على ثقة من انتصاره.

وبالعكس، لضمان غلبة إثباته الخاص، وجب أن يحصره أكثر مما كان متوقعا في البداية عندما يكون التعبير المستخدم مساعدا على ذلك.

المثال الثاني

يقول: منح سلام سنة 1814 الاستقلال لجميع المدن التحالفية

ب يجب

بالحجة الفرعية المضادة قائلًا:

إن هذا السلام أفقد دانزيغ الاستقلال الذي منحه لها بونابارت.

أ يتخلص من هذا بالطريقة التالية:

تحدثت عن جميع المدن التحالفية الألمانية، ودانزيغ كانت مدينة تحالفية بولونية

المثال الثالث:

ينفي لامارك (فلسفة علم الحيوان أو الفلسفة الحيوانية – الكتاب 1، ص 203)

كل حساسية عن الأمداخ (ج مديخ)، لأنه لا عصاب لها، وبما أنه مؤكد أنها تدرك أنها تستدير نحو الضوء متنقلة اعتباريا من غصن إلى غصن، فتمسك فريستها، فمن المفترض إذاً أن المادة العصبية عندها موزعة بانتظام في الجسم بكامله، كمدوبة فيه، لأن لها ادراكات واضحة دون أن تملك حواسا متميزة.

بما أن هذا يدحض فرضية لامارك، تراه يحتاج جدليا كما يلي:

حينئذ، يجب أن يكون كل جزء من جسم الأمداخ مستعدا لكل شكل من أشكال الحساسية وأيضا الحركة، والإدارة، والفكر. آنذاك، سيكون للمديخ في كل نقطة الرؤية والإحساس والذوق والسمع... إلخ. وكذلك التفكير، والحكم، والاستنتاج سيكون كل جزيء من جسمه حيوانا كاملا والمديخ نفسه سيكون أعلى منزلة من الإنسان ما دام كل جزء من جزيئاته يمتلك كل الملكات التي ليست للإنسان إلا في مجموعه. زيادة على ذلك لن يكون هنالك سبب يمنع من أن نمد إلى المونادا (الجوهر الإنسان الروحي) الأكثر نقصا من بين جميع الموجودات، ما أثبت للمديخ وفي الأخير إلى النباتات التي هي أيضا جد حية... إلخ. بإستخدام هذه الحيل الجدلية، يكشف كاتب ما سريره، أنه واع بضلاله، فيحول إثباته إلى جسمه بالكامل حساس للضوء، فهو إذاً أمر ذو طبيعة عصبية بأن نقول له أن الجسم كله يفكر.

الحيلة الثانية الجنس

استعمال الجنس لأجل مد الإثبات أيضاً، بإستثناء الكلمة نفسها، إلى ما هو غير مهم، أو أمر ما لا علاقة له بموضوع المجادلة، ثم دحضه بطريقة جلية، والتظاهر بإبطال الإثبات نفسه.

ملاحظة

تسمى مترادفين كلمتان تعينان التصور نفسه، ومتجانسين تصوران معينان بكلمة واحدة فالكلمات قوي وحاد ومرتفع المستعملة أحيانا للأجسام وأحيانا أخرى للأصوات في متجانسات.

أما نزيه وأمين فكلمتان مترادفتان.

يمكن اعتبار هذه الحيلة مماثلة لمغالطة الجنس السابق، ومع ذلك مغالطة الجنس الواضحة، الجدل كل الجد، ما كان لها أن تتخذ أحد⁷³.

كل نور يمكن أن ينطفئ

والذكاء نور

⁷³ 1 | فصل البحث عن الالفاظ المشتركة، منطق أرسطو، نقل أبي عثمان الدمشقي، حقة وقدم له عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت دار القلم – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1980، الجزء الثاني، كتاب الطوبى، المقالة الاولى الفصل 15، ص 510-518.

2-يقول ابن رشد : مثال ذلك :

الحاد فإنه يدل به على معني في السكين ومعني في الصوت فإننا أردنا أن نعلم ما يدل عليه في أحدهما غير ما يدل عليه في الآخر نظرنا.

أولا | اسم الضد في كل واحد منهما فنجد في الصوت الثقيل وفي السكين فنعلم أن اسم الحدة فيهما مشترك
إبن رشد، تلخيص منطق أرسطو، دراسة وتحقيق جبرار جيهامى، المجلد السادس والسابع، دار الفكر اللبناني، 1992، ص 516

إذاً، الذكاء يمكن أن ينطفئ نلاحظ، بسرعة أن هناك أربعة حدود للنور مأخوذاً بالمعنى الحقيقي، والنور، مأخوذ بالمعنى المجازي لكن في الحالات المحكمة يمكن أن يحدث تمويه، لا سيما عندما تكون التصورات المعينة بالعبارة نفسها متداخله، فتختلط.

المثال الأول:

هذه الحالات المختلفة عمداً غير قادرة على التمويه يجب إذاً، جمعها من تجربتنا الخاصة، وسيكون من الأفضل إعطاء كل حيلة إسماً مختصراً وملائماً، بفضلها يكون بالمستطاع فوراً رفض استعمال هذه الحيلة أو تلك عند الاقتضاء. أنت لست مطلعاً بعد على أسرار الفلسفة (الكانطية).

ب عندما يتعلق الأمر بالأسرار، فهذا لا يهمني

المثال الثاني:

أنعت بغير المعقول مبدأ الشرف الذي بحسبه شعور بالخزي بسبب إهانة لحقتنا؟ باستثناء إذا أجبنا بإهانة أعظم أو سفك الدم، دم الخصم أو دمنا. تذرت بحجة أن الشرف الحقيقي ما أمكنه أن يمس بفعل ما نتعرض له، لكن فقط بسبب ما نفعل، لأن كل شيء يمكن أن يحدث لكافة الناس.

يهاجم خصمي مباشرة على أساس أقوالي، فيبرهن لي بطريقة بليغة أنه إذا اتهمنا خطأً تاجراً بالاحتيال أو بعدم النزاهة أو بالإهمال في أداء مهنته إلا بسبب ما تعرض له، والذي لا يمكن أن يمحوه إلا أن يتلقى هذا المعتدي عقوبة ويعدل عن أقواله.

بفضل الجناس، يقيم إذاً الشرف المدني الذي يسمى عادة السمعة الحسنة، والتي يلطخها بالوشاية، مقام مفهوم الشرف الفروسي الذي يسمى كذلك نخوة، والذي نطعن فيه بإهانات. وبما أنه لا يجب التغاضي عن إهانة لنموذج الشرف الأول، بل

معارضتها بدحضها علانية، سيكون من المبرر بنفس القدر الاعتراض على إهانة للنموذج الثاني من الشرف ومعارضتها بإهانة أعظم وبمبارزة، كان هناك إذاً، خلط بين سيئين مختلفين أساساً بسبب جناس كلمة شرف وتعديل في موضوع المطارحة ناتج عن الجناس.

الحيلة الثالثة تعميم حجج نقيضة

التعامل مع الإثبات المقدم نسبي التقديم كما لو كان، بشكل عام بسيط، مطلقا، أو على الأقل فهمه داخل سياق مختلف تماما، ثم دحضه في هذا الاتجاه.

مثال:

الزنجي أسود، لكنه أبيض الأسنان إنه إذاً أسود ولا أسود في الوقت نفسه إنه مثال مختلف لن يخدم - حقيقة - أي شخص. ولناخذ بالمقابل مثالا واقعيا
المثال:

في نقاش ما حول الفلسفة اعترفت أن نسقي يدافع عن الطمأنيين ويمدحهم، وبعد ذلك، وصلنا إلى الحديث عن هيجل فأكدت أنه كتب حماقات⁷⁴ أو على الأقل، يورد المؤلف الكلمات في كثير من مقاطع مؤلفاته، تاركا للقارئ مهمة أن يحدد معناها. الخصم: يحاول خصمي أن يدحض هذه الأقوال بالحجة على الموضوع لكنه يكتفي بالحجة على الذات قائلا:
انتهيت للتو من مدح الطمأنيين، في حين أن هؤلاء الآخرين قد كتبوا كذلك حماقات.

أقر بهذا، لكن الأصوب إثباته قائلا: إنني لا أمدح الطمأنيين باعتبارهم فلاسفة أو كتابا وإذاً ليس لأجل خصائصهم النظرية، لكن فقط بصفتهم أناسا، ولأجل

⁷⁴ يقول ابن رشد ومثال ذلك أن يقول قائل الزنجي أسود، والزنجي أبيض الاسنان فالزنجي أبيض وأسود معا، فإنه قد يمكن أن يعرض في مثل هذا الغلط إذا كان الخلاف الذي بين سواد الزنجي وبياض أسنانه خفي، ولذلك يمكن أن يسلم إنسان ما أن الزنجي اسود ويسلم أنه أبيض من قبل بياض أسنانه، ولكنة ليس بخفي جدا، ولذلك قد يسهل على كثير من الناس حلة انظر ابن رشد تلخيص منطق أرسطو مرجع سابق، ص 676.

أفعالهم، ومن وجهة نظر عملية محضة، في حين أنه بالنسبة لهيجل هي مسألة خصائص نظرية، بهذه الطريقة صددت هذا الهجوم.

يبدو أن الحيل الثلاثة الأولى متقاربة: تشترك في أن الخصم يتحدث في الواقع، عن شيء آخر أكثر مما يتحدث عن الإثبات المقدم، سنرتكب إذاً تجاهل المطلوب إذا تركنا الطرف الآخر يصرفنا بهذه الطريقة. إن ما يقوله الخصم في جميع الأمثلة المقدمة صادق، ولكن ليس حقا في تعارض مع دعواي، وإنما ظاهريا فقط.

إذاً، ذاك الذي يهاجمه الخصم ينفي ما تتضمنه نتيجته، بمعنى أن حقيقة دعواه (أي الخصم) تثبت خطأ دعوانا.

إنه دحض مباشر لدحضه من خلال (رفض النتيجة)

لا تعترفوا بصدق مقدمات لأنكم تتوقعون النتيجة، نقضا لهذا توجد الطريقتان التاليتان، القاعدة 4،5⁷⁵

⁷⁵ 1-بمعناة الحقيقي هو مذهب ميغيل دي مولينوس (1626-1696) ومدام غيون (1648-1717) يقوم هذا المذهب في صورتها الجذرية جدا، على القول أن في الامكان البلوغ البشير لحالة متصلة من الحب والاتحاد بالله، وهي حالة تمد النفس بسلام مطلق، وهذا يعفيها من كل ممارسة أخلاقية أو دينية أخرى. أما بمعناة العام، فهو كل مذهب يضع الكمال الروحي في حالة تأمل سعيد وساكن أنظر قاموس لالاند الفلسفي 2- أو تجاهل الرد تنتج (أي مغالطة تجاهل المطلوب) عن تجاهل ما يجب البرهنة عليه، فنبرهن على شيء آخر مموهين أننا أجبننا عن المطلوب. بمعنى أنها حاصلة على تجاهل المطلوب إثبات وإثبات شيء آخر مع ادعاء أننا قد أثبتنا المطلوب حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي أفريقيا الشرق 2004 ص176.

الحيلة الرابعة إخفاء القصد

عندما نريد الوصول إلى نتيجة ما، فلا يجب تركها تتوقع، لكننا نحرص بسرية على أن يسلم بمقدماتها، بائين هذه الأخيرة أثناء المحاورة، وإلا فإن الخصم سيحاول كل أشكال التحايل أو إذا شككنا في تسليم الخصم بها فإنه يجب فرض مقدمات، هذه المقدمات وعمل القياسات المركبة ثم الحمل على الإقرار بمقدمات الكثير من القياسات المركبة هذه، وذلك دون نظام لأجل إخفاء مقصدنا إلى غاية أن يقبل بكل ما نحتاجه⁷⁶.

⁷⁶ انظر إلى

L'abbey. verniolles, cours e'l'e mentaires de rhetorique etd'eloquence, librairie d elagrove ,
< 1891.p.36

<Aristote les refutations sophistiques, traduction , par J , tricot libraire philosophique
.Traduction par J. tricot , libraire philosophique Jvrin 2003 >p.23

عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، المجلس الاعلي للثقافة، 2007 ص 59-61

أرسطو، منطق أرسطو، نقل يحيى بن عدي وعيسى ابن زرع، حققة وقدم له عيد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات – الكويت، دار القلم – بيروت – لبنان الطبعة الاولى، 1980، الجزء الثالث كتاب السوفسطيقا، ص 826.
إنه حجة مكونة من خمس قضايا تؤلف قياسين مترابطين على نحو أن نتيجة القياس الاول تصلح أن تكون المقدمة الكبرى للقياس من القياسات المركبة هذه، وذلك دون نظام لأجل إخفاء مقصدنا إلى غاية يقبل بكل ما نحتاجه.
لقد أشار أرسطو إلى هذه القواعد في كتاب الطوبيقا (الفصل الاول) لهذا ليس ضروريا اعطاء أمثلة.

الحيلة الخامسة حجج كاذبة

لإثبات أطروحة ما، يمكن كذلك استعمال مقدمات كاذبة، وهذا عندما لا يقبل الخصم المقدمات الصادقة، إما لأنه لا يعترف بصدقها وإما لأنه يتنبه إلى أن الدعوى تنتج عنها آليا، يجب إذاً أخذ قضايا كاذبة في ذاتها ولكن صادقة، والمحااجة انطلاقا من أسلوب تفكير الخصم، لأن الصدق يمكن أيضا أن ينتج عن مقدمات كاذبة، في حين أن الكذب لا يمكن أن ينتج عن مقدمات صادقة، هكذا يمكن دحض مقدمات الخصم بواسطة مقدمات أخرى⁷⁷.

كاذبة يعتبرها مع ذلك صادقة، فلأنه هو من نواجهه، وجب استخدام أسلوب تفكيره، مثلا إذا كان استخدام أسلوب تفكيره تابعا لمذهب معين لسنا نعترف به، أمكن أن نستعمل ضده فروض هذا المذهب مبادئاً.

⁷⁷ L'abbe J. verniolles cours elementaire de rhetorique d ' eloquence ,librairie de la grave 1891. p.30

أما جميل صليبا فيعرفه هو القياس الذي تكون نتيجته مقدمة لقياس آخر جميل صليبا المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني 1982، ص210.

وفي ما يخص هذه الترجمة القياس المركب، انظر لويس شيخو، علم الادب، الجزء الثاني : في علم الخطابه، مطبعة الالباء اليسوعيين -بيروت، 1926، ص118.

1-يقول ابن رشد : وأما الوجوه التي يتأتى بها اخفاء النتيجة، فإن أرسطو عدد في ذلك ثلاثة عشر وجها : منها مقدمات خارجه، ومنها أفعال في المقدمات الضرورية

ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، مرجع سابق، ص627 – 633.

2-أرسطو، منطق أرسطو، المقالة الثامنة، ص728-733.

3-وذلك أن الكذب انما ينتج لا محالة من الاشياء الكاذبة : فأما الصدق فربما ينتج من الاشياء الكاذبة وهذا يتبين من كتاب انالوطيقا أرسطو منطق أرسطو، المقالة الثامنة، ص757

الحيلة السادسة المصادرة على ما ليس مبرهنا عليه

مصادرة على المطلوب خفية بالمصادرة على ما يجب البرهنة عليه، إما

1- باستخدام اسم آخر، مثلاً سمعة حسنة

محل الشرف الفضيلة محل العذرية... إلخ

أو بتغيير المفهوم: حيوانات ذات دم حار عوض الفقريات

2- وإما بحمله على التسليم بما هو منكر إلى حد معين اعتباره حقيقة كلية، مثلاً

إثبات لا يقين الطب بالمصادرة على لا يقين كل معرفة بشرية.

3- العكس بالعكس، عندما تنتج مقدمتان الواحدة عن الأخرى، وأنه يتحتم على

حجة منهما فيجب المصادرة على الأخرى.

4- عندما تجب البرهنة على حقيقة كلية مع انعدام إمكانية الحصول على حقائق

جزئية (عكس رقم 2)⁷⁸

⁷⁸ 1-بالفرنسية تترجم أيضاً بالمصادرة على المطلوب الأول، وهو أن يجعل المطلوب، نفسه مقدمة في قياس يراد إنتاجه كمن يقول أن كل إنسان بشر، وكل بشر ضحاك فكل إنسان ضحاك. انظر المعجم الفلسفي مراد وهبه، دار قباء الحديث، 2007، ص600

2-انظر ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، ص655>656

3-أرسطو منطق أرسطو، كتاب الطوبيقا المقالة الثامنة، ص761>763

الحيلة السابعة الحصول على التأييد بالاستجواب

إذا كانت المطارحة تسير بطريقة دقيقة وصورية شيئاً ما، وأنا نريد الإبانة عن مرادنا بوضوح، فإن ذلك الذي عرض القضية والذي يجب عليه أن يثبتها ضد خصمه، يجب أن يجري استجواباً ليستنبط من تنازلاته الخاصة صدق إثباته. هذه الطريقة الاستجوابية كانت مستعملة من طرف القدامى خاصة ونسبها أيضاً الطريقة السقراطية.

إليها تستند الحيلة الحالية وبعض الحيل الأخرى التي ستلي (جميعها معدة بحرية)

طرح مجموعة من الأسئلة دفعة واحدة وتوسيع السياق لإخفاء ما يراد أن يسلم به، وبالمقابل، عرض حججنا بسرعة من خلال التنازلات المحصل عليها، لأن أولئك الذين يبطئون في الفهم يمكنهم أن يتابعوا البرهنة بدقة ولا هم يستطيعون إدراك عيوبها أو نقائصها الطارئة.

الحيلة الثامنة إغضاب الخصم

إغضاب الخصم، لأنه بإغضابه يصير غير قادر على إصدار حكم صحيح وإدراك مصلحة إغضابه بأن نكون جائزين في حقه، مستفزينه وبكيفية عامة، كاشفين عن وقاحته.

فأما أولاً فان التخليط يكون أبلغ إذا قصد تطويل عند استعمال تلك المواضع، فإنه يكون ما فيها من التخليط أخفى عن السامع.
ثانياً | أن يسأل مستعجلاً لا متنبطاً

الحيلة التاسعة طرح الأسئلة بترتيب مخالف

عدم طرح الأسئلة بالترتيب الذي تتطلبه النتيجة التي يجب استخراجها منها أي من الأسئلة، لكن يجميع أشكال التبديلات، لن يستطيع هو أن يعرف أيضا ما نقصد، ولا هو يستطيع أن ينتبه له. ونستطيع أيضا استعمال إجاباته الخاصة لأجل أن نستخرج منها استنتاجات عديدة حتى المعارضة، بحسب طبيعتها. هذه الحيلة متشابهة مع الرابعة بقدر ما يجب إخفاء طريقتنا.

الحيلة العاشرة الاستفادة من نقيض الدعوى

عندما نشين أن الخصم يعتمد استبعاد الأسئلة التي ستكون في حاجة لإجابة بالإيجاب لدعم دعوانا يجب سؤاله عن الدعوى المضادة، كما لو كان هذا ما نريد أن يقبله أو على الأقل إعطاؤه الخيارين الاثنين على نحو ألا يتعرف نهائيا على الدعوى التي نأمل أن يوالي

فمنها ألا يسأل عن المقدمات على الترتيب المنتج، بل يسأل عنها وقد رتبها ترتيبا يوهم نتيجة غير النتيجة المطلوبة. مثال ذلك أن يكون المطلوب الأول أن اللذة خير، فإذا رتبنا المقدمات ترتيبا ينتج هذا المطلوب إنتاجا أولا قلنا: أليست اللذة كمالا؟ و: أليس الكمال متشوقا؟ و: أليس المتشوق طبيعيا؟ وأليس الطبيعي خيرا؟ فينتج عن هذا أن اللذة خير فأوصي في مثل هذا المطلوب ألا يرتب مثل هذا الترتيب، لكن يرتب ترتيبا يوهم أنه إنما قصدها نتائج غير المطلوب. مثال ذلك في هذه المقدمات أن يقول: أليس اللذة كمالا والمتشوق كمالا، والطبيعي متشوقا، والطبيعي خيرا؟ فإن هذا، يتضمن النتيجة التي أنتجها الترتيب الأول، يتضمن نتائج أخرى⁷⁹

⁷⁹ انظر ابن، رشد تلخيص منطق أرسطو مرجع سابق، ص 632

الحيلة الحادية عشر تعميم ما يقوم على حالات خاصة

إذا عملنا بالاستقراء، وكان هو يقبل بالحالات الخاصة التي تسمح بدعم دعوانا، فإنه لا يجب أن تطلب منه إن كان يسلم أيضا بالحقيقة الكلية الناتجة عن هذه الحالات المعزولة، لكن تقديمها من بعد كحقيقة مقبولة ومعترف بها، لأنه أحيانا سيظن أنه هو الآخر سلّمها، وشهود المعادلة سيكون لهم الانطباع نفسه، لأنهم سيتذكرون مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالحالات الخاصة. ستكون هذه الأخيرة قد سمحت إذاً بالوصول إلى الهدف المنشود.

الحيلة الثانية عشر اختيار استعارات مناسبة

إذا تعلق الأمر بتصور كلي ليست له تسمية خاصة، وأنه يجب تسميته استعارياً بواسطة صورة بلاغية، فلا يجب التردد في اختيار هذه الاستعارة لأجل أن تكون لصالح دعوانا. مثلاً، في إسبانيا⁸⁰، الاسمان اللذان يعينان الفريقين السياسيين العبيد والأحرار **serviles et liberales** قد اختيرا -يقيناً- من طرف هذين الفريقين. كلمة بروتستانتي كانت قد اختيرت من طرف البروتستانتين، وبالمثل كلمة الإنجيلي من طرف الإنجيليين، لكن كلمة ملحد قد اختيرت لهما من قبل الكاثوليكين.

وهو ما يسري كذلك على أسماء الأشياء عندما تؤخذ بالمعنى الخالص. مثلاً، إذا اقترح الخصم تغييراً معيناً، نعتناه بالبدعة، لأن هذه الكلمة تحقيرية، وستفعل العكس إذا كنا نحن الذين نقترحه في الحالة الأولى، سيسمى المفهوم المقابل نظاماً قائماً **ordre établi** وفي الثانية اختلالاً، ما سيدعو أي شخص إلى التحرر من كل اعتقاد وانحياز مثلاً عبادة أو ديانة رسمياً، ذاك الذي هو إلى صفة سيوظف كلمة

⁸⁰ يقول أرسطو في فصل غموض الحد وموضع آخر وهو أن كان قال الشيء على جهة الاستعارة، مثال ذلك أن كان سمي العلم الذي لا ينتقل أو سمي الهولي خاصة أو سمي العفة اتفاقاً وذلك أن كل ما يقال على جهة الاستعارة فإنه غامض غير بين. وقد يمكن أن يقول من قال الشيء على جهة الاستعارة على أنه قاله على الحقيقة، فإن الحد الموصوف لا يطابق كالحال في العفة وذلك أن كل اتفاق إنما يكون في النعم. وأيضاً أن كان الاتفاق جنساً للعفة لكان شيء واحد بعينه يكون في جنسين لا يحوي أحدهما الآخر، وذلك أنه لا الاتفاق يحوي الفضيلة، ولا الفضيلة تحوي الاتفاق. وأيضاً أن كان يستعمل أسماء غير موضوعة كما فعل أفلاطون عند تسميته «العين»: «المظلة بالحاجب»، ويسمى «الرتيلاء»: «متعفة اللسعة»، وتسميته «المخ»: «المتولد في العظام». وذلك أن كل ما لم تحر في العادة فهو غير بين أرسطو منطق أرسطو، الجزء الثاني، كتاب الطوبى، المقالة السادسة من 649.

تقوى، ورع، وخصمهما سيستخدم تعصب، خرافة. في الواقع يتعلق الأمر هاهنا بمصادرة على المطلوب **petitio principin** ممتازة ما نريد البرهنة عليه نضعه مقدما في الكلمة، في التعيين والذي ينبجس منهما، فيما بعد، باعتماد حكم تحليلي خالص. عندما يقول أحد ما وضع نفسه في مأمن **se mettre à l'abri** ، ووضع في مكان آمن **mettre en lieu sir** ، خصمه سيقول حبس **enfermer**. غالبا ما يخون خطيب - مقدماً - نواياه من خلال تسميته للأشياء. يقول أحدهما إكليروس والآخر الكهنة. من بين جميع الجيل هذه الأخيرة هي الأكثر استعمالات فطريا. تبشير - تعصب د انحراف أو طيش - فسق، شبهة - فجور، مريض - حرب **ruine** تأثير وعلاقات - رشوة ومحابة الأقارب، شكران صادق جزاء حسن

نقيض الدعوى

للعمل على أن يقبل دعوى ما يجب علينا أن نقدم له نقيض الدعوى وجعله يختار لكن يجب علينا أن نعلن عن هذا الضد بطريقة بعد عنيفة بحيث أن الخصم إذا لم يرد الاهتمام بفن المفارقة مرغم على القبول بدعوانا التي تظهر محتملة تماما بالمقارنة مع نقيضها، مثلاً يجب عليه أن يسلم بأن من واجب أي كان أن يفعل كل ما يطلبه منه أبوه سنسأله إذاً ٣ يجب عصيان أو طاعة أبوية في كل شيء، أو إذا قال بصدد شيء ما غالباً، نسأله إن كان يقصد بهذه الكلمة بعض الحالات أو الكثير من الحالات، وسيقول كثيراً. إن هذا أشبه بالحالة التي تضع فيها الرمادي بجانب الأسود، فإننا نقول عنه أبيض، وإذا وضعناه بجانب الأبيض، قلنا عنه أسود.

الحيلة الثالثة عشر إعلان الفوز رغم الخسارة

يتمثل المكر، في حال إذا كان قد أجاب عن مجموعة من الأسئلة دون أن تكون إجاباته متفقة مع النتيجة التي تطمح إليها، في التصريح بأن الاستنباط أيضًا الذي نريد الوصول إليه مبرهن عليه، ولو أنه لا ينتج عنها بتاتا، والإعلان عنه بانتصار. فإذا كان الخصم خجولا أو بليدا، وأن لدينا في أنفسنا الكثير من الجرأة وصوتا حسنا، فإن هذا يمكن ينجح. إن هذا متعلق بمغالطة اعتبار ما ليس بعلّة علة

fallacia non

⁸¹.causae ut causae

⁸¹ ومنها أن يسأل عما يظن به أنه طرفا ضد ليس بينهما متوسط، وليس الأمر كذلك. فإذا رفع له المجيب الشنيع منهما إلى جانب المحمود سلم له المحمود، وذلك أن الشنيع منهما يظهر قبحة كثيرا عندما يوضع بجانب الضد الآخر وكذلك المحمود يظهر حمدة أكثر. مثل أن يسأل: هل ينبغي أن يطيع الأباء في كل شيء؟ أو يعصيه في كل شيء؟ فإنه إذا قال: أن يعصي الأباء في كل شيء، ألزمت عن ذلك أنه يجب أن يطيع الأباء في كل شيء. وكذلك إذا سأل هل المحرم الشراب الكثير أم القليل؟ فأجاب هو بأن الكثير، محرم، ألزمت من ذلك أن يكون القليل غير محرم. انظر: ابن رشد تلخيص منطق، أرسطو، مرجع سابق، ص 702

الحيلة الرابعة عشر استعمال حجج غير معقولة

إذا نحن عرضنا دعوى مفارقة صعبت علينا البرهنة عليها، فإنه في هذه الحالة يجب أن نقدّم للخصم أية قضية صحيحة، لكن بصحة ليست واضحة تماماً، بهدف أن يقبلها أو يرفضها، كما لو أننا أردنا أن نستخرج منها برهاننا. فإذا رفضها مرتاباً، نربكه كونه وقع في الخلف *ad absurdum* فتفُور. وإذا قبلها، فمعنى هذا أننا حصلنا على أقوال معقولة، ويمكن أن ننتظر البقية أو نضيف الحملة السابقة ونؤكد بالتالي، أن مفارقتنا مبرهن عليها يلزم المرء للقيام هذا، أن يكون على وقاحة كبيرة، لكن هنالك أشخاص يطبقون هذا بطريقة فطرية.

الحيلة الخامسة عشر الحجة على الذات

ad hominem

الحجة على الذات أو سابق التنازلات ad argumenta

يسمى ابن رشد هذه المغالطة بـ: أحد ما ليس بسبب على أنه سبب أو أحد ما ليس بعلة للنتيجة على أنه علة انظر: ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، مرجع سابق، ص 675، 678. يعرف جون لوك الحجة على الذات ad hominem في كتابه مقال في الفاهمة الإنسانية، فيقول: والطريقة الثالثة. هي أن تهاجم شخصاً من خلال النتائج المستخرجة من خاص مبادئه أو تنازلاته⁸² John Locke.

⁸² وهي عند فوتبول قياس إضماري تعتمد فيه أقوال الخصم وأفعاله قرمة والقضاء عليه L'abbe J. Vemiolles, cours élémentaires de rhétorique et d'éloquence, librairie delagrave, 1891, pp: 34 تقوم على الاختلاف والمسافة بين الأفراد». J. Michel meyer, qu'est-ce que l'argumentation, librairie J. Vrin, 2008, p. 116 إلا أن

. ولعل هذه الحجة هي التي عنها أرسطو في كتاب الخطابة، إذ يقول: وموضع آخر يؤخذ من الكلام المتلفظ به ضدنا فترجعة نحن إلى من قاله». الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني أفريقيا الشرق، 2008، ص 160. بعض الكتابات المعاصرة ترى أن معناها التهم على الشخص personal attack، ولعل أهمها كتاب دوجلاس والتون الحجج على الذات ad hominem arguments، فيقع الخلط بينها وبين الحجة على الشخص ad personam. وشرح الأمر أن والتون يعتبر أن حد مفهوم ad hominem عند جون لوك وشوبنهاور وآخرين أمثال جاليليو وفيتو كشاير و Finocchiaro برلمان وأوليرخت تيتيكا... يجعله حجة جدلية لا سفسطائية، وهو عند حجة سفسطائية لا جدلية. لكن حيث يفصل دوجلاس، فثمة الوصل عند شوبنهاور، إذ خالف هذا الأخير أرسطو، فدعا إلى ضرورة الجمع بين الجدل والسفسطة لما قال: يجب علينا إذاً أن تجمع تحت مصطلح الجدل الأرسطائي: السفسطة، والمراية (المشاعبية)، والممتحنية la pirastique وتعريفه كفن أن تكون دائماً على صواب في المطارحة. فهذا وجه الخلاف بين والتون وشوبنهاور لنضيف أن دوجلاس لما هو مميّز في ad hominem بين حجة الالتزام أو التنازل argument from commitment (or ex concessis) والهجوم على الشخص personal attack تجدة يحد المفهوم باعتماد ثاني القسم متغافلاً أو متناسياً أول التقسيم قائلاً: الحجة على الذات أو الهجوم على الشخص هو الرد الدفاعي الأنبي على أي حجة جديدة شديدة الإزعاج في المطارحة والقضية القطب، لاسيما عندما تكون المصالح محددة والعواطف متأججة حول القضية.

وتنقسم الحجة على الذات إلى أنواع أهمها: ad hominem Circumstantiae الحجة على الذات بالظرف وهي الاستناد إلى الوقائع الماضية أو العقائدية للمحاور لتبكيته

an essay concerning human understanding, edited by Roger Woolhouse, penguin classics, 1997, 2004, p. 606.

hominem ou ex concessis عندما يقوم الخصم بإثبات ما، يجب علينا أن نبحث عن معرفة ما إذا لم يكن بطريقة ما، وإذا كان في الظاهر فقط، متناقضا مع بعض ما قاله أو سلم به سابقا، أو مع مبادئ مدرسة أو طائفة كان قد امتدحهما، أو مع أفعال أنصار هذه الطائفة، سواء كانت سليمة أو غير سليمة، أو مع أفعاله وحركاته، وإذا المحاز مثلا لصالح الانتحار، يجب الصراخ في الحال قولاً: لماذا لا تشنق نفسك؟، أو إذا أكد مثلاً أن برلين مدينة بشعة: نصرخ حالاً قائلين: لماذا لا ترحل عنها وأول؟.

على كل حال، سنصل إلى إيجاد مناورة ما بطريقة أو بأخرى.

الحيلة السادسة عشر المقاومة بالمبالغة في التدقيق

إذا كانت للخصم مدافعة أربكتنا، يمكننا -في الغالب- أن نتخلص من الأمر بفضل تمييز بارع لم تفكر فيه من قبل، إذا كان صحيحاً أن موضوع المجادلة يقبل تأويلاً مزدوجاً أو حالتين متميزتين.⁸³

⁸³ والنيل منه. بيان لإمناسباتية قولة لهذه الوقائع. مثلاً، زيد يدعي أنه ممكن القتل وسورة الغضب، لكنه ليس ممكن لأنه لا يفقد أبداً برودة أعصابه. انظر في هذا الصدد: حسان الباهي الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق، 2004، ص 198 ب ad hominem tu quoque الحجة على الذات بالانت ألياً: يتعلق الأمر هاهنا بالطعن في الشخص من خلال أقواله وفعالة الماضية. يمكن تلخيص هذه الحجة في قول الشاعر أبي الأسود

الدولي لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم. مثلاً طبيب يدعو إلى عدم التدخين، وهو قد عرف بإدمانه عليه. أن الحجة على الذات

ad hominem بأوجز العبارة، تسمية لقولهم من قولك أذنيك»

الحيلة السابعة عشر مقاطعة وتغيير المجادلة

إذا انتبهنا إلى أن الخصم قد حاز حجة تسمح له بهزيمتنا، وجب علينا منعه من الوصول إلى منتهى برهنته بأن نقطع في الحال المناقشة، ونغير مجراها، متجنبين أو محولين المجادلة إلى قضايا أخرى باختصار يجب إحداث تعديل في موضوع المطارحة. *mutation controversiae*.

الحيلة الثامنة عشر التعميم بدلا من مناقشة التفاصيل

إذا كان الخصم يفرض عمداً أن تحتاج ضد جانب محدد من إثباته، ولم يكن لدينا شيء مناسب نقوله وجب تعميم المجادلة ومعارضته. وإذا لزمنا أن نقول لماذا فرضية فيزيائية ما غير موثوق بها، فإننا سنتحدث عن الطابع المغالطي للمعرفة البشرية، وسنمثل لذلك.

الحيلة التاسعة عشر استخراج النتائج

إذا طالبناه بالمقدمات فسلمّ بها، وجب، ليس فقط أن نطالبه زيادة، بالنتيجة، لكن أن نستخرجها نحن أنفسنا، وحتى لو غابت إحدى المقدمتين، اعتبرناها مسلمة واستنبطنا النتيجة. إن هذا تطبيق لـ **fallacia non causea ut causea** مغالطة اعتبار ما ليس بعلةٍ علة.

الحيلة العشرون مقابلة فاسد الحجج بفاسد الحجج

في حالة حجة مموهة أو مغالطية للخصم لم تنخدع بها، نقدر طبعا على هدمها بأن نشرح ما فيها من مكر وخداع وتغليط. لكن من الأفضل معارضته بحجة مضادة أيضا مموهة ومغالطية بهدف الانتقام منه، لأن ما يهم ليس الحقيقة بل الانتصار ولو قدم، مثلا الحجة على الذات *argumentum ad hominem* ، يكفي أن نردها منها بحجة على الذات مضادة (*ex concessis ad hominem*) وبكيفية عامة عوض الالتزام بالنقاش مطولا حول الطبيعة الحقيقية للأشياء سيكون من الأسرع تقديم الحجة على الذات *ad hominem* عند أول فرصة.

الحيلة الواحدة والعشرون المصادرة على المطلوب **petitio**

principil

إذا كنا نطالب بأن نقبل بأمر ما يصدر منه مباشرة المشكل المتعادل حوله، يجب الامتناع عن ذلك حيث أن الأمر يتعلق هنا بمصادرة على المطلوب **petitio principii** لأنه هو وشهود المعادلة سيميلون إلى اعتبار قضية قريبة من المشكل ممثلة له بهذه الطريقة، سنحرمه من حجته الأقوى.

الحيلة الثانية والعشرون إجبار الخصم على المبالغة

إن المناقضة والمنازعة تحثانه على المبالغة في إثباته. بمناقضته، نستطيع إذاً أن ندفع الخصم إلى أن يمدد إثباتنا، على المحتمل، صحيحاً في الحدود المطلوبة إلى خارج الحقيقة وبمجرد أن تدحض هذه المبالغة، فإننا قد دحضنا دعواه الأصلية. في المقابل، يلزمنا أن نحترس من الانسياق مع المناقضة المراد المبالغة فيها أو من توسيع مجال دعوانا غالباً أيضاً ما سيحاول الخصم نفسه مباشرة تقليص الحدود التي حددناها: حالا، وردّه إلى حدود إثباتنا قائلين: هذا ما قلته، ولا أكثر يجب منعه من ذلك.

الحيلة الثالثة والعشرون فن استخلاص نتائج كاذبة

في استخلاص النتائج بخير دعوى الخصم بأن نستخلص منها نتائج كاذبة وأن نشوه المفاهيم لأجل أن تستخرج منها قضايا غير موجودة فيها والتي (أي القضايا) لا تعكس رأي الخصم، لأنها على العكس غير معقولة أو خطيرة، وبما أنه يبدو أن من دعواه تنتج قضايا إما تتناقض مع نفسها، أو تناقض حقائق معترف بها، فإن هذه الحيلة تعرف بالدحض غير المباشر، والخلف، وهي أيضا تطبيق ل *ut causea* *fallacia non causea* مغالطة اعتبار ما ليس بعلة علة.

الحيلة الرابعة والعشرون الحجة الفرعية أو إيجاد الاستثناء

تتعلق بالخلف عن طريق حجة فرعية. **exemplum in contrarium**. فالاستقراء **induction** يحتاج إلى عدد كبير من الحالات لعرض دعواه العامة. أما الاستنباط **interrori** فليس في حاجة إلا لعرض حالة واحدة مناقضة للقضية لكي يمكن دحض هذه الأخيرة. هذا الأمر يسمى حجة فرعية. **instance evotuous exemplum in contrarium**. مثلا، الدعوى كل الحيوانات المختبرة ذات قرون، تدحض بالحجة الفرعية الوحيدة للجمال. إن الحجة الفرعية حالة تطبيق للحقيقة الكلية، أي شيء ما لإدراجه تحت هذا المفهوم الكلي، لكن الذي لا علاقة له بهذه الحقيقة بل الذي أمره أن يدحضها تماما. مع ذلك، يمكن للأمور أن تكون جماعة، لذلك يجب مراعاة الأمور التالية عندما يعتمد الخصم إلى حجج فرعية.

- ١- هل المثال حقا مضبوط: هنالك مشاكل حلها الوحيد الحقيقي هو أن الحالة المعروضة غير مضبوطة، مثلا العديد من المعجزات وحكايات الأشباح... الخ.
- ٢- أ يتعلق حقا بمفهوم الحقيقة المقدمة: ليس هذا في غالب الأمر إلا ظاهريا. والسؤال لا يمكن حله إلا بالقيام بتمييز واضح.
- ٣- هل هو حقا في تناقض مع الحقيقة المقدمة: ليس هذا في الغال أيضا إلا ظاهريا.

الحيلة الخامسة ولاعشرون عكس الحجة على الخصم

تقنية لامعة هي عكس الحجة *retonio argumenti* ، عندما نحمد الحجة التي استخدمها الخصم لتحقيق أغراضه، ونستخدمها ضده بشكل أفضل. مثلاً، يقول: إنه طفل، لا بد من التسامح معه **retorsio** لأنه حقاً طفل، تجب معاقبته لئلا يتعود على عاداته السيئة.

الحيلة السادسة والعشرون الغضب ضعف

إذا أغضبت حجةً ما الخصم فجأة، وحب الاجتهاد في دفع هذه الحجة بعيدا ليس فقط لأنه من الأفضل إغضابه، لكن لأنه يفترض أننا أصبنا نقطة الضعف في استدلاله وبأنه يمكننا دون شك مهاجمته أكثر في هذه النقطة.

الحيلة السابعة والعشرون إقناع الجمهور وليس الخصم

تستخدم هذه الحيلة، خاصة عندما يتناقش علماء أمام مستمعين غير متعلمين، وعندما لا توفر على الحجة على الموضوع

argumentum ad rem ولا على الحجة على الذات **argumentum**

العامة **nd hominem** : يجب تقديم الحجة بالمستمعين **ad auditores** ، أي اعتراض غير صحيح لا يعلم عدم صحته إلا المتخصص وهذا المتخصص هو الخصم، وليس المستمعين في نظرهم الخصم هو الذي يجعل من الاعتراض المراد إثباتة مثيراً للسخرية، كما أن الناس مستعدون دوماً للضحك، وبالتالي انخياز الضاحكون إلى صفنا يؤدي إلى بطلان الاعتراض، ويلزم الخصم أن يقوم ببرهنة طويلة وأن يعود إلى المبادئ العلمية أو إلى وقائع أخرى، وسيشق عليه أن يفهم.

مثال: يقول الخصم خلال تكون الجبال البدئية، كانت المادة التي تبلور منها الكرانيت وباقي هذه الجبال، سائلة بسبب الحرارة، وإذاً منصهرة: الحرارة لزم أن تكون حوالي 200 ريو مير **rtaumur**، والمادة تبلورت تحت سطح البحر الذي يغطيها تقدم الحجة بالمستمعين **argumentum ad auditores** قائلين أنه في درجة الحرارة هذه وكذلك قبلها بكثير، حوالي 80 درجة، كان البحر سيشرع منذ مدة طويلة في الغليان، فيكون قد تبخر في الجو سينفجر المستمعون ضحكا، ولكي يهزمنا، يلزمه البرهنة على أن درجة الغليان لا تتعلق فقط بدرجة الحرارة، لكن

كذلك بالضغط الجوي وأن هذا الأخير بمجرد أن يتحول نصف البحر مثلاً إلى بخار ماء، سيكون قد ارتفع بحيث لن يكون هناك غليان ولو عند 200 درجة ريومين، لكنه لن يقوم بهذا، لأنه مع عدم وجود فيزيائيين، فإنه تلزمه محاضرة حقيقية⁸⁴.

⁸⁴ -وهي التي تقوم على استمالة الجمهور أو المستمعين والتأثير عليهم حصولاً على تأييدهم، فيكون الجمهور حجة لنا وحجة على الخصم أن انتصارنا مقترن هو إذاً بتشجيع الجمهور لناء مثلاً إما تصفيقاً لنا وإما ضحكا على الخصم. مثال: يدافع الخصم عن كون الإنسان حيواناً تعترض قائلين: هل معني هذا أن أنا الذي أناقشك والجمهور المستمع إليك حيوانات وإلي للحيوان أن يفهم الإنسان؟ ٢- عبارة عن مقياس لدرجة الحرارة صمم في عام 1731 بواسطة الفيزيائي والمخترع الفرنسي رينية أنطوان فركولت دي ريوم (1757-1683) (rene antoinc ferchault de Réaumur) الذي عرف مقياس الحرارة من خلال التمدد الواضح للكحول ومُعَيَّرًا بحالاً مرجعياً بين نقطة تحمد الماء القيمة صفر) ودرجة غليان الماء (القيمة 80)

الحيلة الثامنة والعشرون الحيد عن الموضوع

إذا انتبهنا إلى أننا سنهزم، فإنه يجب القيام بالحيد عن الموضوع **diversion** معنى أن نبدأ فجأة في الحديث عن شيء مختلف تماما كما لو إذا كان هذا جزءاً من الموضوع المتجادل عليه، وكان حجة ضد الخصم يتم هذا برصانة إذا كان للحيد عن الموضوع علاقة بالموضوع قيد السؤال **thema quaestionis** وبوقاحة إذا كان لا يتعلق إلا بالخصم، ولا علاقة له بموضوع المجادلة..

مثلاً: أحد جديراً بالملاحظة أن الصين ليست تعترف بنبل المجد وأن الوظائف ليست تُسند فيها إلا بعد إجراء الامتحان. لكن عصمي أكد أن المعرفة لا تؤهل إلى القيام بوظيفة أكثر من امتياز الولادة (وهو ما يقدره كثيراً الأمور أخذت مسارا مزعجاً بالنسبة له. في الحال سيقوم بالحيد عن المطلوب، قائلاً إن جميع الطبقات الاجتماعية في الصين يمكن أن تتعرض للضرب بالعصا الأمر الذي يضعه في علاقة مع الاستهلاك المفرط للشاي، ثم يشرع في لوم الصينيين على الأمرين، وإذا كنا قد أخذنا في الرد على كل هذا، سنكون آنذاك قد زغنا وأضعنا من بين أيدينا انتصاراً أكيداً.

يكون الحيد عن الموضوع وقحا عندما يغادر كلياً موضوع المعادلة ويبدأ مثلاً هكذا: نعم، وبالضبط ادعيت قبل قليل أن... إلخ. لأنه يندرج بطريقة ما في هذه الفحتمات الشخصية التي ستكون موضوع الحيلة الأخيرة. للحديث بدقة، هو يحتل

مرحلة وسطى بين الحجة على الشخص **and personam** المعروضة في هذا الفصل والحجة على الذات **ad hominen** كل خصومة بين العامة من الناس تبين إلى أي حد أن هذه الحيلة هي شبه فطرية. في الواقع، عندما يلوم أحد ما الآخر لومًا شخصيًا، فهذا الأخير لا يجيب رافضا هذا اللوم، لكنه هو الآخر يؤخذ خصمه مأخذ شخصي، تاركا حاليا تلك التي أخذناه عليها ومتظاهرا بالإقرار بشرعيتها. يتصرف كسيون **scipion** الذي هاجم القرطاجيين ليس في إيطاليا، بل في إفريقيا. في الحرب، هذا الحيد عن الموضوع يمكن أن ينفع أما في المنازعات فهو غير صالح، لأننا لا نكثرث للمؤاخذات المتلقاة وأن الشهود يحفظون كل مساوئ الطرفين الحاضرين يمكن استعمال هذه الحيلة في المطارحة، لعدم توفر الأفضل **faute de mieux.**

الحيلة التاسعة والعشرون حجة السلطة

verecundium ad argumentum

حجة السلطة (argumentum ad verecundiam حجة تهم الشرف). عوض الالتجاء إلى أدلة تجب الاستعانة بالسلط المعترف بها في هذا المجال بحسب مستوى معارف الخصم. قال سنيكا Senique يفضل كل واحد الاعتقاد أكثر من الحكم **Unusquisque mavult (4 I De vita beata) credere quam judicare** الحظ إذاً، إذا كنا نستند إلى سلطة يحترمها الخصم. ومع ذلك، سيكون له الكثير من السلطة الصالحة بقدر ما تكون معارفه وكفاءاته محدودة. إذا كانت هذه الأخيرة من الطراز الأول، فإنه لن يعترف إلا بالبعض من السلط أو لا بأي واحدة منها. وعند الاقتضاء، سيثق بالناس المتخصصين في علم ما، وفي حرفة أو فن لا يعرفه إلا قليلاً أو لا يعرفه بتاتا، وأيضا لن يفعل هذا الأمر إلا مرتابا في المقابل للعامة من الناس احترام عميق للمتخصصين في كل ميدان يجهلون أن السبب الذي الأجله تمتهن شيئا ما ليس هو حب هذا الشيء، وإنما لأجل ما تجنيه وأن الذي يُعَلِّمُ أمراً قلما يَعْلَمُهُ جيداً لأنه إذا هو درسه بتعمق لن يتبقى له عموماً الوقت لتدريسه لكن بالنسبة للعامة **le vulgus** هناك الكثير من السلط المستحقة لاحترام. إذاً إذا لم نجد من بينها الملائمة يجب أن نأخذ منها واحدة تبدو ملائمة ظاهرياً، والاستشهاد بقول أحد ما في غير سياقه أو في ظروف مختلفة هي السلط التي لا يفهم منها الخصم ولا كلمة، والتي لها التأثير الأكبر. أن لغير المستعلمين

احترامًا خاصا لصور الخطابة الإغريقية واللاتينية. تستطيع أيضا، عند الضرورة، ليس فقط التشويه، لكن تزييف ما تقوله السلط الترييف الصريح، أو أيضا الابتداع بلا قيد ولا شرط على العموم ليس الكتاب موجودا بين يدي الخصم، ولا هو يعلم البتة استخدامه. المثال الأحسن هو مثل ذلك الكاهن الفرنسي الذي تفانى في التعبير على تبليط الطريق أمام منزله كالمواطنين الآخرين، ردّد العبارة الثوراتية: فليرى العدو، أني لن لم أرتعد أبداً **paveant illi, ego non pavebo** . وهذا ما أقنع المستشار البلدي. ويجب أيضا استعمال في موضوع السلط، الأحكام المسبقة الأكثر شيوعا، لأن معظم الناس يظنون مع أرسطو أن ما يبدو للجمهور صحيحا، نقول أنه حق **a peu rollos Box TVT YE EIDAL** تصنيفي والأخلاق إلى (نيكوما هوس) في الواقع، ليس هناك أي رأي

مهما كان سخيلا غير معقول لم يتبنه الناس بسرعة مجرد أن تنجح في إقناعهم بأنه كان عموما مقبولا. أمر الاقتداء أن يؤثر على فكرهم كما على تصرفاتهم وهم يتبعون الكبش بإشارة الرأس الذي يقودهم إلى الموت عندهم أهون وأسهل من التفكير. من الغريب جدا أن لكل رأي ما كبير قيمة بالنسبة لهم ما قاموا يستطيعون أن يلاحظوا في أنفسهم أنه يتم تبني آراء دونما محاكمة وبموجب الاقتداء فقط، لكنهم لا يدركونه لأنهم مجردون من كل معرفة بأنفسهم هي النخبة وحدها من تقول مع أفلاطون: إلا أن كثرة الناس فكثرة للأفكار التي تظهر صحيحة **tous molous** **noid Boxe** معنى هذا أن العامة **le vulgus** ليس لديها إلا التفاهات في رأسها، وإذا أردنا أن نقف عندها، سيكون لدينا الكثير مما نفعله.

لو تحدثنا بجدية، لتبين أن الطابع الكلي لرأي ما ليس بينة ولا أيضا معيار احتمال صحته فأولئك الذين يدعون هذا، مجبرون على أن يسلموا به

1- أن التقادم *l'éloignement dans le temps* يَحْرُمُ هذا الطابع الكلي من قوته البرهانية، وإلا وجب أن يُحبوا جميع الأخطاء القديمة التي اعتبرت على العموم حقائق، مثلا نظام بطليموس، أو أن يبعثوا محمدا الكاثوليكية في جميع البلدان البروتستانتية.

2- أن الثنائي *l'éloignement dans l'espace* يعمل بالشكل نفسه وإلا ستزعزع كلية الاعتقاد عند أتباع البوذية، والمسيحية والإسلام (حسب بنتام *Bentham* تكتيك التجمعات التشريعية *Tactique des assemblées législatives* الكتاب 2 ص 76 أن ما يسمى الرأي المشترك هو بالنظر إليه جيدا، رأي

شخصين أو ثلاثة أشخاص، وقد يمكننا أن نقنع به إذا نحن لاحظنا العامة: كيف تولد فكرة كهذه سنلاحظ إذا أنهما في البداية شخصان أو ثلاثة أشخاص هم الذين سلموا به أو أوردوه وأكدوه، وإنه من باب الرفق لهم الاعتقاد أنهم فحصوه تماما، والبعض الآخر طفق بالمثل مستعملا الحكم بالكفاية الكاملة لهم في تبين هذا الرأي بدوره عدد كبير من الأشخاص يركنون إلى هؤلاء يحملهم كلهم على تصديق الأمور دفعة واحدة عوض عناء فحصها. هكذا ازداد يوما بعد يوم عدد هؤلاء الأتباع الكسالي والسذج، لأنه بمجرد أن يحوز الرأي عددا لا بأس به من الأصوات، يظن اللاحقون أنه ما كان لهذا الرأي أن يشدهم إلا بفضل صحة أساسه

والآخرون مجبرون إذاً على الاعتراف بما كان مقبولا عامة لكيلا يتم اعتبارهم أرواحاً قلقة ثائرة ضد آراء مقبولة عالميا، ووقحين يحسبون أنفسهم أشد مكرما من جميع الناس. إن التأييد إذا أصبح واجبا. من الآن فصاعدا، العدد القليل من أولئك الذين هم قادرون على الحكم مجبر على الصمت وأولئك الذين لهم الحق في الكلام هم أولئك العاجزون تماما عن أن يختلقوا لأنفسهم رأيا وحكماء والذين ليسوا إذاً إلا صدى لآراء الغير. إنهم مع ذلك مدافعون عنها، شديدون ومتعصبون. لأن ما يمتقونه عند ذلك الذي يفكر على نحو مغاير ليس كثيرا الرأي المخالف الذي يعظمه أكثر من التعجرف الموجود لديه في إرادته الحكم بنفسه، الشيء الذي لا يفعلونه أنفسهم بطبيعة الحال أبداً، والذي هم واعون به في سرهم. باختصار القليل من الناس يحسنون التفكير، لكن الجميع يريد أن يمتلك آراء. فهل بقي لهم من شيء غير تبنيها كما يعرضها عليهم الآخرون عوض اصطناعها بأنفسهم؟ أنا والحالة هذه، ماذا يساوي رأي مائة مليون رجل؟ مثل هذا كمثل حدث تاريخي مقرر من طرف مائة مؤرخ عندما يتبين في ما بعد تناحلهم، وعندما يظهر أن الكل يستند إلى أقوال شخص واحد حسب بايل Bayle أفكار حول المذنبات كتاب 1 ص 10) أنا أقوله أنت تقول، لكنه هو الآخر أيضا قاله

Dico ego, tu dicis, sed denique dixit et ille

بعد أن قيل هذا مرات كثيرة لسنا نرى إلا أقوالا. **Dictaque post toties, nil nisi dicta vides** مع ذلك، نستطيع، عندما نتخاصم مع عامة الناس، استعمال 1 بصفة عامة سنلاحظ أنه عندما يتنازع إنسانان عاديان، فإنها شخصيات سلطوية هي التي يختارها الواحد والآخر كأسلحة، والتي يستعينون بها للتضارب إذا كان شخص ذكي يواجه شخصا من هذا النوع، فالأفضل هو أن يلجأ بدوره إلى هذا

السلاح، مختاراً إياه بحسب مكامن ضعف خصمه لأن هذا الأخير، بالمقارنة مع سلاح الحجج هو، افتراض *ex hypothesi* سيبدو فريد *siegfried* مصفح، غارق في تيار من العجز عن التفكير والحكم.

الرأي الكلي كسلطة.

في المحكمة، لا يتم التجادل في الواقع إلا عبر السلط، أي السلطة المحكمة للقوانين: مهمة السلطة القضائية اكتشاف القانون، أي السلطة المطبقة في الحالة موضوع السؤال لكن للجدل الكثير من ميادين الفعل، لأن -إذا كان ضرورياً- الأمر المفحوص وقانوناً ما، اللذين لا يتماشيان في الواقع معاً، يمكن أن يُشَوَّها إلى درجة اعتبارهما متفقين أو العكس⁸⁵.

⁸⁵ سيغفريد دو قسنطين أو سيغورد *ssicgfried de xenten ou sigurd* المسمى قاتل التنانين، هو بطل حرافي في الأساطير

الحيلة الثلاثون لست أفهم شيئاً مما تقوله

إذا لم تعرف ما تعارض به حجج الخصم المقدمة، يجب، باستهزاء رفيع الاعتراف بالعجز: ما تقوله هنا يتجاوز ملكات فهمي الضعيفة، ربما هو صحيح تماماً، لكنني عاجز عن الفهم، وإنني أتنازل عن كل حكم. هذه الطريقة، تلمح أمام مستمعين يقدرونك، إلى أنها حماقات كذلك الأمر عند ظهور نقد العقل الخالص، أو بالأحرى منذ بدأ يترك أثراً عميقاً، أعلن العديد من أساتذة المدرسة الانتقائية القديمة نحن لسنا نفهم منه شيئاً معتقدين هذا أنهم قد انتقموا منه. لكن عندما أثبت لهم بعض أتباع المدرسة الجديدة أنهم محقون وأنهم حقاً لا يفهمون منه شيئاً، وأنه أصاب في ذلك.

لا يجب استعمال هذه الحيلة إلا عندما نكون متأكدين أننا سنحظى إزاء المستمعين باحترام يفوق بوضوح ذلك الذي يحظى به الخصم. مثلاً عندما يعارض أستاذ تلميذاً الحق يقال أن هذه الطريقة هي جزء من الحيلة السابقة وتتمثل بشكل جد ماكر، في أن يعتمد سلطته الخاصة عوض إيراد حجج صحيحة، الهجوم المضاد إذاً أن نقول: أعلنون، لكن بالنظر إلى عظمة قدرة فطنتك أكيد أنه يسهل عليك الفهم كل هذا راجع إلى سوء عرضي، وأن تكرر له كذلك الأمر الذي هو مرغماً، طوعاً أو كرهاً **nolens volens** على فهمه والذي صار واضحاً أنه لم يفهم منه في

الحقيقة أي شيء من قبل. هكذا أجبنا. يريد أن يلمح إلى أننا نقول تفاهات، فأثبتنا
غباوته. يتم كل هذا بأبلغ اللباقة.

الحيلة الواحد والثلاثون مبدأ الجمع المهين

تستطيع بسرعة إقصاء أو على الأقل التشكيك في إنبات الخصم المتعارض مع إثباتنا بأن ندرجه ضمن فئة مقبولة، مهما كان قليلا ارتباطه بها بالمشابهة أو حتى بغموض مثلا:

إنها مانوية، نوية، إنها أريوسية، إنها بيلاجيوسية، إنها مثالية، إنها اسبينوزية، إنها حلولية، إنها براونية، إنها طبيعانية، إنه الحاد، إنها...

1- إن الإثبات قيد المسألة هو في الحقيقة مماثل لهذه الفئة، أو على الأقل متضمن فيها، ونصرخ قائلين إذاً: أوه، نحن على علم عقلانية، إنها روحانية، إنها صوفية، إلخ... بالقيام بهذا، نحن نفترض شيئين بذلك⁸⁶.

⁸⁶ نسبة إلى ماني (276-216 م) مؤسس المانوية، وهي ديانة غنوصية انتشرت بصورة كبيرة في بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس في القرن الثالث ميلادي. مذهب غير مسيحي ظهر في القرن الرابع على يد كاهن من الإسكندرية اسمه أريوس (256-336م). معتقدات أريوس تدور حول العلاقة بين الأب والابن: يرى أريوس أن يسوع أو الابن ليس أزليا، أي أن هناك فترة بين وجود الأب والابن يؤكد أن يسوع كان فان ليس إلهيا وليس شيئا آخر سوى معلم يُوحى إليه. نظرية الراهب بيلاجيوس (360-420 ق.م) الذي أنكر الخطيئة الأصلية

وقال بحرية الإرادة التامة. مذهب فلسفي يجعل الأولوية للفكر على الواقع، فيتعارض مع المادية. نسبة إلى الباروخ اسبينوزا، فيلسوف هولندي (1632-1677). الحلولية أو مذهب وحدة الوجود هو الإقرار بأن الله والعالم شيء واحد لا غيرا ويمكن أن يفهم ذلك بمعنيين اثنين: أ الله هو الواقع الوحيد الذي توجد فيه الأشياء جميعا، وليس العالم شيئا آخر غير تجلياته وأحواله اللاجهرية هذا مثلا رأي

اسبينوزا). ب العالم هو الواقع الوحيد وليس الله غير مجموع الوجود وهر مذهب ديدرو ودولباك الذي يُبحث بالحلولية المادية أو الحلولية الطبيعية). جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر - تونس 2004، ص 17

نسبة إلى العالم النبائي براون.
٢- أن هذه الفئة مدحوضا لماما من ذي قبل ولا يمكن أن تحوي كلمة واحدة صادقة

الحيلة الثانية والثلاثون نظريا نعم عمليا لا

ربما هذا صحيح نظريا، لكن خاطئ عمليا، بفضل هذه المغالطة، نسلم بالأسس، رافضين النتائج، في تعارض مع قاعدة النتيجة المستخرجة من الحجة الأولى تحكم بصحة الاستدلال. *a ratione ad rationatum valet consequentia*. يطرح هذا الإثبات استحالة ما هو صحيح نظريا يجب أن يكون كذلك صحيحا عمليا، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فلأن هنالك خطأ في النظرية، أو لأننا أغفلنا شيئا، أو لأننا لم ندخله (الشيء المغفل) في الحساب والتالي، إنه كاذب أيضا نظريا.

الحيلة الثالثة والثلاثون زيادة الضغط

إذا لم يقدم الخصم إجابة مباشرة للسؤال أو الحجة، ويتهرب بطرح سؤال آخر أو بتقديم إجابة غير مباشرة، أو يحاول أيضا أن يغير موضوع المحادثة ها هنا البيئة الواضحة أننا أصبنا نقطة ضعفه أحيانا دون معرفة ذلك: من جهته، حالما تصم قابلة للتطبيق، أن الصمت غير كاف. يجب إذاً الإصرار على النقطة التي وضعنا عليها الأصبع، والعمل على إزعاج الخصم حتى عندما لا نعلم بعد بدقة مكن الضعف الذي كشفناه.

الحيلة الرابعة والثلاثون المصالح أقوى من العقل

التي تجعل جميع الحيل الأخرى زائدة غير ضرورية بدل التأثير على الفكر بأسباب وجب التأثير على الإرادة ببواعث والخصم مثل المستمعين إذا كانت لهم نفس مصالحه، سينحازون فوراً إلى رأينا حتى لو كان هذا الأخير من الحمقى لأن المصالح على العموم أقوى من الإرادة وإن كانت تزن أكثر من قنطار من الذكاء ومن أن هذا لا يعمل إلا في بعض الظروف الخاصة. إذا كان بالمقدور تحسيس الخصم بأن رأيه، إن كان صحيحاً، سيسبب ضرراً معتبراً لأهدافه، فإنه سيتخلى عنه بسرعة كحديدة حمراء من التوهج أخذها بغير حذر. مثلاً، كاهن يدافع عن عقيدة فلسفية: يجب أن يوضح له أن هذه الأخيرة في تعارض مباشر مع عقائد أساسية في كنيسته، وسيتخلى عنها. مالك أرض يدعي أن الآلية في بريطانيا ملفتة للنظر، ما دامت آلة بخارية واحدة تقوم بعمل العديد من العمال: يجب إفهامه أن العربات قريباً، هي الأخرى، ستجر بالآلات بخارية، الأمر الذي سيجعل أسعار الخيول المربوطة تنخفض بشكل كبير - وسنرى في حالات كهذه، شعور كل واحد يذعن للمثل يا له من هول الإعلان عن قانون ينقلب ضدنا. **quam temere in nosmet legem sancimus iniquam** الشيء نفسه إذا كان المستمعون يشكلون جزءاً من طائفتنا نفسها، أو الجماعة نفسها، أو من نقابة الحرفيين نفسها، أو من النادي نفسه إلخ... وليسوا من طائفة الخصم. مهما كانت دعواه صحيحة، مجرد أن تلمح إلى أنها تخالف أهداف الجماعة المذكورة إلخ... سيجد جميع المستمعين حجج الخصم،

مهما كانت جيدة، ضعيفة ورديئة وحججا بالمقابل مهما كانت مختلفة من الرأس حتى القدم صحيحة وملائمة جميعا، سينحازون إلیاء والخصم سيتراجع إلی الوراء حملاً سیظن المستمعون كذلك فی غالب الأحيان أنهم اختاروا حسب قناعتهم المحضة، لأن ما هو غیر ملائم لنا یبدو عموماً مخالفاً للعقل، لیس العقل نتیجة نور شاحب... إلخ. **Intellectus luminis sicci non est.** یمكن أن تُعَنون هذه الحيلة بـ: مهاجمة الشعرة من الجذر وتسمى عادة حجة المنفعة **argumentum ab utili**.

الحيلة الخامسة والثلاثون إرباك الخصم بكلام محال

الإرباك، وإدهاش الخصم بوابل تافه من الكلام هذه الحيلة قائمة على أساس أن عادة ما يعتقد الإنسان، أن هو لم يسمع إلا كلاما، ضرورة أن يوجد فيه أيضا موضوع للتفكير. إذا كان إذاً واعيا في سريره بمكامن ضعفه، وإذا كان معتادا على سماع أية أشياء ليس يفهمها والتظاهر بفهمها، تستطيع أن تفرضها عليه راوين له مجدية تامة تفاهات ذات طابع عالم أو غامض، إلى درجة أن يصبح عاجزا عن الاستماع وعن الرؤية والتفكير، واعتبارها البيئة الأكثر تمنا على الدحض من دعوانا كما نعرف، لقد استعمل بعض الفلاسفة حديثا، أمام الشعب الألماني، هذه الحيلة بنجاح لا نظير له. لكن بما أن الأمثلة بغیضة **exempla sunt odiosa** ، سنأخذ مثالا
جد قديم.

الحيلة السادسة والثلاثون فاسد البرهنة علامة الخسران

يفترض أن تكون من بين الأوائل. إذا كان الخصم محقا أيضا في ما يتعلق بموضوع المجادلة، لكنه لحسن الحظ، اختار بينة ضعيفة، فمن السهل علينا دحض هذه البيئة، وندعي إذاً أن هاهنا دحضا لكل في الواقع، هذا يعود إلى اعتبار حجة **ad hominem** حجةً **ad rem**. وإذا لم تخطر بباله أية بينة صحيحة أو ببال مسانديه، فإننا قد رجحنا مثلاً، أن يقدم شخص ما، لإثبات وجود الله دليلاً أو نطولوجياً، والذي هو مدحوض تماماً. بهذه الطريقة، يضيع المحامون الفاشلون القضية العادلة: يريدون إثباتها بقانون غير مناسب والقانون المناسب لا يخطر ببالهم⁸⁷.

⁸⁷ أوليفر جولد سميث oliver goldsmith كاتب إيرلندي، ولد سنة

1728 وتوفي سنة 1774

الحيلة الأخيرة: الحجة على الشخص

إذا تبين لنا أن الخصم متفوق وأننا لن نربح، ينبغي اللجوء إلى أحاديث فظة جارحة وخشنة أن تكون فظا هذا يتمثل في هجر موضوع النزاع (ما دمنا خسرنا اللعبة) لأجل التحول إلى الخصي ومهاجمته بطريقة أو بأخرى في ما هو عليه [شخصه]: يمكن تسمية هذا (الحجة على الشخص) *argumentum ad personam* لتمييزه عن الحجة على الذات *argumentum ad hominem* هذه الأخيرة تتحول عن الموضوع جد الموضوعي للتمسك بما قاله الخصم عنه أو سلم به. لكن عندما نمر إلى الهجمات الشخصية، فنحن نترك تماما الموضوع ونوجه هجماتنا إلى شخص الخصم. تصبح إذًا مهينين ومؤذنين، وجارحين وأفظاظا، إنه نداء ملكات النفس لملكات الجسد أو للحيوانية. هذه القاعدة جد مقدرة، لأن كل واحد قادر على تطبيقها، وغالبا ما يتم الاعتماد عليها⁸⁸، والسؤال الذي يطرح الآن هو معرفة أي مدافعة يمكن استعمالها من طرف الخصم لأنه إن سلك بالطريقة نفسها، انتهينا إلى مشاجرة، أو مبارزة، أو قضية قذف سيكون التفكير في أنه يكفي أن لا يكون فظا غلطة خطيرة لأننا مبينين بهدوء لأحد ما أنه على خطأ وعن طريق اللزوم أنه يحكم ويفكر بانحراف، وهو الحال في كل انتصار جدلي، فإننا نخرجه كثيرا أكثر من إحراجة بكلمات خشنة وجارحة لماذا؟ لأن كما يقول هويس (في

⁸⁸ قال أرسطو : يكون من الضروري أحيانا أن لهاجم المخاطب نفسه لا أطروحة إذا كان المجيب يترصّد كل ما يعارض السائل عن هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، عن فريق البحث في البلاغة والحجاج إشراف حمادي صمود كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم بدون تاريخ، ص 130.

المواطن De Cive الفصل (كل لذة للفكر، وكل مزاج طيب مصدره الناس الذين بالمقارنة معهم نستطيع الحصول على تقدير عال عن أنفسنا *Omnis animi voluptas, omnisque alacritas in eo sita est, quod quis habeat, quibuscum conferens se, possit magnifice sentire de se ipso* لا شيء يعادل عند الإنسان إرضاء كبريائه، ولا حرج مؤلم أكثر من رؤية كبريائه مجروح (من هنا صيغ مثل: الشرف أولاً إلخ...). لقد نشأ إرضاء الكبرياء هذا أساساً بسبب أننا نقارن أنفسنا بالآخرين، من جميع الجوانب، لكن خاصة من جهة الملكات العقلية. هذا بالضبط ما يحدث فعلاً وبعنف شديد في كل مطارحة، من هنا غضب المهزوم، دون أن نكون قد أذينا، ومن هنا الجؤوه إلى هذه الوسيلة الأخيرة، إلى هذه الحيلة الأخيرة التي لا يمكن التخلص منها إن ظللنا متأدين. ومع ذلك، يمكن لرباطة جأش كبيرة أن تكون ملائمة هنا يجب إذاً بمجرد أن يمر الشخص إلى الهجمات الشخصية، الإجابة بهدوء أن هذا لا علاقة له بموضوع المجادلة، والعودة إليه حالاً والاستمرار في التدليل على أنه مخطئ دون إغارة الانتباه إلى أحاديثه الجارحة، إذاً إلى حد ما، كما يقول لميستو كل *Thermistocle* الأوريباد *Euryblade* اضرب لكن استمع. *nerator Ev 00000* لكن هذا ليس في متناول الجميع.

إن المدافعة الوحيدة الأكيدة إذاً هي تلك التي أشار إليها أرسطو في الفصل الأخير من الطوبيقا لا تتجادل مع أي شخص كان، لكن فقط مع أناس تعرفهم وتعلم أنهم عقلاء كفاية، حتى لا تتلفظ بسخافات فتصير عرضة للسخرية، ولأجل الاستناد إلى حجج راسخة وليس إلى أحكام بلا جدوى، ولأجل الاستماع إلى براهين الآخر والاستسلام لها، وأخيراً أناس تعلم أنهم يقيمون وزناً كبيراً للحقيقة، وأنهم

يحيون الاستماع للبراهين الجيدة، حتى من فم خصمهم، وأنهم يمتلكون حسن الإنصاف كفاية لأجل أن يتحملوا كونهم على ضلال عندما تكون الحقيقة عند الطرف الآخر. ينتج عن هذا أنه من بين مائة شخص يوجد بالكاد شخص واحد يستحق أن يجادله، أما بالنسبة للآخرين فلنتركهم يقولون ما يريدون لأن من حق الناس أن يهدوا *desipere est juris gentium* ، ولنفكر في كلام فولتير: السلام أفضل بكثير من الحقيقة. والمثل العربي يقول: شجرة الصمت ثمرتها السلام.

مع ذلك، فالمطالبة بما هي مشادة بين فكرين، غالبا ما تكون مفيدة للطرفين لأنها تسمح لهما بتصحيح أفكارهما الخاصة واستحداث آراء جديدة فقط، يجب على الخصمين أن يكونا على مستوى واحد من المعرفة والذكاء. إذا افتقد أحدهما المعرفة، فإنه لن يفهم كل شيء ولن يكون في المستوى المطلوب. وإذا كان الذكاء هو ما يفتقده فالغضب والسخط الذي سيشعره به سيحمله على اللجوء إلى سوء النية، وإلى الحيلة والفظاظة⁸⁹.

ليس هناك فرق هام بين المطالبة في حوار خاص وعائلي *colloquio privato* وبين مناقشة علنية وعامة حسب المكانة *familiari* و *disputatio sollemnis* *publica, pro gradu* الخ... باستثناء الحالة الثانية من الضروري أن يكون المجيب *Respondens* دائما على صواب ضد المعارض *Opponens*¹، هذا ما يفسر أنه في حالة الضرورة ينبغي على رئيس المجلس *Opponens.1* أن يسانده،

⁸⁹ قال: ولا ينبغي أيضا أن تجادل من اتفق من الناس، فإن الضرورة تدعو في مناظرة من اتفق من الناس أن تكون الأقاويل المستعملة معهم حسيمة. انظر: ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، مرجع سابق

أو كذلك في الحالة الثانية، الحجج جد صورية ويستحب إلباسها لبوس الشكل الدقيق لنتيجة ما.

الخاتمة

بعد أن قمنا بعرض كل هذه المغالطات وأساليب وحيل الحوار وكيفية كشف الخدع والمكائد وطرق التعامل معها بوجهة نظر منطقية تطبيقية حاولت توضيحها عن طريق الأمثلة المتعددة في ذلك بشكل مبسط بعيدا عن الألفاظ والمصطلحات الفلسفية والمنطقية التي من الممكن أن يستعصي فهمها والمراد منها وغاية ما أود أن أقوله أن يخرج هذا العمل إلى الجميع ويحقق الاستفادة ويستطيع الشباب ومن هم في مقتبل العمر أن يفهموا هذه الأساليب خاصة مع كثرة الحوارات غير البناءة التي تستنفذ الطاقات وأساليب التضليل الاجتماعية التي باتت منتشرة جدا بغرض التحايل أو السرقة أو النصب والاحتيال وانقلاب المفاهيم وفسادها هذا الكتاب يساعدك في كشف هذه المخططات ويعلمك كيفية التعامل معها.

وعلى الله قصد السبيل والحمد لله رب العالمين

قائمة بالكتب والمراجع

أولاً:- المراجع باللغة العربية

- أرسطو، منطق أرسطو، نقل أبي عثمان الدمشقي، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات - الكويت، دار القلم - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1980، الجزء الثاني، كتاب الطوبى، الجزء الثالث، كتاب السوفسطيقا.
- أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000
- ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، دراسة وتحقيق جبرار جهامي، المجلد السادس والسابع، دار الفكر اللبناني.
- ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل، تحقيق محمد سليم سالم.
- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق 2004
- منطق الكلام حمو النقاري، الدار العربية للعلوم، 2010.
- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس 2004.
- أبو حيان التوحيدي، المقابسات، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثانية 1989.
- الفارابي، المنطق عند الفارابي، تحقيق وتقديم وتعليق رفيق المعجم، الجزء الثالث، كتاب الجدل، دار المشرق.
- هشام الريفي، الحجاجي عند أرسطو، عن فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية، أرسطو إلى اليوم، دون تاريخ.

- المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة، 2007.
- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت - باريس.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي - الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني 1982.
- عالم الفكر، العدد 2، المجلد 40، أكتوبر-ديسمبر 2011.
- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، المجلس الأعلى للثقافة، 2007.
- لويس شيخو، علم الأدب، الجزء الثاني، في علم الخطابة مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت 1926.
- عادل مصطفى - المغالطات المنطقية.
- وليم جيمس إيرل مدخل إلى الفلسفة - ترجمة عادل مصطفى، المشروع القومي للترجمة العدد 962 المجلس الأعلى للثقافة 2005.
- عبد الرحمن بدوي المنطق السوري والرياضي الطبعة الخامسة وكالة المطبوعات الكويت 1981.
- تاريخ الفلسفة الحديثة للأستاذ يوسف - دار المعارف القاهرة 1969.
- سيجموند فرويد تفسير الأحلام ترجمة د- مصطفى صفوان المؤلفات الأساسية في التحليل النفسي بإشراف الدكتور مصطفى زيور دار المعارف 1994.
- هكذا غنى الطاغور - ترجمة خليفة محمد التليس، الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس - المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989.
- جيروم النقد الفني - دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة د: فؤاد زكريا الطبعة الثانية، الهيئة العامة للكتاب 1981.

هنترميد الفلسفة – أنواعها ومشكلاتها، ترجمة د: فؤاد زكريا، الطبعة الثانية دار النهضة المصرية للطبع والنشر، القاهرة 1975.

جون ديوي دفاع عن الديمقراطية في الفلسفة وقضايا العصر – الجزء الثاني، ترجمة د: أحمد حمدي محمود، الألف كتاب الثاني 29، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أرون بك العلاج المعرفي والاضطرابات الانفعالية ترجمة د: عادل مصطفى دار النهضة العربية بيروت 2000.

جمهورية أفلاطون، دراسة وترجمة د: فؤاد، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

المراجع باللغة الإنجليزية والفرنسية

johan lock an essay concerning human understanding edited by roger woolhous. penguin classic 1997 <2004

doglas Walton >ad hominem argument the university of Alabama press 1998

l abbe j verniolles cours elementaires de rhetorique et d eloquence , librairie delagrave ,1891.

Michel mayer , qe 'est – ce que l'argumentation librairie j. vrin ,2008 >

Aristote , les re'futations sophistiques traduction par J. tricot, librairie philosophique , J. vrin ,2003.

محتويات الكتاب

6	مقدمة
22	السلح الأول المصادرة على المطلوب
40	السلح الثاني مغالطة المنشأ
50	السلح الثالث التعميم المتسرع
57	السلح الرابع النصوع المضلل
60	السلح الخامس تجاهل المطلوب (الحيد عن المسألة)
64	السلح السادس الرنجة الحمراء
70	السلح السابع الحجة الشخصية
72	السلح الثامن القدح الشخصي السب
75	السلح التاسع التعريض بالظروف الشخصية (الحجة الشخصية الظرفية)
78	السلح العاشر أنت أيضا تفعل ذلك
83	السلح الحادي عشر تسميم البئر
85	السلح الثاني عشر الاحتكام إلى السلطة
95	السلح الثالث عشر مناشدة الشفقة استدرار العطف
99	السلح الرابع عشر الاحتكام إلى عامة الناس
108	السلح الخامس عشر التنفج
109	السلح السادس عشر التلويح بالعلم

السلح السابع عشر الاحتكام إلى القوة (ومنطق العصا... اللجوء إلى التهديد)	114
السلح الثامن عشر الاحتكام إلى النتائج	119
السلح التاسع عشر الألفاظ الملقمة الألفاظ المشحونة المفخخة	124
السلح العشرون المنحدر الزلق (أنف الجمل)	131
السلح الحادي والعشرون الإحراج الزائف أو القسمة الثنائية الزائفة	134
السلح الثاني العشرون السبب الزائف (أخذ ما ليس بعلة علة)	140
(المغالطة البعديّة/ بعقبه إذاً بسببه)	146
<i>post-hoc ergo propter hoc</i>	146
<i>a posteriori fallacy</i>	146
السؤال المشحون (المركب)	155
(loaded question complex question)	155
question complex	158
التفكير التشبيهي (الأنالوجي الزائف)	158
false analogy; analogical fallacy	158
التحريف بالتجزّي	169
السلح الثالث والعشرون مغالطة التشيؤ	176
السلح الرابع والعشرون إنحياز التأييد (التأييد دون التفنيد)	confirmation
bias	182
كارل بوبر ومذهب التكذيب falsificationism	185
فرنسيس بيكون	188
السلح الخامس والعشرون غفال المقيدات	190

190	qualifications ignoring
190	secundum quid
195	السلح السادس والعشرون
195	مغالطات الالتباس
195	fallacies
201	(٢) التشابه التباس المبني / اشتراك التركيب
201	amphiboly
204	(٣) النبر accent
209	السلح السابع والعشرون مغالطة التركيب والتقسيم
209	division and composition
217	مغالطة التقسيم
217	division
220	إثبات التالي
220	affirming the consequent
227	إنكار المقدم
227	the antecedent denying
230	ذنب بالتداعي guilt by association
233	السلح الثامن والعشرون مغالطة التأصيل
233	fallacy etymological
240	السلح التاسع والعشرون الاحتكام إلى الجهل
240	appeal to ignorance ؛ignoratiam ad

- 247 epistemic closure: الانغلاق الإبستيمي
- 248 presumption الاستدلال بالقرينة
- 251 (البروكرستية) سرير بروكرست
- 251 (Procrustean bed Procrusteanism)
- 262 مغالطة المقامر
- 262 gambler's fallacy
- 265 المظهر فوق الجوهر
- 265 style over substance
- 270 حيل الحوار
- 297 الحيل القانونية
- 297 الحيلة الأولى الاتساع
- 300 الحيلة الثانية الجناس
- 303 الحيلة الثالثة تعميم حجج نقيضة
- 305 الحيلة الرابعة إخفاء القصد
- 306 الحيلة الخامسة حجج كاذبة
- 307 الحيلة السادسة المصادرة على ما ليس مبرهنا عليه
- 308 الحيلة السابعة الحصول على التأييد بالاستجواب
- 309 الحيلة الثامنة إغضاب الخصم
- 310 الحيلة التاسعة طرح الأسئلة بترتيب مخالف
- 311 الحيلة العاشرة الاستفادة من نقيض الدعوى
- 312 الحيلة الحادية عشر تعميم ما يقوم على حالات خاصة

- 313 الحيلة الثانية عشر اختيار استعارات مناسبة
- 315 الحيلة الثالثة عشر إعلان الفوز رغم الخسارة
- 316 الحيلة الرابعة عشر استعمال حجج غير معقولة
- 317 الحيلة الخامسة عشر الحجة على الذات
- 319 الحيلة السادسة عشر المقاومة بالمبالغة في التدقيق
- 320 الحيلة السابعة عشر مقاطعة وتغيير المجادلة
- 321 الحيلة الثامنة عشر التعميم بدلا من مناقشة التفاصيل
- 322 الحيلة التاسعة عشر استخراج النتائج
- 323 الحيلة العشرون مقابلة فاسد الحجج بفاسد الحجج
- 324 الحيلة الواحدة والعشرون المصادرة على المطلوب *petitio principil*
- 325 الحيلة الثانية والعشرون إجبار الخصم على المبالغة
- 326 الحيلة الثالثة والعشرون فن استخلاص نتائج كاذبة
- 327 الحيلة الرابعة والعشرون الحجة الفرعية أو إيجاد الاستثناء
- 328 الحيلة الخامسة ولاعشرون عكس الحجة على الخصم
- 329 الحيلة السادسة والعشرون الغضب ضعف
- 330 الحيلة السابعة والعشرون إقناع الجمهور وليس الخصم
- 332 الحيلة الثامنة والعشرون الحيد عن الموضوع
- ad argumentum الحيلة التاسعة والعشرون حجة السلطة
- 334 *verecundium*
- 339 الحيلة الثلاثون لست أفهم شيئا مما تقوله
- 341 الحيلة الواحد والثلاثون مبدأ الجمع المهين

- 342 الحيلة الثانية والثلاثون نظريا نعم عمليا لا
- 343 الحيلة الثالثة والثلاثون زيادة الضغط
- 344 الحيلة الرابعة والثلاثون المصالح أقوى من العقل
- 346 الحيلة الخامسة والثلاثون إرباك الخصم بكلام محال
- 347 الحيلة السادسة والثلاثون فاسد البرهنة علامة الخسران
- 348 الحيلة الأخيرة: الحجة على الشخص
- 352 الخاتمة
- 353 قائمة بالكتب والمراجع
- 356 محتويات الكتاب



حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.